السَّيفُ اليمانيّ

في نحرِ الأصْفهَاني صَاحِبِ الأغَاني

وليد الأعظمي

تصوير ونشر عبر الشبكة العنكبوتية
الشبكة الأثرية

PDF Adobe

www.alathariyah.net

تصوير الشبكة الأثرية

السَّيفُ اليَمانيّ

في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني

كافة حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت : ٣٤٢٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠
فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٢٣ ...... ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24007
فرع القاهرة : ٤١ ش شريف ت ٧٤١٩٩٧ / ٧٥٤٦٠٦

السَّيفُ اليَمانيّ

في نَحرِ الأصفَهاني صَاحِبِ الأغاني

وَليد الأعظميّ

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة . ش.م.م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الخطيب البغدادي (١) :

(حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طباطبا العلوي ، قال : سمعت أبا محمد الحسن بن الحسين بن النوبختيّ ، كان يقول :

كان أبو الفرج الأصفهانيّ . أكذبَ الناس . كان يشتري شيئاً كثيراً من الصُحُف : ثم تكون كل رواياته منها) .

لا يَستُرُ الله كذّابًا ومؤتزراً
بالكذب : لن تَستُرَ (الأوزارَ) أوزارُ

وليد الأعظمي

المقدمــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد . وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطاهرين ، ومن اهتدى بهديه ، وسار على نهجه إلى يوم القيامة .

وبعــد :

فإنّ كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني ، له طنين ورنين ، في آذان أهل الأدب والتاريخ .

وكنت في أيام الشباب قد قرأت أجزاءً منه ، مع بعض الأتراب والأصحاب ، وأعجِبْنا به ، وبمادته الضخمة ، وسَعَة أخباره ... ولم يكن لنا يومئذ علم ولا اهتمام ، بتاريخ الرجال والأعلام . وليست لنا دراية ، ولا معرفة ، بأهمّية السند ، وقيمة الخبر ، ومقاصده ومراميه .

وكنت أرجع إلى الكتاب بين حين وآخر ، للبحث عن خبر أدبي . أو ترجمة شاعر ، أو للسمر في بعض ليالي الشتاء ، نبحث عن خبر ظريف غريب ، أو نكتة بارعة لطيفة ، وكنا نعاف الأخبار الطوال ، ولو كانت تضمّ أموراً جليلة شريفة .

* * *

وقبل أكثر من سنتين ، كنت أطالع في بعض أجزاء (الأغاني) . فاستوقفني اسم أحد الأعلام الأجلّاء ، من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل ،

والإمام البخاري ، وقد ورد اسم هذا العلم الشامخ الجليل ، في سند طويل ، ضمّ بعض الكذابين ، والمجروحين من الرواة .

وينتهي ذلك السند الطويل العريض ، إلى خبر تافهٍ سقيمٍ ، ومعنًى خبيثٍ لئيمٍ ، فاستغربت !

ثم إني رجعت إلى السند مرّة ثانية ، وثالثة ، وخشيت أن يكون اسماً مشابهاً .

إلّا أنني وجدت ترجمة ذلك العلم في الحاشية ، من قبل محققي الكتاب .

وقرأت بعد ذلك فصولاً أخرىٰ ، فوجدت ذلك السند يتكرّر ، ووجدت أعلاماً ثقاتٍ آخرين ، محشورين مع كذابين ومجروحين . وكنت في أيام الشباب . أترك قراءة السند ، وحتىٰ إذا قرأته فما كنت يومئذ أميّز بين الأعلام ، ودرجاتهم ومنازلهم ، شأني في ذلك . شأن الكثير من المطالعين .

أما اليوم ، فلا أعاف السند ، وقد يكون اهتمامي به أكثر وأشدَّ من اهتمامي بالخبر نفسه .

من هنا بدأت أنظر إلى كتاب (الأغاني) نظرةً جديدةً ، ورجعت إلى كتب التضعيف والتوثيق ، والجرح والتعديل ، فوجدت الأصفهانيَّ رجلاً غير مأمون ، ولا يوثق به عند علمائنا الأجلاء المدقّقين الممحّصين . وسلخت من عمري سنتين كاملتين ، متفرغاً لكتاب (الأغانى) ، أتملّى نصوصه وأقوالَه ، وأقف عند كل خبر من أخباره ، حتّى فلَّيْتُ سطورَه وكلماتِه ، واستخرجت قَمْلَه من بين شَعَراته ، واصطبرت عليه اصطبار المجاهدين المرابطين في الثغور ، فرأيت نيران الشعوبية والحقد ، وهي تغلي في الصدور . كغلي القدور ، وشعرت بنبال الأعداء تتوجّه إلينا ، وسهامهم تنثال علينا ، وردّدت قول الشاعر :

ولو كان سهماً واحداً لاتّقيته ولكنه سهمٌ وثانٍ وثالثُ

فشمرت عن ساعد الجدّ ، لأميز الهزلَ من الجدّ ، والسمَّ من الشهد وقلت لنفسي : (هذا أوان الشدّ فاشتدي زِيَمْ) .

ورحت أفحص رجال السند الذين روىٰ عنهم الأصفهاني ، وبحثت عنهم في كتب نقد الرجال ، وقرأت ما جاء فيهم من أقوال ، فوجدت فيهم كل داهيةٍ دهياءَ ، وبليّةٍ سوداءَ عمياءَ ، من الكذابين والمجروحين والمطعون عليهم .

فعزلت أولئك الكذابين ، وعرَّفْتُ بهم ، ثم رحت أحصي روايات الأصفهاني عن كل واحد من هؤلاء ، وهالني ما رأيت من الاعتماد على أولئك الكذابين ، والرواية عنهم ، والاستقاء من دلائهم ، والاستضاءة بنارهم ، ورأيت نفسي في وادٍ سحيقٍ رهيب ، ودخلت في كهفٍ مظلمٍ كئيب .

وإذا كان أولئك الرواة يكذبون في رواية الحديث النبوي الشريف ، فكيف بهم في أخبار الناس ، وقد توزّعوا إلى مذاهب وفرق وطوائف ، تتجاذبهم الأهواء والمشارب والمنافع ، وتتقاذف بهم المقاصد والأهداف . وإذا كان (الأغاني) كتاب أدب وسمر وغناء . وليس كتاب علم وتاريخ وفقه ، فليس معنىٰ ذلك أن نسكت عمّا ورد فيه من الدس والكذب الواضح والطعن والمعايب ، وقد جمع فيه الأصفهاني كثيراً من أخبار السيرة والتفسير والفقه والأدب ، حتىٰ وصفته لجنة تحقيق (الأغاني) بأنه « من أجلّ مصادر التاريخ والأدب العربي » [1] .

* * *

(١) الأغاني ٢٧١/٤ الحاشية رقم ١ .

لقد أشار أبو الفرج الأصفهانى ، إلى تنويع المواضيع فى كتابه ، وأنه قصد ذلك ، حتى لا يشعر القارىء بالملل والرتابة ، والحقيقة أنه قصد ذلك ، حتى يستر غرضه المشبوه ، وحتى لا يفتضح أمره ، وتكشف شعوبيته عن وجهها : الكالح الدميم .

فهو يتكلم عن الغناء ، وأخبار القيان ، ثم عن الجن والغيلان ، ثم يأخذ طرفاً من التفسير والسير والفقه ، ثم يعود إلى الخمريات والتبذل ، ثم أخبار الخلفاء . ثم الشعر ، والتاريخ ، وهكذا ....

وقد جمعت أطرافاً من تلك المباحث اللئيمة الخبيثة ، دون استقصاء . ولو أنني استقصيت ما ورد في (الأغاني) من السَّقَط والمعايب ، والمخازي والمساوئ . وكل أمر منكر وقبيح ، لصار لديّ كتاب في المثالب (نعوذ بالله) ولكنني جمعت أطرافاً منها ، وعلّقت عليها ، وناقشتها ، وكشفت عن المقاصد الخفية للشعوبية ، وأساليبها ومكرها ودهائها ، وتسترّها تحت ظلال الأدب ، والسمر ، والمؤانسة ، والمذاكرة ، والمحاضرة .

وكان حصيلة هذه المتابعة التي استغرقت سنتين كاملتين ، أن استوى لديّ كتاب مستطاب ، سمّيته :

(السيف اليماني ، في نحر الأصفهاني ، صاحب الأغاني)

وقد جعلته في أربعة فصول :

تناول الفصل الأول : ترجمة أبي الفرج الأصفهاني ، وأقوال العلماء فيه ، وتعريفاً بالرواة الكذابين الذين روى عنهم الأصفهاني ، مع تعريف بكتاب الأغاني ، وآراء العلماء والأدباء والنقاد فيه ، مع نبذة يسيرة عن العهد البويهي ، وسبب تأليف الكتاب ، ولمن ألّفه الأصفهاني .

واحتوىٰ الفصل الثاني أخباراً وحكايات، أوردها الأصفهاني عن آل البيت النبويّ الشريف .

وهي أخبار تسيء إليهم ، وتجرح سيرتهم ، وتشوّه سلوكهم ، وتوهّن أمرهم ، بما يوافق هوىٰ آل بويه الذين يزعمون الولاء لآل البيت كذباً وزوراً وقد ناقشت تلك الأخبار ، وعلّقت على كل حكاية بما يناسبها .

أما الفصل الثالث : فقد ضمّ حكايات شنيعة ، وأخباراً فظيعة ، أوردها الأصفهاني عن الأمويين ، نفّسَ فيها عن حقده الدفين ، وضغينته على العرب ، وهو يزعم أنه أُموي النسب .

وتلك الأخبار توافق هوىٰ آل بويه والعباسيين والعلويين ..

وقد ناقشت كل خبر منها ، وعلّقت عليه بما يناسب المقام .

وجعلت الفصل الرابع : للأخبار والحكايات المتفرقة ، التي طعن فيها الأصفهاني بالعقائد الإسلامية ، ولَعْنِ دين الإسلام ، وتفضيل الجاهلية على الإسلام . مع الكفر البواح ، والاستخفاف بالصلاة والحج ويوم القيامة ، مع دفاع عن البرامكة وإشادة بالفرْس ، وطعون مختلفة بأعلام العرب والمسلمين . وناقشت كل تلك الأخبار ، وعلّقت عليها بما يناسب أيضاً .

* * *

وأحتسب عند الله تعالىٰ تلك الليالي الطوال ، التي سلختها دون ملال ، وقد نام الخليّون ، وأنا أفتّشُ وأُنبّشُ عن خبرٍ دفين ، أثارَهُ حقدٌ دفين ، في صدور المنافقين .

ويرنّ في أُذُنَيّ قولُ الله تعالىٰ : « قد بَدَت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ... » [سورة آل عمران ١١٨] .

وأسأله سبحانه أن يجعل كتابي هذا مقبولًا لدىٰ القراء ، وأن يكون باعثاً للتأنّي والتملّي ، عند قراءة أمثال هذه الكتب الكبيرة في مظهرها ، الصغيرة في مخبرها .

وأن يكون عملي خالصاً لوجه الله تعالىٰ ، والحمد لله رب العالمين .

الأعظمية في : غرة صفر الخير ١٤٠٥ هـ
٢٦ تشرين الأول ١٩٨٤ م

الخطاط وليد الأعظمي

الفصل الأوّل

أبو الفَرج الأصفَهاني (١)

علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مَرْوان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأمويّ ، المعروف بالأصفهاني .

ولد في أصفهان (٢) سنة ٢٨٤ هـ ، ونشأ في بغداد والكوفة ، وأخذ عن أبي بكر ابن دريد ، وأبي بكر ابن الأنباري ، ومحمد بن عبد الله الحضرميّ ، والحسين بن عمر ابن أبي الأحوص الثقفيّ ، وعلي بن العباس المقانعيّ ، والفضل بن الحباب الجمحيّ ، وعلي بن سليمان الأخفش ، ونفطويه ، ومحمد بن جعفر القتّات وغيرهم .

وله تصانيف كثيرة منها :

---

(١) انظر ترجمته في : الفهرست لابن النديم ١٦٦ ، ١٦٧ ويتيمة الدهر ١١٤/٣ - ١١٩ ، وتاريخ بغداد للخطيب ٣٩٨/١١ - ٤٠٠ والمنتظم ٤٠/٧ ، ٤١ ومعجم الأدباء ٩٤/١٣ - ١٣٦ والكامل ٥٨١/٨ ، ٥٨٢ ووفيات الأعيان ٣٠٧/٣ - ٣٠٩ وميزان الاعتدال ١٢٣/٣ وسير أعلام النبلاء ٢٠١/١٦ - ٢٠٣ والبداية والنهاية ٢٦٣/١١ ولسان الميزان ٢٢١/٤ وشذرات الذهب ١٩/٣ ، ٢٠ وروضات الجنات للخوانساري ٤٥٧/١ ، ٤٥٨ ودائرة المعارف الإسلامية ٢٠٣/٢ والأعلام ٢٧٨/٤ ودائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٦٣/٥ ، ٦٤ ، ومقدمة الجزء الأول من كتاب الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) يرى الدكتور محمد أحمد خلف الله ، أنه ولد في بغداد ، انظر كتاب (أبو الفرج الأصفهاني / الراوية) ص ٢٢ .

كتاب الأغاني ، وكتاب التعديل والانتصاف ، ومقاتل الطالبيين ، وأخبار القيان ، والإماء الشواعر ، والمماليك الشعراء ، وأدب الغرباء ، والأخبار والنوادر ، وأدب السماع ، وأخبار الطفيليين ، والخمارين والخمارات ، ونسب المهالبة ، ومناجيب الخصيان ، وأخبار جحظة ، وغيرها .

وكان أبو الفرج صديقاً للوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلّبي ، قبل أن يلي الوزارة ، وبعد أن وليها ، وكان نديماً متخصصاً للمهلّبي ، يؤنسه ويسلّيه ويمتّعه بأخباره ونوادره وحكاياته ، حتى ارتفعت الحشمة بينهما ، وصار يُسمِعُ المهلَّبيَّ ما قاله فيه من الهجاء البذيء ، وكان المهلّبي يطلب ذلك ، ويشاركه فيها .

ولأبي الفرج شعر كثير ، وفيه فحش وبذاءة ودناءة . وقد ذكر له الثعالبي في يتيمة الدهر بعض المقطوعات من شعره .

ثم صار الأصفهاني كاتبًا في ديوان ركن الدولة البويهي ، ونال عنده حظوة ومكانة عالية .

ويرىٰ السيد حسن الأمين ، أن من أسباب تلك الحظوة التي نالها الأصفهاني لدىٰ ركن الدولة ، اتفاقهما في التشيّع ، فقد كان ركن الدولة يتعهّد العلويين بالأموال الكثيرة ، والمنح الجزيلة (١) .

ويرىٰ الدكتور محمد أحمد خلف الله ، أن أبا الفرج قد أخذ التشيّع عن أمّه ، وهي من آل ثوابة ، وأسرة آل ثوابة كانت مسيحية ، ثم اعتنقت الإسلام ، ومالت إلى التشيّع ، وكذلك كان لنشأته فى الكوفة أثر كبير في

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٦٤/٥ .

تشيّعه (١) . وكان الأصفهاني يتطلع إلى أن ينال رعاية الوزير ابن العميد ، ولكنه أخفق في ذلك ، ولم ينلها ، وكانت بين الأصفهاني والوزير أبي عبد الله البريدي ، جفوة وسوء علاقة ، وقد هجاه الأصفهاني بقصيدة طويلة (٢) .

وتوفي الأصفهاني سنة ٣٥٦ هـ وقيل بعد ذلك .

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني / الراوية ص ٤٨ .

(٢) معجم الأدباء ١٣/١٠٣ .

أقوال العُلَماء في الأصفَهاني

إن الذي يراجع تاريخنا يأخذه العجب ، حين يرىٰ همم علمائنا السالفين الأجلّاء ، ودقّة نظراتهم الفاحصة ، لأخبار الرجال في الأدب ، والفقه ، والحديث ، والتاريخ ، والحكم ، والسياسة ، ومختلف مناحي الحياة ، ونظرات علمائنا إلىٰ الكتب والآثار ، والتعريف بها ، ونقدها ، وتقويمها ، مما يدعو إلى الفخر والاعتزاز .

ولا ننسىٰ أن علماءنا منهم الحريص المتشدّد المتوثّق المتبيّن ، ومنهم المتساهل في بعض نقداته وأحكامه .

وأنا ذاكرٌ آراء بعض هؤلاء الأعلام ، وأقوالهم في الأصفهاني ، ونظراتهم إليه وإلىٰ كتبه :

١ - قال هلال بن المحسّن الصابي :

« كان أبو الفرج الأصفهاني وسخاً قذراً ، ولم يغسل له ثوبًا منذ فصّله إلى أن قطعه ، وكان الناس علىٰ ذلك يحذرون لسانه ، ويتّقون هجاءه ، ويصبرون على مجالسته ، ومعاشرته ، ومؤاكلته ، ومشاربته وعلىٰ كل صعب من أمره ، لأنه كان وسخاً في نفسه ، ثم في ثوبه ، وفعلِهِ .... » (١) .

٢ - قال الخطيب البغدادي :

« حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاطبا العلويّ ، قال : سمعت أبا محمد الحسن بن الحسين بن النوبختي كان يقول : كان أبو الفرج

---

(١) معجم الأدباء ١٣/١٠٠ .

الأصبهاني أكذَبَ الناس ، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف ، ثم تكون كل رواياته منها » [١] . .

٣ – قال العلامة ابن الجوزي :

« .... ومثله لا يوثق بروايته ، يصرّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهوّن [٢] شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمّل كتاب الأغاني ، رأى كل قبيح ومنكر » [٣] .

٤ – ذكر ابن شاكر الكتبي ، أن الشيخ الذهبي قال :

« رأيت شيخنا تقيّ الدين ابن تيميّة يضعّفه ، ويتّهمه في نقله ، ويستهوِل ما يأتي به ، وما علمت فيه جرحًا إلّا قول ابن أبي الفوارس : خلط قبل موته » [٤] .

٥ – وقال الشيخ الذهبي أيضاً :

« كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء والمحاضرات ، وكان يأتي بأعاجيب بِحَدَّثَنا وأَخْبَرَنا » [٥] .

٦ – قال الخوانساري :

« ... وأمّا ما وُجِدَ في كلماته من المدح [٦] ، ففيه أولاً أنه غير

---

(١) مقدمة كتاب الأغاني (التصدير) ١٩/١ ، وتاريخ بغداد ٣٩٨/١١ .

(٢) كتبتها لجنة تحقيق الأغاني (يهوى) وهو تصحيف ، والصواب ما أثبتناه ، انظر الأغاني ١٩/١ .

(٣) المنتظم ٤٠/٧ ، ٤١ .

(٤) تصدير الأغاني ١٩/١ .

(٥) ميزان الاعتدال ١٢٣/٣ .

(٦) يعني مدح أهل البيت النبوي الشريف .

صريح ، ولم سلَم فهو محمول على قصده التقرب إلى أبواب ملوك ذلك العصر ، المظهرين لولاية أهل البيت غالباً ، والطمع في جوائزهم العظيمة ، بالنسبة إلى مادحيهم ، كما هو شأن كثير من شعراء ذلك الزمان ، فإن الإنسان عبد الإحسان ، مع أني تصفّحت كتاب أغانيه المذكور إجمالاً ، فلم أر فيه إلا هزلاً أو ضلالاً ، أو بقصص أصحاب الملاهي اشتغالاً ، وعن علوم أهل بيت الرسالة اعتزالاً ، وهو في ما ينيف على ثمانين ألف بيت تقريباً ... » (١) .

٧ - **قال الدكتور محمد أحمد خلف الله :**

« لقد كان أبو الفرج من الذين يتحسّسون رغبات البيئة الخاصّة ، أو رغبات المنعّمين ، في اختيار موضوعات كتبه ، وفي اختيار المواد التي تؤلف هذه الموضوعات ، وهو أمر يجب أن نفطن إليه ، وإلى بعض آثاره عند تقديرنا لأبي الفرج / الراوي ، ولقيمة مرويّاته في الميدان العلمي ، وفي الميدان الفنّي ، ليكون لنا صدق النظرة في التقدير » (٢) .

٨ - **وقال الدكتور خلف الله أيضاً :**

« ... فلقد كان أبو الفرج يقصّ ألواناً من القصص ، تتمثّل فيها الغرابة ، وهو يقصّها إرضاءً للروح الدينية ، أو المذهبية الخاصّة ، أو لأنها تستثير الخيال ، وترضي هذه العقلية التي تميل إلى الغريب ، ولو كان من المصنوعات والأكاذيب » (٣) .

---

(١) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ص ٤٥٧ .

(٢) أبو الفرج الأصبهانى / الراوية ص ١٣٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٨ .

٩ – وقال أيضاً :

« وحِرصُ أبي الفرج على الإسناد واضح في كتابيه (الأغاني) . و (المَقاتِل) ، وهو حرص لا يتلاءم وتساهله في المرويّات ، وأخذه عن الكَذَبَة ، وتدوينه للمصنوعات ، لأنّ الإسناد ما وُجِدَ إلّا ليحول بين الرواة ، وبين أن يُخْدَعوا فيرووا الأكاذيب ، أو الموضوع من الأخبار والأقاصيص .

ولذا كان لابد لنا من هذه الوقفة ، لنرىٰ رأينا في أبي الفرج فهل كان حرصه على الإسناد ، لتكون الصحّة في النقل ؟ أو كان لأمر آخر يُقْصَدُ ويُراد ؟ » (١) .

١٠ – وقال أيضاً :

« وإذا كان لابد لنا من كلمة نقولها في هذا الموقف فهي : يجب أن لا يخدعنا إيراد الأخبار مسندةً في كتاب الأغاني ، وإنما يجب علينا أن نقف عند كل خبر ، لنسبر غوره ، ونقيسه بمقياس الحقائق التاريخية » (٢) .

١١ – وقال الدكتور خلف الله في خاتمة كتابه :

« ولقد وقفنا علىٰ ما لأبي الفرج من ميول وأهواء ، فيجب أن نحذر هذه الميول ، وهذه الأهواء ، كلما حاولنا الاعتماد علىٰ ما خلّف الرجل من مرويّات ، فقد يكون الرجل مُضَلّلاً ، وقد يكون صاحب غرض وهوى ، وليس يخفىٰ أن للأهواء حكمها في التاريخ ، وهو حكم قد يملي رغبته لا في ذكر الأخبار فحسب ، وإنما أيضاً في الكتمان » (٣) .

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني / الراوية ص ٢٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٥ .

١٢ - وقال الأستاذ عبد الستار أحمد فرّاج :

« ويجد أكثر المتأدبين في عصرنا أن المشكلة التي يضيقون بها ، في مثل كتاب الأغاني ، هي كثرة الأسانيد « حدّثنا فلان عن فلان ... » . وتعدُّد الرواية للخبر الواحد ، لاختلاف في ألفاظ أو لاختلاف أحد الرواة .

وتلك كانت إحدىٰ الميزات التى يعتز بها المؤلفون القدامىٰ ، ليوثّقوا عملهم ، وليبرّئوا أنفسهم مما قد يكون في الخبر من غرابة .

والذين يُعْنَوْنَ بالتمحيص والتدقيق ، يهمّهم أن يعرفوا شيئاً من حياتهم ومدىٰ صدقهم ، وصلَتهم بالأحداث ، ومن هذا يستطيعون الحكم علىٰ النص ، ومدىٰ الاستعداد لتقبُّلِه ، والرضا عنه » (١) .

* * *

هذه جملة صالحة من آراء طائفة من العلماء المعروفين بالتمحيص ، والمنبّهين علىٰ مواطن الزيغ والشبهات ، وهي تكشف لنا عمّا انطوىٰ عليه كتاب الأغاني من تضليل وانحراف .

وهناك أقوال أخرىٰ لبعض المتساهلين ، وأغلبهم من أهل الأدب والأخبار ، والسمر ، واللهو ، والعبث ، وهي في جملتها لا ترقىٰ إلى مستوىٰ ما ذكرناه .

وعن طريق هؤلاء اشتهر كتاب الأغاني ، وذاع صيته في أوساط الناس .

* * *

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٥/٥٩ .

التساهُل في الرِّوايَة

إن علماء الحديث الشريف قد تشدّدوا كثيراً ، في رواية الأحاديث النبوية الشريفة ، وبخاصة تلك التي تتعلّق بالأحكام والعقائد ، ولم يتسامحوا فيها ، وكانوا يدقّقون ويتحرّون صدق الرواة ، وقد بيّنوا شروط الراوي الثبت ، ووضعوا كتب الرجال في الجرح والتعديل ، والتوثيق والتضعيف ، وكانوا يتجنّبون الرواية عن الشيوخ إذا كبروا ، وظهرت عليهم ملامح النسيان أو المرض ، حفاظاً على ما أخذوه عنهم في أيام العافية ، وقوة الذاكرة .

وجعلوا للرواة درجاتٍ ومنازلَ ، والشيخ الذي يروي عن حفظه ، أفضل من الشيخ الذي يروي عن كتابه قراءةً .

وكان العلماء يتساهلون بعض الشيء في رواية ما يتعلّق بالفضائل . كالترغيب في العبادة ، والحضّ على طاعة الله سبحانه ، ومحبّة الرسول ﷺ ، وفضل الجهاد ، واحترام الوالدين ، وفي المواعظ والرقائق ، وغير ذلك مما يحتويه الإسلام ، ويدعو إليه .

واهتماماً بهذا المنهج السليم ، والتزاماً به ، فقد سلك المؤرخون مذهب أهل الحديث في تدوين أخبارهم ، والتحرّي عن رواتهم ، وتمييز الكاذب من الصادق ، ثم صار العلماء يميّزون بين المؤرخين والرواة .

وصار المؤرخ ينظر في الروايات المتعددة للأخبار ، ويقارن بينها ، ويقابل بعضها ، ويقلّب وجهات النظر فيها ، ويُنقّيها ، فيأخذ منها ويترك ، بلطف إدراكه ، وسعة معرفته لتلك الأحداث والوقائع . أما الراوي ، فقد صار مجاله واسعاً ، وعليه أن يجمع الروايات المتعددة للأخبار والأحداث ،

دون تمييز بينها ، وكأنّ الراوي أصبح من واجبه الجمع دون التمحيص ، وعلى المؤرخ أن يراجع تلك المادة ، ويختار منها ما يشاء ، وما يراه صحيحًا وموائماً لمنهجه ، أو مُعَضِّدا لآرائه وأحكامه واستنتاجه .

* * *

وكان هذا التساهل في الرواية ، قد فتح الباب واسعاً للشعوبيين ، يتسترون تحت ظلاله ، فيبثّون سمومهم في الأخبار ، ويُفصِحون عن حقدهم الأسود ، كل ذلك باسم الأدب والمذاكرة ، وأخبار السمر والمحاضرة ، والإمتاع والمؤانسة ، وتزجية الوقت والتسلية ، فوضعوا الحكايات الخبيثة المسمومة ، التي تشوّه تاريخنا وأدبنا ، وتسيء إلى أجدادنا ومفاخرنا .

وإذا كانت كتب الحديث الشريف ، والتفسير ، والسيرة ، والرجال ، والفقه ، قد نضجت واستطالت ، وهي كتب علميّة جادّة رصينة ، تفيض علمًا وفضلاً ، فقد قامت إزاءها كتبٌ سخيفةٌ ، فطيرةٌ ، كاذبةٌ ، هادمةٌ ، امتلأت صفحاتها بالمخازي والمجون ، والمفاسد والمباذل والفضائح ، تحت ستار الأدب والسمر والغناء ، وجمع كل خبر مهما كانت درجته من الصدق أو الكذب ، وأبو الفرج الأصفهاني ، من أبرز هؤلاء المتسترين تحت ظلال الأدب والأخبار ، والحرص على تدوين ما سمع وما قرأ .

فترى الأعاجيب في كتابه الأغاني ، وتصدمك جرأته البالغة الرهيبة . في سرد الأسانيد . فهو يجمع في سنده بين الثقات والكذابين ، وبين الزهاد والفساق ، والصالحين الأبرار ، والطالحين الفجّار .

ونحن نعلم أن الكاذب قد يروي عن الصادق والثقة ، ولكن الصادق ، والثقة لا يروي عن الكاذب أبدًا .

فهل تصحّ أسانيد أبي الفرج ؟ أم أنه اختلقها من عنده ؟! وكان كثير الاعتماد على روايات الكذابين والمجروحين ، والمطعون عليهم . وملأ كتابه الأغاني ، بروايات أولئك الهلكى .

* * *

الرواة الكذابون الذين اعتمد عليهم الأصفهاني

اعتمد أبو الفرج الأصفهاني ، في كثير من أخباره السوداء المظلمة المسمومة ، على طائفة خبيثة من الرواة الكذابين ، والمجروحين ، والمطعون عليهم ، واعتبر أخبارهم موثّقةً ، ولوَّث صفحات تاريخنا وأدبنا بالسخائم والبلايا .

وقد رجعتُ إلى كتب الرجال في الجرح والتعديل ، والتوثيق والتضعيف ، فرأيت من هؤلاء كل داهية دهياء ، وبليّة عمياء ، واستخرجت أقوال علماء السَلَف فيهم ، وطعنهم عليهم ، وتحذيرهم من الاعتماد عليهم ، والرواية عنهم .

ثم أحصيت الروايات والأخبار ، التى استقاها أبو الفرج الأصفهاني منهم ، وأخذها عنهم ، وذكرتها تحت ترجمة كل واحدٍ من أولئك المذمومين الحاقدين ، ليتضح للقارئ الكريم ، مدى حرص هذا الشعوبي اللئيم الحاقد ، وإصراره على تلويث تاريخنا وأدبنا ، وتشويهه ، وإظهاره بوجه كالحٍ مظلمٍ ، تشمئز منه النفوس الكريمة ، والعقول السليمة .

وهذه قائمة بأسماء أولئك الرواة المجروحين ، وأقوال العلماء فيهم :

١ – محمد بن أحمد بن مزيد ابن أبي الأزهر البوشنجي (١) :

قال الدارقطني : كان ضعيفاً في ما يَرْويه .

وقال الخطيب البغدادي : كان غير ثقةٍ فقد وضع أحاديث .

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ٤/٣٥ ولسان الميزان ٥/٣٧٧ ، ٣٧٨ والكشف الحثيث ص ٤٥٦ .

وقال أبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي : كذّبَ أصحابُ الحديث ابن أبي الأزهر .

وقال الحسن بن علي البصريّ : ليس بالمرضيّ .

وقال المرزباني : كذَّبه أصحابُ الحديث ، وأنا أقول : كان كذاباً ، قبيحَ الكذبِ ظاهِرَه .

* * *

هذه أقوال العلماء في هذا الراوي ، كان يتجرّأ بالكذب على رسول الله ﷺ ، ويضع الأحاديث ، ومع هذه الصفة الذميمة ، فقد اعتمد عليه أبو الفرج ، وروى عنه فى كتابه (الأغاني) الروايات التالية ، وأنا أشير إلى رقم الجزء ورقم الصفحة :

(٤٨/١ ، ٢١٧/٢ ، ١٣٦/٣ ، ١٠/٤ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٧/٦ ، ١١٣ ، ١٢/٨ ، ١٢٥ ، ١٠٥/٩ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ، ٢٨٣ ، ٧٩/١٠ ، ١٣٠ ، ٢٧٢/١١ ، ٣٤١ ، ٦٩/١٢ ، ٩٠ ، ١٠١/١٣ ، ٢٠٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٣٤٧ ، ٨٤/١٤ ، ٨٥ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ٣٣٩ ، ٣٥١ ، ١٥٣/١٥ ، ١٥٢/١٦ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ٢١٣ ، ٢٦١ ، ٣٢٧/١٧ ، ١٠٠/١٨ ، ١٨٠ ، ٢٢١ ، ٣٠٠ ، ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣٣٨ ، ٩٩/١٩ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٢/٢٠ ، ٧ ، ٥٥ ، ٩١ ، ١٤٩ ، ٣٣٦ ، ٤٠٤ ، ١٣٤/٢١ ، ٢٥٥ ، ٧/٢٢ ، ٨ ، ٣٠ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٧ ، ٣٠٩ ، ١٩٧/٢٣ ، ١٢٥/٢٤ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ٢٢٠) .

٢ - الهيثم بن عَدِيّ الكوفيّ (١) .

قال الإمام البخاريّ : ليس بثقةٍ ، كان يكذب .

وقال يحيىٰ بن معين : ليس بثقةٍ ، كان يكذب .

وقال أبو داود : كذاب .

وقال النسائي : متروك الحديث .

وقال أبو حاتم : متروك الحديث .

وقال أبو زرعة : ليس بشيء .

وقال أحمد العِجليّ : كذّاب .

وقال الساجي : كان يكذب .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : صاحب أخبار وتدليس .

وقال ابن يونس : الهيثم غير مُوَثّق .

* * *

ومع هذه القائمة الشنيعة في صفاته الذميمة القبيحة ، فقد روىٰ عنه أبو الفرج في المواضع التالية من كتابه الأغاني :

٢/٨٧ ، ٣/٢٨ ، ٤/٢١٩ ، ٢٥٠ ، ٣٣٨ ، ٥/٣٠ ، ٦/٧ ، ٣٤ ، ٥٤ ، ٩٣ ، ٢١٢ ، ٢٧٢ ، ٧/٥٤ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ٨/٣٦ ، ٤٢ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ٢٤٤ ، ٣٠١ ، ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٩/١٣ ، ٢٩ ، ٨١ ، ١١٢ ، ١٢٣ ، ٢٠٠ ، ٣١٦ ، ١٠/٢٣٧ ،

---

(١) ميزان الاعتدال ٤/٣٢٤ ، ولسان الميزان ٦/٢٠٩ - ٢١١ .

٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ١٢/١١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، ٣/١٢ ، ١٩٤ ، ٢٥٢ ، ٢٩١ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤٤ ، ٢٥٩/١٣ ، ٢٦٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٧٧/١٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٦١ ، ٢٧٨ ، ٢٩٩ ، ١١٠/١٥ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ٢٤١ ، ٣١٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٢٩/١٦ ، ٣٣ ، ٤٨ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٣٩ ، ٣٠٤ ، ٣٧٣ ، ٣٨٧ ، ١٠٨/١٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٣٧ ، ٢٥٦ ، ٣٣٦ ، ٣٩٤ ، ٥٨/١٨ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٨١ ، ٢٥٥ ، ٢٩٠ ، ١٠/١٩ ، ١٣ ، ١٣٦ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ٧٥/٢٠ ، ٧٦ ، ٢١٢ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ، ٩٣/٢١ ، ٢٨١ ، ٣٠٠ ، ٣٧٨ ، ٣٩٦ ، ٧/٢٢ ، ١٠١ ، ٢٣٧ ، ٢٦٣ ، ٢٧٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ١٣٢/٢٣ ، ١٧/٢٤ ، ١٦٢ ، ٢٢٠ .

٣ - هشام بن محمد بن السائب الكلبي [١] :

قال الإمام أحمد بن حنبل : ما ظننتُ أنّ أحداً يحدّث عنه .

وقال الدارقطني : متروك .

وقال ابن عساكر : ليس بثقة .

وقال الذهبيّ : وهشام لا يُوثَق به .

* * *

(١) ميزان الاعتدال ٣٠٥/٤ ، ولسان الميزان ١٩٦/٦ .

روىٰ عنه أبو الفرج في المواضع التالية من كتابه :

(٣٥/١ ، ١١/٢ ، ٩١/٣ ، ١٧٤/٤ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٧٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٦٧ ، ١١٤/٥ ، ١١٨ ، ١٥٢ ، ٤٢/٦ ، ٤٩ ، ٢٢٤ ، ٤٨/٧ ، ٥٦ ، ٨١ ، ١٢١ ، ١٣/٨ ، ٥٣ ، ١٨٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣/٩ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٩ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ٢٢٤ ، ١٣/١٠ ، ٣١١ ، ٤٣/١١ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٢١٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٨/١٢ ، ٩ ، ٢١ ، ٤٠ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٩٤ ، ٢١٩ ، ٢٠٨/١٣ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٣٤٧ ، ٤/١٤ ، ٨٩ ، ٢٤/١٥ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ٣١٢ ، ١٣٨/١٦ ، ١٤١ ، ٨٣/١٧ ، ٢١٥ ، ١٤/١٨ ، ١٣٦ ، ٢١/١٩ ، ٢٤ ، ١٠٢ ، ٩٠/٢٢ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢٨٦ ، ١٣٠/٢٣ ، ٥٣/٢٤) .

٤ – أبو النضر محمد بن السائب الكلبيّ (١) :

قال الإمام البخاريّ : أبو النضر الكلبيّ ، تركه يحيىٰ وابن مهدي .

ثم قال البخاري : قال عليّ : حدثنا يحيىٰ عن سفيان ، قال : قال لي الكلبي : كلُّ ما حدثتُكَ به عن أبي صالح ، فَهُوَ كذب .

وقال يحيىٰ بن معين : الكلبي ليس بثقة .

وقال الجوزجاني : كذّاب .

وقال الدارقطنيّ : متروك .

(١) ميزان الاعتدال ٥٥٨/٣ ، والكشف الحثيث ص ٣٧٣ .

وقال ابن حِبّان : مذهبُه في الدين ووضوح الكذب فيه ، أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه لا يحلُّ ذكره في الكتب ، فكيف الاحتجاج به !؟

وقال الحافظ ابن الجوزيّ : كان من كبار الوضّاعين .

* * *

روىٰ عنه أبو الفرج في المواضع التالية من كتابه :

(٢٠٧/٤ ، ٣٣٢/٦ ، ١٢٠/٩ ، ١٢١ ، ١٦٨ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢٦٤ ، ٣٣٩ ، ٣٣/١٠ ، ٣١١ ، ٤/١٢ ، ٨ ، ٢٤/١٥ ، ١٦١ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٤٦ ، ٣١٢ ، ٣٣/١٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٥٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٣٢٨ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧٣ ، ٢٠/١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢٤٨ ، ١٧/٢١ ، ٢٢٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٧٠ ، ١١٨/٢٢ ، ٢١/٢٤ ، ٥٣ ، ٦٣ ، ٧٦ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٧٣ ، ٢١٠) .

٥ – أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمّار ، المعروف بحمار العُزَير (١) :

قال عليّ بن عُبيد بن المسيّب الكاتب : كان ابن عمّار ، كثير الوقيعة بين الأكابر (٢) ، وذكر له ابن النديم : كتاب (مثالب معاوية) .

* * *

---

(١) لسان الميزان ١/٢٢٠ .

(٢) يعني بذلك الطعن والذم والشتم لأكابر أمتنا ، وسلفنا الصالح ، وأئمتنا الأماجد الأماثل .

روى أبو الفرج عن هذا الدجال اللئيم الحاقد ، الشعوبي الذميم في المواضع التالية من كتابه :

(٢٨/١ ، ٤٠٧/٢ ، ٧/٣ ، ٧/٤ ، ١٢ ، ٣٣ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٧ ،
٩٢ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ٢١٨ ، ٣٤٩ ، ٤١٨ ، ٥/٥ ، ٨٨ ، ٢٣٦ ،
٢٦١ ، ٣٣٩ ، ٣٦٤ ، ٣٩١ ، ٧/٦ ، ١٦٨ ، ١٩٥ ، ٢٧٢ ،
١١/٧ ، ٣٤ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ،
٣١/٨ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٢٧٢ ، ١٨/٩ ، ٢٧ ، ٥٠ ،
١١٨ ، ١٦٥ ، ٢٣٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦ ، ٢٩٣ ، ٣١٠ ، ٥/١٠ ،
٦١ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١٠٦ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢٣٥ ،
١٣٧/١١ ، ١٤٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٣١٠ ، ٣٣٦ ، ٦٣/١٣ ،
١٩١ ، ٢٤٩ ، ٢٦٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩ ، ٩٢/١٤ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ،
١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٨٥ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٣٦٩ ، ١٢٣/١٥ ، ١٢٤ ،
١٢٧ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٧٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٦٦ ، ٢٨١ ،
٣٠٨ ، ٣٧١ ، ١٧/١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ،
١٠٠ ، ١٧١ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٥٣ ،
٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٣٧١ ، ٣٧٨ ، ٨/١٧ ، ١٥ ، ٢١ ، ٣٠ ،
٣٦ ، ٤٠ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ٢٦٣ ، ٧/١٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٨ ،
١١٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٩٢ ، ٢٩٢ ، ٢١/١٩ ،
٣١ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ١٠٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ،
٢٧٥ ، ٦/٢٠ ، ١٤ ، ٤٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٩٠ ،
١١١ ، ١٤١ ، ١٦٣ ، ٢٠٧ ، ٢٤٢ ، ٣١٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،
٣٥٢ ، ٣٩٣ ، ٤١٦ ، ١٤/٢١ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٢٥٥ ، ٣٤٠ ،
٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٢٣١/٢٢ ، ٢٧٤ ، ٣٤٢ ، ٣٥٥ ، ٢٠/٢٣ ،
٢٣٩/٢٤ ، ٢٤١) .

٦ - محمّد بن زكريا بن دينار الغلابيّ البصريّ (١) :

قال ابن مندة : تُكُلّمَ فيه .

وقال الدارقطنيّ : يضع الحديث .

وقال يحيىٰ القطان : يضع الحديث .

* * *

رویٰ عنه أبو الفرج الأصفهاني في المواضع التالية من كتابه :

(٥٢/١ ، ٦٤/٢ ، ١٥٦/٣ ، ٥/٤ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ١٥٢/٥ ، ٣٤٧ ، ٢٨١/٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٨٣/٧ ، ١٦١ ، ١٩٦ ، ٢٥٤ ، ٢٨٠ ، ٢٧٢/٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ١٢٣/٩ ، ١٨٨/١٠ ، ٢٥٥ ، ٣٠٢/١١ ، ٢٩١/١٣ ، ٢٦١/١٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٢١/١٥ ، ٣٥٨ ، ٣٣/١٧ ، ١٠٩ ، ٣٩٩/٢٠ ، ٢٨١/٢١) .

٧ - أبو توبة القاصّ (٢) :

قال الدارقطنيّ : شيخ بصريّ ضعيف .

وقال الساجي : بصريّ كذّاب .

* * *

---

(١) ميزان الاعتدال ٥٥٠/٣ ، ولسان الميزان ١٨٦/٥ والكشف الحثيث ص ٣٧١ .

(٢) لسان الميزان ٣٥٤/٦ .

رویٰ عنه أبو الفرج في المواضع التالية من كتابه :

(٣٥٥/١ ، ٢٠١/٣ ، ١٧٢/٥ ، ١٨٩ ، ١٣١/٧ ، ٢٢/١٠ ، ٢٧٧/١٣ ، ٢٩٠ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ١٦٤/١٤ ، ٢٥٢/١٥ ، ٢٠٢/١٦ ، ١٧٨/١٨ ، ٣٠٣ ، ١٣/٢١ ، ٤٧/٢٣ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٩٢) .

٨ - عيسىٰ بن يزيد بن بكر بن دأب [١] :

كان من الكذابين ، يضع الشعر والكلام وينسبه إلى العرب .

قال خلف الأحمر : كان يضع الحديث .

وقال الإمام البخاري : منكر الحديث .

وقال أبو حاتم الرازي : منكر الحديث .

وقال عبد الواحد بن علي : كان يضع الشعر ، وأحاديث السمر وكلاماً ينسبه إلى العرب ، فسقط علمه وخَفِيَت روايته .

* * *

رویٰ له الأصفهاني في المواضع التالية من كتابه :

(٢/٢ ، ٦ ، ٤٤ ، ١٩٥ ، ١٥٢/٥ ، ١٧٣/٩ ، ٢٩١/١٠ ، ١٢٤/١٢ ، ١٨٩/١٣ ، ٥٨/١٧ ، ٥٩ ، ٢٩١ ، ١١٩/١٨ ، ١٤/٢٢) .

---

(١) لسان الميزان ٢٠٨/٤ .

٩ – إبراهيم بن أيوب البرسانيّ الأصفهانيّ [١] :

قال أبو حاتم : مجهول .

* * *

روى أبو الفرج الأصفهاني ، عن هذا المجهول الذي لم يعرفه أحد من علماء الرجال ، في المواضع التالية من كتابه :

(١١/٢ ، ٧٤/٣ ، ١٢١/٤ ، ٧٣/٦ ، ٢٣٩/٨ ، ٢١/٩ ، ١٦٧ ، ٢٣٦/١٠ ، ١٣/١١ ، ٣٦/١٢ ، ١٩٨ ، ٢٤٢ ، ٧/١٣ ، ١١١ ، ٢٦٣/١٤ ، ٣٢٢ ، ٢٣/١٧ ، ١٠/١٩ ، ٣١ ، ١٢١/٢٠ ، ٣١١ ، ٣٤٩) .

١٠ – أحمد بن معاوية الباهليّ [٢] :

قال ابن عَدِيّ : حَدَّث بأباطيل ، وكان يسرق الحديث .

* * *

روى عنه أبو الفرج في المواضع التالية من كتابه :

(٣٣٦/١ ، ١٨٥/٢ ، ٦٨/٣ ، ١٩٤/٤ ، ١١/٨ ، ٢٩٨ ، ١٦٤/١٣ ، ٣١١/١٥ ، ٣٣/١٨ ، ٢٧٤/١٩ ، ٣٥١/٢٠ ، ٢٨٤/٢٢ ، ٨٦/٢٣ ، ٨٧) .

---

(١) ميزان الاعتدال ٢١/١ .

(٢) المصدر نفسه ١٥٧/١ .

١١ - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفريّ (١) :

قال أبو حاتم : منكر الحديث .

وقال أبو نُعَيم الأصبهاني : متروك .

* * *

روىٰ عنه أبو الفرج في المواضع التالية من كتابه :

٧٦/١ ، ٣٢٠/٢ ، ٢١١/٣ ، ٢٤٨/٤ ، ٣٧٠ ، ٩٢/٨ ، ٩٨ ، ١١٣ ، ١٤٣ ، ٦/٩ ، ١٦ ، ١٨ ، ٣٥ ، ٣٤١ ، ١٩٥/١٠ ، ١٧٦/١٢ ، ١٠٣/٢١ ، ١٢١ .

١٢ - يوسف بن إبراهيم الجوهريّ (٢) :

قال الإمام البخاري : صاحب عجائب .

وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، منكر الحُديث ، عنده عجائب .

وقال الحاكم : ليس بالقويّ عندهم .

وقال ابن حبان : يروي عن أنس ما ليس من حديثه ، لا تحلّ الرواية عنه .

وقال العقيلي : ضعيف .

وقال ابن عديّ : ليس بالمعروف ، ولا له كثير حديث .

* * *

---

(١) ميزان الاعتدال ٤٨١/٣ ، ولسان الميزان ٧٨/٥ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤٠٧/١١ .

روىٰ عنه أبو الفرج في المواضع التالية من كتابه :

٢٥٣/١ ، ٢٥٣/٢ ، ٢٩/٣ ، ٣٣٧/٤ ، ٣٦١ ، ٢٢/٦ ، ١٧٣/١٠ ، ٣٠١/١٨ ، ١٥٨/١٩ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ١٣٥/٢٣ ، ٩٨/٢٤ .

١٣ - محمد بن دأب (١) :

قال ابن حبّان : كذّاب .

وقال أبو زرعة : كان يكذب ، وهو ضعيف .

* * *

روىٰ عنه أبو الفرج في المواضع التالية من كتابه :

٢٧٩/٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ١٩/٩ ، ١٦٩ ، ٣٩/١١ ، ٤٤/١٢ ، ٢١٣ ، ١٢٨/١٤ ، ١١٠/١٥ ، ٢/١٩ ، ١٤٩/٢١ ، ٣٩٤ ، ٢٢٨/٢٢ ، ٣٠٩ .

١٤ - إسماعيل بن زيد بن مجمّع (٢) :

قال يحيىٰ بن معين : ضعيف .

* * *

روىٰ عنه أبو الفرج في المواضع التالية من كتابه :

٦٧/١ ، ٣/٢ ، ٢٨١/٨ ، ٢٥٣/١١ ، ٤٠/١٢ ، ٢٤٨/١٦ ، ٥٨/١٨ ، ٢١٧/١٩ .

---

(١) ميزان الاعتدال ٥٤٠/٣ .

(٢) لسان الميزان ٤٠٧/١ .

١٥ - عيسىٰ بن عبد الله بن محمّد العَلَويّ (١) :

قال الدارقطنيّ : متروك الحديث .

وقال ابن حبّان : يروي عن آبائه أشياء موضوعة .

* * *

روىٰ عنه أبو الفرج في المواضع التالية من كتابه :

١٣٤/٣ ، ٢٦٣/٩ ، ٢٦٤ ، ٤/١٢ ، ١٢١/٢١ ، ١٢٢ .

١٦ - أيّوب بن سيّار الزهريّ (٢) :

قال ابن معين : ليس بشيء .

وقال ابن المديني : هو عندنا غير ثقة ، لا يُكتَبُ حديثُه .

وقال السعدي : غير ثقة .

وقال النسائيُ : متروك لا يُكتَبُ حديثُهُ ، وكان من الكذابين .

وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث .

* * *

روىٰ عنه أبو الفرج ثلاث روايات في المواضع التالية من كتابه :

٧١/١ ، ٥٤/٩ ، ٢٤٢/٢٢ .

---

(١) لسان الميزان ٣٩٩/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٤٨٢/١ .

١٧ - أبو الحجّاج ، النضر بن طاهر [1] :

قال ابن عَديّ : يسرق الحديث ، ويروي عن مَن لم يَرَه ممّن لا يحتمله سِنُّه .

وقال ابن أبي عاصم : سمعتُ منه . ثم وقفتُ منه على كذب : ثم رأيته بعد ما عَمِيَ ، يحدّث عن الوليد بن مسلم ، بما ليس في حديثه ، فيبالغ في الكذب .

* * *

روىٰ عنه أبو الفرج ثلاث روايات في كتابه :

٣/٢٠٥ ، ٢٣/٧ ، ٨ .

١٨ - محمّد بن عمّار بن محمّد بن عمّار [2] :

قال ابن الجوزي في العلل : إنّه هو وأبوه مجهولان .

* * *

روىٰ عنه أبو الفرج روايتين في كتابه :

٣/٣ ، ١٧/١١٨ .

١٩ - عثمان بن عمارة بن حريم المرّي [3] :

ذكر له الإمام الذهبي حديثاً واحداً ، ونبّه على كذبه ، وقال ، قاتل الله مَن وضع هذا الإفك .

* * *

---

(١) ميزان الاعتدال ٤/٢٥٨ ، ولسان الميزان ٦/١٦٢ .

(٢) لسان الميزان ٥/٣١٨ .

(٣) ميزان الاعتدال ٣/٥٠ ولسان الميزان ٤/١٥٢ .

رویٰ عنه أبو الفرج رواية واحدة في ٢/١٥ .

٢٠ - محمّد بن حميد الرازيّ (١) :

قال الحافظ صالح (جزرة) بن محمد البغداديّ :

كنا نتّهم ابن حميد في كل شيء ، ما رأيت أجرأ على الله منه ، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها علىٰ بعض .

وقال أبو أحمد العسّال :

سمعت فضلك الرازيّ يقول : دخلت على محمد بن حميد ، وهو يركّب الأسانيد علىٰ المتون .

* * *

رویٰ عنه الأصفهاني رواية واحدة في ١/١٧ .

٢١ - إسماعيل بن زياد الطائي (٢) :

قال ابن حجر العسقلاني : شيخ دجّال ، لا يحلّ ذكره في الكتب إلّا علىٰ سبيل القَدْحِ فيه .

* * *

رویٰ عنه الأصفهاني رواية واحدة في ٣/١٨٥ .

٢٢ - محمد بن عليّ بن معاذ السمرقنديّ (٣) :

ذكره الإدريسي في تاريخ سمرقند ، وقال :

كان يُؤدّب بسمرقند ، وكان كذّابا ، يضع على الثقات روايات لم يذكروها ، ويروي عن مَن لم يلحقهم ، فتركنا الرواية عنه ، توفي سنة ٣٥٩ هـ .

* * *

---

(١) الكشف الحثيث ص ٣٦٧ .

(٢) لسان الميزان ١/٤٠٦ .

(٣) المصدر نفسه ٥/٤٩٤ .

رویٰ عنه الأصفهاني رواية واحدة في ٣/١٥٦ .

٢٣ - سعيد بن سلّام العطّار (١) :

قال ابن نمير : كذّاب ، كذّاب (مرّتين) .

وقال الإمام البخاري : يُذكَر بوضع الحديث .

وقال النسائيّ : بصريّ ضعيف .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : كذّاب ، إضرِبْ على حديثه .

وقال أبو حاتم : منكر الحديث .

* * *

رویٰ عنه الأصفهاني رواية واحدة في ٣/١٤٦ .

* * *

وبعـد :

فهذه طائفة من الرواة الذين اشتهروا بالكذب ، وعُرِفوا بالوضع ، والدجل ، يعتمد عليهم أبو الفرج ، ويروي عنهم الروايات الكثيرة ، التى تسيء إلى تاريخنا ، وأدبنا ، ورجالنا ، وأعلامنا .. وإذا كان هؤلاء الرواة يتجرّءون علىٰ رسول الله ﷺ ، بالكذب ، فهم أشدّ جرأة في الكذب على سائر الناس .

ورُبَّ قائل يقول :

إنّ أخبار الأدب والغناء ،والسمر ، لا تُشْتَرَطُ فيها شروط التوثيق الواردة في الحديث الشريف والسيرة النبوية الكريمة ، وإنّ علماءنا كانوا يتساهلون في الرواية لغير أحاديث الأحكام والعقائد .

---

(١) لسان الميزان ٣/٣١ ، ٣٢ ، والكشف الحثيث ص ٣٠٩ .

فنقـول :

ذلك صحيح ، عندما يكون الرواة من المعروفين بالعدالة والثقة ، وأما الرواة المجروحون والمطعون عليهم ، فكان العلماء يجتنبون الرواية عنهم في كل شيء ، لأنهم غير مأمونين .

ومع ذلك فقد يتساهلون في رواية أو روايتين ، أمّا أن تبلغ الروايات عنهم عدة مئات ، وتمتلئ صفحات الكتاب بأسمائهم البغيضة ، فهذا ما لم نعهده عند الحريصين علىٰ تاريخنا وأدبنا وقيَمِنا ... وإنما نجد ذلك عند الهدامين ، والشعوبيين ، والدجالين ، والمشعبذين والمستشرقين ، والحاقدين ، الذين أعماهم الحقد على هذه الأمة المجيدة ، وتاريخها المشرق الوضاء ، وأدبها الكريم ، وطبعها السليم ، فأكل قلوبهم الحَسَد ... فَتَحرّوا الأخبار الواهنة ليملأوا بها صفحات سوداء مظلمة ، تسيء الصديق وترضي العدو ..

كتاب الأغاني

كان أبو الفرج الأصفهاني ، من الكتّاب المتّسعين في مؤلفاتهم ، وقد جمع في كتابه (الأغاني) أخباراً شتّى ، في الأدب والشعر والغناء ، من الجاهلية إلى صدر الإسلام ، ثم العهد الأموي ، والعباسيّ ، وتناول أغراضاً شتّى في التفسير والحديث والسيرة والفقه واللغة ، وأخبار الفتوح ، وأحوال الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء والأدباء ، وسروات الناس .

ووقف في كل ذلك إلى عهد الخليفة العباسيّ المعتضد بالله ، المتوفى سنة ٢٨٩ هجرية ، ولم يرد في (الأغاني) بعد ذلك العهد شيء عن الخلفاء أو الأمراء أو الوزراء أو العلماء .

* * *

وكان كتاب الأغاني متداولاً في نطاق ضيّق ، ولم ينتشر كغيره من الكتب ، وذلك لسَعَته ، وعظم حجمه ، وصعوبة نسْخِه ، وإنما كانت منه بضع نُسَخٍ لدى الأمراء والوزراء وبعض الأدباء .

وقد تولّت دار الكتب المصرية طبعه – بعد الطبعة الاستشراقية – وأخرجته بأربعة وعشرين مجلّداً كبيراً ، وحشدت له جمعاً من العلماء والأدباء لتحقيقه فكيف به حين كان مخطوطاً ؟

إن العلماء المتوثّقين كانوا قد انصرفوا عن كتاب الأغاني ، لِما يعرفون من تهافت روايات الأصفهاني ، وأخباره الضعيفة .

أما الأدباء وأرباب السمر والمؤانسة ، فكانوا يقرءون فيه ، ويشيدون به ، ويبدو لي أنّ فئة قليلة من الناس ، قرأت كتاب الأغاني كلّه ، وسائر الناس كانوا يبحثون فيه عن ترجمة ، أو خبر ، أو قصيدة ، أو حكاية .

وأنا شخصياً قد سألت عشرات من الأساتذة المعنيّين في هذه الجوانب ، بجامعة بغداد وغيرها ، عن قراءة (الأغاني) كله ، فلم يخبرني واحد منهم أنّه قرأه كاملاً .

وإنما كان أغلبهم قد نظروا فيه ، أو قرءوا بعض أجزائه ، أو دَرَسوا مصادره ، ولم يَدرسوا أخباره .

وهكذا بقيت سمعة الكتاب تجلجل في أوساط أهل الأدب والتاريخ ، يضاف إليها ما يشير إليه (المستشرقون) من فضل الكتاب وأهمّيته ، وهم أوّل من تولّى طبعه ونشره .

وأنا لو لم أتوفّر على قراءة (كتاب الأغاني) بعناية وتأنٍّ وتمحيص ومناقشة ومتابعة ، استغرقت سنتين ، حتى عرفت ما فيه ، لبقي الكتاب كبيراً في عيني وقلبي ...

* * *

لقد قام الوزير أبو القاسم المغربي المتوفى سنة ٤١٨ هجرية ، باختصار كتاب الأغاني .

وكذلك فعل القاضي جمال الدين ابن واصل الحموي المتوفى سنة ٦٩٧ هجرية ، واختصره العلامة ابن منظور المتوفى سنة ٧١١ هجرية ، وسماه (مختار الأغاني) . واختصره أخيراً الشيخ محمد الخضري بك ، وحذف منه الأسانيد ، وما لم يستحسن ذكره من الفحش المخلّ بالأدب ، وثبّت الأشعار كما قالها الشعراء ، لا كما أنشدها المغنّون ، وتصرفوا فيها ، وشوّهوا ألفاظها ، وقد أشارت لجنة تحقيق الأغاني إلى هذه المختصرات ، في تصدير كتاب الأغاني (١) .

---

(١) الأغاني ١/٣٧ .

١ - قال ياقوت الحموي :

« قال أبو محمد المهلّبي : سألت أبا الفرج ، في كم جمعتَ هذا الكتاب ؟ فقال : في خمسين سنة » .

وأنه كتبه مرةً واحدة في عمره ، وهي النسخة التي أهداها إلى سيف الدولة ابن حمدان ، فأعطاه ألف دينار [١] ، وبلغ ذلك الصاحب ابن عباد ، فقال : لقد قصّر سيف الدولة ، وإنّه يستحق أضعافها .

وكان الصاحب بن عباد يستصحب كتاب الأغاني في سفره .

وقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، كاتب عضد الدولة (لم يكن كتاب الأغاني يفارق عضد الدولة في سفره ولا في حضره ، وإنّه كان جليسه الذي يأنس به ، وحديثه الذي يرتاح إليه) [٢] .

٢ - أما ابن خلدون فقد وصف كتاب الأغاني بقوله :

« ... جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم ، وأنسابهم ، وأيّامهم ، ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء في مائة الصوت التي اختارها المغنّون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك أتمّ استيعاب وأوفاه ، ولعمرى إنّه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت إليهم ، في كل فنّ من فنون الشعر والتاريخ والغناء ، وسائر الأحوال ، ولا يعدل به فى ذلك كتاب فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ، ويقف عندها ، وأنّى له بها » [٣] .

---

(١) إن العلاقة بين الحمدانيين والبويهيين ، كانت سيئة جداً ، ويصعب على أبي الفرج أن يهدي كتابه إلى سيف الدولة ، وهذه المسألة قد ناقشها وفنّدها الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتابه (أبو الفرج الأصفهاني / الرواية ص ٨٢ ، ٨٣) وهو يرى أنها من وضع بعض النساخ ، لترغيب الناس في كتاب الأغاني .

(٢) معجم الأدباء ٩٧/١٣ ، ٩٨ ، وتصدير كتاب الأغاني ٣٢/١ ، ٣٣ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٤ وفيه : ألّف القاضي أبو الفرج الأصفهاني ... قلت : ما كان أبو الفرج قاضياً أبداً ، ولا أشار إلى تولّيه القضاء ، أحدٌ ممن ترجموا له ، أو كتبوا عنه .

ويبدو لنا أن ابن خلدون لم يقرأ كتاب الأغاني كاملاً ، حتىٰ يصفه أنه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت إليهم ... لأن الكتاب على عكس ذلك ، فقد جمع كثيراً من المثالب والمخازي وألصقها بالعرب ، وأنا قد جمعت طرفاً من أخباره في أهل البيت وفي الأمويين ، وفي أعلام العرب المسلمين وعقائدهم ، ما يستحي منه القارىء .

والذي أراه أنّ ابن خلدون نقل ذلك من آراء الآخرين ، وهوىٰ ابن خلدون يتفق مع الأصفهاني ؛ النَّيل من العرب ، والحطّ من شأنهم ، وأمره في ذلك معلوم مشهور .

٣ - وذكر ابن خلدون ، أن ابن حزم قال (١) :

« أخبرني بُكيّة - وكان علىٰ خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان - أن الحكم المستنصر كان يبعث في الكتب إلى الأقطار ، رجالاً من التجار ، ويسرّب إليهم الأموال لشرائها ، حتىٰ جلب إلىٰ الأندلس ، ما لم يعهدوه ، وبعث في كتاب الأغاني إلى مصنّفه أبي الفرج الأصفهاني ، - وكان نسبه في بني أميّة - وأرسل إليه فيه ألف دينار من الذهب العين ، فبعث إليه بنسخة منه ، قبل أن يخرجه بالعراق » (٢) .

٤ - طه حسين والأصفهاني :

لقد كان الدكتور طه حسين من أشدّ الناس تعلّقاً بكتاب الأغاني ، كثير الاعتماد عليه ، في بناء آرائه وأحكامه ، اسمعه يقول :

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٤٦ .

(٢) كيف سمع به الخليفة المستنصر الأموي في الأندلس ، قبل أن يخرجه أبو الفرج بالعراق ؟ وهل بعث أبو الفرج بالكتاب كاملاً ، أم نقّحه من أخبار بني أميّة التي أساء بها إليهم ؟! .

« ... كان القدماء يجدون في أخبار أبي الفرج ، وفي أخبار الطبري ، ما يكفيهم ، ويسدّ حاجتهم إلى الحفظ والرواية ، وكان ما كتب أبو الفرج والطبري وغيرهما من الأدباء ملائماً كل الملاءمة لعقول هؤلاء الناس ، الذين كانوا لا يبتغون من الأدب والتاريخ مثلما نبتغي نحن الآن ، والذين كانوا يستطيعون أن يتركوا عقولهم ومنطقهم إذا عَرضوا لقراءة مثل هذه الكتب [١] .

وأن لا يعتمدوا على هذه العقول ، ولا علىٰ هذا المنطق ، إلّا إذا عرضوا للفسلفة ، أو الكلام ، والفقه ، أو نحو ذلك من العلوم التي تحتاج إلى النظر ، وتدعو إلى الجدال ، كانوا يعتمدون في قراءة الأدب والتاريخ على الرواية من جهة ، وعلى الذوق من جهة أخرىٰ ، وكانوا يرضون الرضا كله ، إذا رُوِيت لهم الأخبار عن طريق هؤلاء الثقات ، الذين اعتمد عليهم القدماء في نقل السير والأخبار ، كما كانوا يَرْضَوْن الرضا كله ، إذا وقعت إليهم القصيدة الجيّدة ، أو المقطوعة المختارة ، فلاءمت أذواقهم ومثلهم الأعلىٰ في الفن . أمّا نحن فأشدّ من هؤلاء القدماء طمعاً ، وأكثر منهم تحفّظاً ، لا تكفينا أسماء الثقات من الرواة ، ولا يكفينا جمال القصيدة ، وجودة المقطوعة ، وإنما نريد أن نتخذ كل شيء موضوعاً للبحث والنقد والتحقيق والتحليل ، ولا نكاد نفرق في ذلك بين الأدب والعلم ، لأننا لا نبتغي من الأدب والتاريخ رواية الأعاجيب والعظات ، ولا إرضاء الذوق والميل الفني ، وإنما نتخذ الأدب والتاريخ مرآة للأمم ، وسبيلاً إلى فهم حياتنا العقلية والشعرية ، وإلى فهم ما خضعت له من ألوان النُّظُم المختلفة » [٢] .

* * *

(١) انظر جفوة العبارة .

(٢) حديث الأربعاء ١/٢٣٠ ، ٢٣١ .

إن طه حسين لم يخضع أخبار الأغاني إلى البحث والنقد والتحليل ، – كما زَعَم – ولم يعترض على صاحب الأغاني إلّا في موضعين أو ثلاثة من أربعة وعشرين مجلداً وكأنه اعتبر أخبار الأغاني وثائق دامغة بنىٰ عليها أحكامه القاسية عن القرن الثاني الهجري ، حين قال : « ... كان هذا العصر إذن عصر شك في كل شيء ، وعصر مجون وتهتُّك في الحياة العملية ، وفي القول أيضاً » (١) .

وقوله أيضاً :

« فاعتقدت ومازلت أعتقد أن القرن الثاني للهجرة ، على كثرة مَن عاش فيه من الفقهاء ، والزهاد ، وأصحاب الشك ، والمشغوفين بالجد ، إنما كان عصر شك ومجون ، وعصر افتتان وإلحاد عن الأخلاق المألوفة ، والعادات الموروثة والدين أيضاً » (٢) .

إن طه حسين قد وضع كتابه (حديث الأربعاء) بأجزائه الثلاثة ، وَجُلُّ مادته مستقاة من كتاب الأغاني ، ولم يُخضِعْ تلك الأخبار للبحث والتحقيق والتمحيص والنقد كما ادعىٰ ، واعتبرها مُسَلَّمات ، بنىٰ عليها أحكامه ، فهل ألغىٰ عقله ومنطقه كالقدماء ؟!

لقد كان من عادة طه حسين ، أنّه يشكّك في كلّ ما هو جدير بالاحترام والاعتزاز ، في الأدب العربي والسيرة النبوية الشريفة ، وأخبار الفتوح والمغازي ، بل تجرأ في بعض الوقت ، وحاول أن يناقش آيات القرآن الكريم ، ليوسْوِسَ في صدور الناس .

ولكنه هنا يتضاءل ويذوب أمام كتاب الأغاني ، لماذا ؟ إنها الشعوبية !!

* * *

(١) حديث الأربعاء ٢/٢٩ .
(٢) المصدر نفسه ٢/١٨٦ .

شعُوبِيَّة طَه حُسَين

جاء في كتاب (حديث الأربعاء) قول طه حسين ، على سبيل المحاورة مع صديق له :

« إنْ أردتَ أن ترضي هؤلاء الناس ، فتَملَّق حبَّهم للعرب ، وإسرافَهم في هذا الحب ، وأضِفْ إلى العرب ما قالوا ، وما لم يقولْوا ، وما عملوا وما لم يعملوا ، واجعل أُمَّتَهم أشرف الأمم ، ولغَتَهم أشرفَ اللغات ، وأدَبَهم أرقىٰ الآداب ، لا تحسب في ذلك حساباً ، ولا تنتهِ فيه إلى مقدار ، ولا تعترف للأمم الحديثة بشيء ، إلّا أن تكون قد وَرِثْته عن العرب ، ونقلته عنها نقلاً ، اسلُكْ في الأدب – لترضي هؤلاء الناس – مسلَكَ قوم في السياسة ، واتخذ الحقائق الأدبية موضوعاً للتضليل ، كما يتخذون المنافع السياسية ، تَفُزْ بما شئت من تصفيق وإعجاب ، وبما أحبَبْتَ من حمد وثناء ، ولكنّك تسيء إلى العلم ، وتعتدي عليه ، فاختَر بين رضا العلم ، ورضا الجماهير » [١] .

* * *

هل هذا صحيح ؟

وهل صدق طه حسين في هذا التعبير والوصف ؟

ومن أين جاء طه حسين بهذا الرأي !

---

(١) حديث الأربعاء ١/٢١٥ ، ٢١٦ .

ومتىٰ كان العرب لا يعترفون ، لغيرهم من الأمم بشرف أو أدب أو تاريخ أو أية مفاخر أخرىٰ ؟!

ولماذا يكون الاعتزاز بأمجادنا وأجدادنا تملّقاً للجماهير ، وتضليلاً لها ، وإساءة للعلم ، واعتداءً عليه ؟

ولماذا يكون انتقاصُ أجدادنا وذمُّهم ، وتجهيلُهم ، والتقليلُ من شأنهم خدمةً للعلم والتاريخ !

هذه قضية فلسطين ، قد مضىٰ عليها نصف قرن ، ولم يكتب عنها طه حسين سطراً واحداً ، ولا كلمة واحدة ، وهو (عميد الأدب العربي) ! وبقي ساكتاً نصف قرن ، فلا هو خدَمَ العلم ، ولا هو أرضىٰ الجماهير ، ولكنه أرضىٰ الأسياد .

ويبدو لي أن طه حسين في أيامنا في الهدم والتشكيك ، يُشْبِهُ الأصفهانيَّ ، في أيامه ، (كلاهما ذو قوةٍ وفَتْكٍ) ، ولكلٍّ دورُه .

٥ – قال الأستاذ حسين مروّة ، في التعريف بكتاب الأغاني :

« لا شك أنّ كتاب الأغاني يُعَدّ في الطبقة الأولىٰ من تراثنا القديم ، ولكنَّ لهذا الكتاب ميزةً جديدة غير هذه ، أي غير كونه تراثاً فكريًّا ثقافياً محضاً ، ومن خلال هذه الميزة ، يستحق أن يُنْظَرَ إليه علىٰ وجه جديد .

وميزة الأغاني هذه : هي أن مؤلّفه أبا الفرج الأصفهاني ، قد عُني عناية ظاهرة في أن يسجل فيه الحياة العربية في عصره ، وفي العصور التي سبقته ، تسجيلاً أميناً صادقاً شاملاً » (١) .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٦٥/٥ ، ويبدو من هذه العبارة أن الأستاذ مروّة لم يقرأ كتاب الأغاني كله ، لأن أبا الفرج لم يذكر عن عصره شيئاً أبداً ، وإنما تكلم عن العصور السابقة ، ووقف عند عهد المعتضد بالله المتوفىٰ سنة ٢٨٩ هـ ، ولعله خشي أن يمتد إلى عصره ، فيضطر إلى ذكر أشياء لا تحسن عن آل بويه ، أسياده وأولياء نعمته .

وقال أيضاً :

« ولقد مكّنه علمه وأدبه ، ومكّنه استقلاله الفكري وتحرُّرُه من كلّ ما يقيّده بصلة مع الحكام ، ومكّنه اطلاعه على شئون الحياة العامة ، في أوساط الشعب كافّة ، لقد مكّنه أن يكتب (الأغاني) في استيعاب شامل ، وفي صراحة ليس معها محاباة ، ولا رياء ، ولا مَلَق .

بل لقد بلغ به استقلاله الفكري وتحرّره من علاقات العيش بذوي السلطان ، على اختلاف في درجات السلطان ، وبلغ به التجرّد العلمي من كلّ ما كان يَعرِفُ أهل عصره من العَصَبيّات ، أنه كتَبَ الأغاني بطريقة موضوعية ، ليس متأثراً فيها بشيء من الدوافع الذاتية ، فلم يستسلم لعصبية من العصبيات ، ولم يندفع مع خوف من خليفة ، أو ملك ، أو وزير ، بل لم يحذر من تقاليد الناس ، ومواضعاتهم العرفية في الأخلاق الشائعة » (١) .

وقال أيضاً :

« ولابد من القول أخيراً إنّ صاحب الأغاني . كان أمينا للتاريخ كل الأمانة ، فلم يذكر حديثاً ولا حكاية ، ولا رواية ، ولا شعراً ، إلّا اجتهد في إسناده إلى عدد من الرواة والأسانيد .

ولذلك يمكن القول إنه من التجنّي على المؤلف ، ما كَتَبَ بعض مؤرخي الأدب المعاصرين ، من أنّه لا يجوز الاعتماد على (الأغاني) من الناحية التاريخية الشاملة » (٢) .

---

(١) إن طعون الأصفهاني في تاريخنا وأعلامنا ، لم تكن نتيجة استقلاله الفكريّ ، بل كانت بالعكس من ذلك ، كانت بتأثير من آل بويه ، أو تملّقاً وتزلّفاً منه لهم ، بما يوافق هوىٰ نفوسهم ، من عيب أسلافنا ، والاستخفاف بالبيوت الكريمة ، والعقائد الإسلامية ، وبخاصة مناسك الحج .

(٢) إن الذين رأوا عدم الاعتماد على (الأغاني) كانوا على صواب ، ولو أنّ السيد=

٦ - قال الأستاذ شفيق جبري :

« ... إني اجتمعت في بيروت [سَنة ١٩٤٨ م] إلى إمام الأدب الدكتور طه حسين ، فسألني عن عملي في كلّية الآداب ، فقلت له : دراسة كتاب الأغاني .

فَتَبَيَّنَ الارتياح في وجهه ، ثم أخذت أصف له النواحي التي جمعتها ، وانقطعت إلى الكلام عليها ، وكنت أشعر بأني كلما ذكرت له ناحية منها ، ازداد اهتزازاً وارتياحاً [١] .

حتى قال : هذا عمل لم يعمله غيرك ، ثم طلب إليّ - حفظه الله - أن أجيء إلى مصر في الشتاء ، وأن أحاضر بكتاب الأغاني محاضرتين أو ثلاث محاضرات » [٢] .

قال الأستاذ شفيق جبري :

« لقد اطّلعنا على أشياء كثيرة في هذا الكتاب ، ولكننا لا نزال حائرين في أمره ، أصحيح أن أبا الفرج لم يَرْمِ في تأليف كتابه إلّا إلى جمع ما حضره ، وأمكنه جمعه من الأغاني العربية قديمها وحديثها ؟ فما هذه الآثار والأخبار والسير والأشعار المتَّصلة بأيام العرب في الجاهلية ، وا لخلفاء في الإسلام ؟

= مروّة قرأ ما جاء في الأغاني عن أهل البيت ، لتبرّأ منهم ، إذا كان يثق مثل هذه الثقة بأمانة الأصفهاني التاريخية وصدقه ، وإذا كانت ثقته عالية بأهل البيت وطهرهم وشرفهم وحسن سيرتهم ، لشك بروايات الأغاني ، وجرّده من أيّة أمانة علمية ، ولكنه لم يقرأ الكتاب ، بل تصفّحه وقلّبه ، ليكتب عنه هذا التعريف السطحي المرتجل .

(١) لاحظ التأكيد على ارتياح طه حسين إلى مثل هذه الدراسة .

(٢) كتاب دراسة الأغاني (المقدمة) ص ٧ ، ونفهم منها أن الكتاب وُضِعَ بتشجيع من الدكتور طه حسين .

فهل تستّر بجمع الأغاني تستُّراً ، حتىٰ يبلغ إلى ما بلغ إليه من كشف الغطاء عن أنماط من الحياة ، لولا معرفتنا إياها لفاتنا كثير من تاريخنا ، ولكن لماذا هذا التستر ؟

فلو كانت الأذواق في عصره ، لا تألف هذا النوع من الأخبار التي رواها ، لوصل إلينا شيء من استنكارها ...

ولكن لماذا روىٰ أبو الفرج أخباره ولم يعلّق عليها ؟

لماذا روىٰ هذه الأخبار ، وترك للقارىء حريّة تَدَبُّرها ؟

أفكان يخشىٰ شيئاً من صولة السلطان ؟

هذه أمور ، نمرّ بها ، ولا نرىٰ لها إيضاحًا » (١) .

ثم يستطرد جبري ، ويشيد بصدق الأصفهاني وورعه وأمانته ، ويستشهد على ذلك بقول الأصفهاني في أخبار مجنون بني عامر :

« ... وأنا ذاكر مما وقع إليّ من أخباره جُمَلاً مستحسنة ، متبرّئاً من العهدة فيها ، فإنّ أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ، ينسبها بعض الرواة إلى غيره ، وينسبها من حَكَيْتُ عنه إليه ، وإذا قدّمت هذه الشريطة ، برئت من عيب طاعن ، ومتّبع للعيوب » .

يقول جبري :

« فهذه العبارة تدلّنا على مقدار ورعه في الروايات ، فإنّ نفسه من شدّة هذا الورع ، لا تنفكّ تحدّثه بالتبرّؤ من العهدة ، وأنّه لا يجد احتمال التبعة ، ويتجنب عيب الطاعنين ، وهذا كله عنوان صدقه وشدّة توقّيه » (٢) .

---

(١) دراسة الأغاني ص ١٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨ ، وهذا ليس من شدة توقّيه ، بل إنه من فنون كيده ، حين يتبرأ من العهدة في أخبار مجنون بني عامر ، ويشك فيها ، ولا يتبرأ في العهدة ، ولا يشك في المخازي والمساوىء والسخائم التي شوّه بها تاريخنا وكثير من أمثال جبري ، يشيدون بأمانة الأصفهاني مخدوعين بعبارته السابقة وأمثالها .

ويعود جبري لينقل لنا خبراً قريباً من الأغاني ، يرويه محمد بن مزيد ، ويعجب منه ، وينقل قول الأصفهاني في آخره وهو : « هكذا حدثنا ابن الأزهر ، بهذا الخبر ، وما أدري ما أقول فيه » .

ويعقّب جبري على ذلك بقوله :

« علىٰ أني لم أجد لابن الأزهر ذكراً في الأسانيد ، وقد يجوز أن تختلط أسماء الرواة في بعض الأحيان علىٰ أبي الفرج ، فيضع اسماً موضع اسم ، غير أنّ الأمر ليس بذي شأن عظيم ، فالمهمّ الخبر نفسه » (١) .

* * *

إن شفيق جبري قد فضح نفسه بهذه العبارة ، حين اتّهم أبا الفرج بأنّه تختلط عليه أسماء الرواة في بعض الأحيان ، وأنّه يضع اسماً موضع اسم ، وهذا مطعنٌ كبيرٌ في منهج الأصفهاني ، ويضمحل به ورعه وشدة توقيه ، وهو أمر بالغ الخطورة .

فكيف يقول جبري : غير أن الأمر ليس بذي شأن عظيم !

إذن أين يكون الشأن العظيم إذا خلطنا الأسماء ؟

إن الأصفهاني لم تختلط عليه أسماء الرواة ، لأن محمد بن مزيد ، هو نفسه ابن الأزهر ، أو ابن أبي الأزهر ، ويذكره أجدادنا تارة : محمد ابن مزيد ، وتارة : ابن الأزهر أو ابن أبي الأزهر ، وتارة بهما .

ولو كان شفيق جبري يعرف كتب الرجال والرواة ، لعرف ذلك ، ولعلم أن محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ، كان من الكذابين الذين لا تصحّ الرواية عنهم ، وأن أبا الفرج قد روىٰ عن هذا الهالك كثيراً .

---

(١) دراسة الأغاني ص ٧٤ .

وإذا شك أبو الفرج في رواية واحدة ، فقد سكت عن روايات عديدة ، وشكّه في هذه يدعو إلى تصديق الروايات الأخرىٰ مادام قد سكت عنها ، وهذا من كيد أهل أصفهان ، فلا تغفل عن ذلك .

ثم يقول جبري :

« لقد وقفنا علىٰ أشياء كثيرة من تحقيق صاحب الأغاني ، واطّلعنا على نزاهته وحرصه على براءة الذمّة ، فهو لم يرو الأخبار على علّاتها . فقد كان يشكّ في بعضها ، ويحقّق في بعضها ، وظهرت آثار إنصافه في مواطن من تراجمه .

فإذا لم يظهر كتاب آخر في عصره ، يكذّب ما جاء في بعض أخبار الأغاني أو يبطلها بأسلوب يشبه أسلوب أبي الفرج في التحقيق ، فلا مفر لنا من تصديق أخبار الأغاني (١) .

لقد وقفنا على آراء بعض الأئمة في هذا الكتاب الجليل ، فلم يلجأ أحد إلى تكذيب صاحبه ، لا في حياته ، ولا بعد موته (٢) .

---

(١) هذا شرط غريب لم نعهد مثله في تقويم الكتب والمؤلّفات ، وتوثيقها وتضعيفها ، ولا أدرى لماذا يشترط مثل هذا الشرط .

(٢) سبق أن أشرنا إلى أقوال السلف الصالح في أخبار الأصفهاني ، وقيمة مروياته ، انظر مثلاً تاريخ بغداد للخطيب المتوفى ٤٦٣ هـ ، جـ ١١ / ٣٩٨ ، والمنتظم لابن الجوزي المتوفي ٥٩٧ هـ ، جـ ٧ / ٤٠ ، ٤١ ، وميزان الاعتدال للإمام الذهبي المتوفي ٧٤٨ هـ ، جـ ٣ / ١٢٣ وهذا أيضا يدل على قلّة بضاعة شفيق جبري ، وعدم اطّلاعه على تراثنا ، وجرأته في شروطه وأحكامه ، وكل هذه العثرات يسمعها طه حسين ويسكت عليها ، لأنها توافق هواه ، ولو كانت ثمرة نيّئة فجّة ، غير ناضجة .

وإذا قال أحدهم فيه : إنّه أكذب خلق الله ، فإنّما قوله يذهب جفاء لأنه لم يأت بدليل ضعيف أو قويّ على تكذيبه ، ومجرّد التكذيب لا يطمس محاسن كتاب اشتغل به صاحبه خمسين سنة » [١] .

* * *

إنّ دراسة شفيق جبري لكتاب الأغاني ، سطحية ، وعاطفية ، غير متينة ، ولو أنه ناقش بعض الأخبار والحكايات ، بأسلوب علمي رصين ، لرأى كثيراً من الأخبار قد احتوت أغلاطاً تاريخية فاضحة ، وإنّ لجنة تحقيق الكتاب قد أشارت إلى بعضها ، وصوَّبَت أخريات ، وسكتت على بعضها ، لأنها لا تعرفها هي أيضاً ، وأنا قد جمعتُ كثيراً منها في كتابي هذا .

ولو أن السيد جبري ناقش السند ، ووقف عنده بتأمل ، ورجع إلى كتب الجرح والتعديل ، لرأىٰ طائفة من الكذابين ، وقد أكثر الأصفهاني من الرواية عنهم ، وحتىٰ قول الأصفهاني ، إنه ألّف كتابه في خمسين سنة ، فهي كذبة أخرىٰ يضيفها إلى أكاذيبه ، أراد منها أنه بدأ بتأليف الكتاب قبل عهد البويهيين ، ليدفع عن نفسه تهمة التبعيّة لهم .

٧ – ونختم كلامنا عن كتاب الأغاني بقول الدكتور محمد أحمد خلف الله :

« إن كتاب الأغاني لم ينل حظّه الفائق من الشهرة ، إلّا بعد أن فَقَدَت المكتبة العربية كثيراً من الكتب ، وكثيراً من المرويّات التي اعتمد عليها أبو الفرج في التأليف .

---

(١) دراسة الأغاني ص ٨٩ .

ولولا ذلك لظلّ الكتاب وَسَطًا بين الكتب ، وظل أبو الفرج – كما كان في عصره – من الأدباء الذين يحسنون السَمَر ، ويجيدون قصّ الأخبار ، ولا شيء وراء هذا .

فليس الرجل بالشخصيّة الجبّارة ، وليس الرجل بالعقلية الفذّة ، حتى يضخم ، وتتضاءل إلى جانبه جميع الشخصيات .

أبو الفرج شخصيّة عادية ، أو أديب مغمور في عصره » [١] .

(١) أبو الفرج الأصفهاني / الراوية ص ١٧ .

شُعُوبِيَّة الأَصفَهانى

قال أبو الفرج الأصفهاني :

« إن أصل المثالب زياد لعنه الله ، فإنّه لما ادُّعِيَ إليٰ أبي سفيان ، وعَلِمَ أن العرب لا تقرّ له بذلك ، مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره فيهم ، عمل كتاب المثالب ، فألصق بالعرب كلّها كل عيب وعار ، وحقٍّ وباطل ، ثم بنىٰ على ذلك الهيثم بن عديّ ، وكان دَعِيًّا ، فأراد أن يعرّ أهل البيوتات تشفياً منهم ، وفعل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ ، وكان أصله يهودياً ، أسلَمَ جده علىٰ يدي آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه . فانتمىٰ إلى ولاء بني تيم ، فجدّد كذب زياد ، وزاد فيه ، ثم نشأ غيلان الشعوبي لعنه الله ، وكان زنديقاً ثنوياً ، لا يُشَكُّ فيه ، عُرِفَ في حياته بعضُ مذهبه ، وكان يورّي عنه في عوراته للإسلام بالتشعّب والعصبية ، ثم انكشف أمره بعد وفاته ، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين ، وكان شديدا التشعّب والعصبية ، خارجًا عن الإسلام بأفاعيله ، فبدأ بمثالب بني هاشم ، وذكر مناكحهم ، وأمهاتهم ، وصنائعهم ، وبدأ منهم بالطيّب الطاهر رسول الله ﷺ ، فغمَصَه وذكره . ثم والىٰ بين أهل بيته الأذكياء النجباء عليهم السلام ، ثم ببطون قريش علىٰ الولاء ، ثم بسائر العرب ، فألصق بهم كل كذب وزور ، ووضع عليهم كل خبر باطل ، وأعطاه طاهر علىٰ ذلك مائتى ألف درهم فيما بلغني » (١) .

* * *

(١) الأغاني ٢٠/٧٧

إن الذي يقرأ هذا الخبر ، ينفي عن أبي الفرج الشعوبية والتعصب ، ويرىٰ فيه باحثاً أميناً صدوقاً غيوراً .

وهذا الهيثم بن عدي ، وهو كاذب ودعيّ عند أبي الفرج ، فلماذا روىٰ عنه كثيراً من بلاياه ؟

وكذلك أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ .

أما طاهر بن الحسين ، فقد ملأ أبو الفرج كتابه الأغاني بأخباره والأحاديث عن مروءته وكرمه !!

وإذا كان هؤلاء الشعوبيون أدعياء وموالي ويهوداً ، فقد يكون لهم بعض العذر فى كراهية العرب والتشفي منهم ، فمابال أبي الفرج وهو العربيّ فيما يزعم أن ينال من أهل البيت النبوي ، ومن بني أميّة وهم أجداده ؟!

وإذا كان أولئك الشعوبيون قد شتموا العرب في جاهليتهم وفي صدر الإسلام ، فإن أبا الفرج قد شتم أحفاد أولئك الأخيار .

وخبر أبي الفرج هذا ، هو من كيد أهل أصفهان .

وقد وجّه فيه طعنتين خفيتين ، الأولى إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه لأنه كان قد عيّن زياداً والياً على خراسان قبل أن يدّعيه معاوية أخاً ، ومعنى ذلك أن علياً رضي الله عنه ، لا يعرف الرجال ، ولم يحسن الاختيار ، لأنّه عيّن زياداً وهو مجهول الأب والياً .

والطعنة الثانية إلىٰ آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لأن جدّ معمر بن المثنىٰ الحاقد قد احتمىٰ بهم ولاءً .

فتأمل هذا الكيد !!

* * *

العَهْد البُوَيْهيّ

في أول العهد العباسي ظهر أبو مسلم الخراساني ، ورهطه الذين عاثوا في الأرض فساداً ، حتى إذا قضى عليهم أبو جعفر المنصور ، برز البرامكة في عهدي المهدي والرشيد ، ولما قضىٰ عليهم الرشيد ، ظهر طاهر ابن الحسين ، وآل سهل بن نوبخت المجوسي في عهدي الأمين والمأمون ، وظهر الأتراك في عهد المعتصم وأبنائه في سامراء .

وعند عودة الخلافة إلى بغداد ، ظهر البويهيون الديلم الفرس ، في الربع الأول من القرن الرابع الهجري .

وكانت أيامهم سوداء كالحة شديدة على العراق وبلاد العجم ، فقد استولوا علىٰ كل شيء ، وكان مركز الخلافة قد ضعف جداً في أيامهم ، ولم يبق للخليفة سوىٰ الخاتم والدعاء في خطبة الجمعة والعيدين » وقد شاركوه في الدعاء أيضاً .

ونظرة سريعة إلى العهد البويهي ، ترينا البؤس والشقاء اللّذين خيّما على العراق .

قال ابن خلدون :

« وبعد أشهر قلائل من استيلاء معز الدولة على بغداد ، نمى إليه أن [الخليفة] المستكفي يريد الإدالة منه ، فتنكّر له ، وأجلسه في يوم مشهود للقاءِ وافدٍ من أصحاب خراسان ، وحضر معه معز الدولة في قومه وعشيرته، وأمر رَجُلَين من نقباء الديلم بالفتك بالخليفة ، فتقدّما ووصلاه ، ليقبّلا يد المستكفي ، ثم جذباه عن سريره ، وقاداه ماشياً واعتقلاه بداره ، وذلك في

منتصف [سنة] أربع وثلاثين [وثلاثمائة] فاضطرب الناس ، وعظم النهب ، ونُهِبت دار الخلافة ، وبايع معز الدولة للفضل بن المقتدر ، ولقّبه المطيع لله ، وأحضر المستكفي ، فأشهد علىٰ نفسه بالخلع ، وسَلَّم على المطيع بالخلافة ، وسُلِبَ الخليفة من معاني الأمر والنهي ، وصُيِّرت الوزارة إلى معز الدولة ، يولّي فيها مَن يَرىٰ وصار وزير الخليفة مقصورَ النظر علىٰ إقطاعه ، ومقتات داره ، وتسَلَّم عمال معز الدولة وجنده من الديلم وغيرهم أعمال العراق وأراضيه ، ولايةً وإقطاعاً ، حتىٰ كان الخليفة يتناول الإقطاع بمراسم معز الدولة .... وكانت الخلافة حاصلةً للعباسيّ المنصوب لفظاً ، مسلوبةً عنه معنًى ، ثم طلب الجند أرزاقهم بأكثر من العادة ، لتجدُّد الدولة ، فاضطر إلىٰ ضرب المكوس ، ومدّ الأيدي إلى أموال الناس ، وأُقطِعَت جميع القرىٰ والضياع للجند ، فارتفعت أيدي العمال ، وبطلت الدواوين ، لأن ما كان منها بأيدي الرؤساء ، لا يقدرون علىٰ النظر فيها ، وما كان بأيدي الأتباع ، خَرِبَ بالظلم والمصادرات والحيف في الجباية ، وإهمال النظر في إصلاح القناطر ، وتعديل المشارب ، وما خرب منها عُوِّضَ صاحبُه بآخر ، فيخرب كما خرب الأول ... » [١] .

* * *

ونظرة إلى وزراء العهد البويهي ، نستطيع من خلالها ، أن نتصور تلك الأحوال :

١ - الوزير أبو الحسن محمد بن الحسن المهلّبي :

كان رجلاً فقيراً ضعيفاً ، ثم أقبلت عليه الأيام ، وأصبح وزيراً ، وراح يتأنق في مظهره ومأكله ، بصورة لم نر مثلها حتىٰ في قصص الخيال .

قال ياقوت الحموي :

« .. وكان من ظرفه في فعله نظافته ومأكله ، أنه كان إذا أراد أكل شيء بملعقة الأرز واللبن وأمثاله ، وقف من جانبه الأيمن غلام ، معه نحو ثلاثين ملعقةً زجاجاً مجروداً ، وكان يستعمله كثيراً ، فيأخذ منه ملعقةً ، يأكل بها من ذلك اللون لقمةً واحدةً ، ثم يدفعها إلى غلام آخر ، قام من الجانب الأيسر ، ثم يأخذ أخرىٰ فيفعل بها فعل الأولىٰ ، حتىٰ ينال الكفاية ، لئلا يعيد الملعقة إلى فيه دفعةً ثانية » (١) .

* * *

إن المرء حين يقرأ وصف ابن خلدون لتلك الأوضاع السيّئة والمصادرات والمظالم والخراب ، ثم يرىٰ هذا الترف لدىٰ الوزراء ، تتّضح له جيّداً أحوال العهد البويهي ، ومع هذا الترف الباذخ ، ورغم تلك الصلة المتينة بين المهلّبي والأصفهاني ، يبدو لنا أن المهلّبي لم يكن سخيًّا في العطاء ، وهذا أبو الفرج وهو من أقرب أصدقائه وندمانه يستجديه كساءً للشتاء بقوله :

فداؤك نفسي هذا الشتاء عليناـ بسلطانه قد هَجَمْ
ولم يبق من نشبي درهم ولا من ثيابي إلّا رِمَمْ
يؤثّر فيها نسيم الهواء وتخرقها خافيات الوهمْ
وأنت العماد ونحن العُفاة وأنت الرئيس ونحن الخَدَمْ (٢)

٢ – الوزير ابن العميد :

كان من البخلاء المتعالِمين العالين ، وقد حاول الأصفهاني التقرب

---

(١) معجم الأدباء ١٣/١٠٣ .

(٢) يتيمة الدهر ٣/١١٩ .

إليه ، فلم يفلح ، وكذلك فعل أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو الكاتب . وهجاه بقصيدة ، فاختلطت علىٰ الرواة ، ونسبوها إلى أبي الفرج الأصفهاني .

٣ - الوزير الصاحب بن عباد :

وكان من المتكبرين علىٰ العلماء ، الحاسدين لأهل الفضل ، وكان سخيًّا يعطي العلماء والأدباء ، ولكن بعد أن يفضحهم ، ويسقط منزلتهم في مجلسه ، فكان إذا قابل فقيهاً ، سأله عن الأدب والشعر ، وإذا قابل أديباً لغوياً أو نحوياً ، سأله عن الفقه والمواريث والطلاق ، وهكذا وهذا من لؤمه واستكباره .

وقد ألّف أبو حيّان التوحيديّ كتاباً في ذم الصاحب بن عباد ، وابن العميد ، سمّاه (أخلاق الوزيرين) [1] ، أو (مثالب الوزيرين) .

ومهما بالغ فيه التوحيدي بالتحامل عليهما ، ففيه كثير من الأمور المهمّة ، التي تكشف لنا أحوال ذلك العهد .

٤ - الوزير أبو عبد الله ابن البريدي :

وقد هجاه أبو الفرج الأصفهاني بقصيدة طويلة ذكرها ياقوت الحموي ، وكان آل بويه يجزلون العطاء لمن يتقرّب إليهم بالمدح والثناء والتملّق ، وكان الصاحب بن عباد ، علىٰ علوّ منزلته ، دنيء النفس ، وضيع الهمّة ، يمدح عضد الدولة البويهي ويبالغ في تمجيده إلى درجة الكفر كقوله :

فوالله ، لولا الله ، قال لك الورىٰ
مقال النصارىٰ في المسيح ابن مريمِ
ولو قلت : إنّ الله لم يخلق الورىٰ
لغيرك لم أحرج ولم أتأثّمِ [2]

---

(١) طبع في دمشق سنة ١٩٦٠ م .

(٢) ديوان الصاحب بن عباد ص ٢٧٧ .

وقوله يمدح فخر الدولة البويهي بمثل ذلك وأشدّ :

فاسمع نثار العَبْدِ بل نظمَه فإنّــه والــدرّ مثــلانِ
واسمع مقالاً لم يُقَلْ مثلُه - مذ كانت الدنيا - لإنسان
لو كان للخلق إلٓهان . لكان (فخر الدولة) الثاني [1]

رأينا ذُلَّ الصاحب بن عباد ، وتهافته ، وهو الذي يتعالىٰ على العلماء وسروات الناس ، يقف أمام عضد الدولة ، ويخبره أن الله خلق الورىٰ لأجله ، ويقف أمام فخر الدولة ، ويجعله إلٓها ثانياً بعد الله ، تعالىٰ الله عن ذلك ، وإذا كانت هذه أقوال الصاحب بن عباد ، مع عقيدته وعلمه وفضله ، وعلو منزلته ، ترىٰ كيف كانت أقوال الجهال العوام إذن ؟

إن آل بويه قد اشتروا ضمائر : أهل الطمع ، والانتفاع الشخصي ، من ضعفاء النفوس ، فراحوا يكيلون لهم المديح جزافاً حتىٰ جاوزوا المقدار . هذا أبو هلال الصابي ، يضع لهم كتاب (التاجي) ، وهو سجين ، وقد مرّ به بعض أصحابه ، فسأله عمّا يكتب ، فقال : « أباطيل أنمّقها ، وأكاذيب ألفّقها في تاريخ آل بُوَيْه » [2] .

وألّف أبو علي الفارسيّ كتاب (الإيضاح في النحو) لعضد الدولة ، وسمّاه (الإيضاح العضدي) [3] .

وحتىٰ الشريف الرضي كان يتملّق آل بويه ، ويمدحهم ، لأنهم (تفضّلوا) عليه وعيّنوه (نقيب الأشراف) ، وجمع لهم كتاب (نهج البلاغة) من أقوال الإمام عليّ رضي الله عنه [4] .

---

(١) ديوان الصاحب بن عباد ص ٢٨٨ .

(٢) وفيات الأعيان ١/٥٢ - ٥٤ .

(٣) المنتظم ٧/١٣٨ ووفيات الأعيان ٢/٨٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٦/٣٢ ، وينسب الكتاب إلى أخيه (الشريف المرتضىٰ) أيضاً .

يقول الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو :

« كان الرضي يضرب في كل اتجاه ، يرىٰ أنه يخدم مآربه ، في التطلّع إلى يوم يجلس به في بغداد خليفةً عليها ، ينصّبه بنو بُوَيه ، كما كانوا ينصّبون خلفاء بني العباس » (١) .

وأخذ آل بُوَيه يضايقون الشريفَ الرضيَّ ، ويراقبون حركاته وسكناته ، حتىٰ أنه تمنىٰ أن يترك بغداد ، ويذهب إلى مصر ، ليقيم عند الفاطميين ، وهو يقول في ذلك :

ما بقائي علىٰ الهوان وعندي   مِقْوَلٌ صارمٌ وأنفٌ حَمِيُّ
ألبس الذلّ في ديار الأعادي   وبمصر الخليفة العَلَويُّ (٢)

* * *

وفي عهد البويهيين رفَعَت الشعوبية رأسها عالياً ، وصار التفاخر بالانتساب إلى (كسرىٰ) مسموحاً مقبولاً .

وهذا مهيار الديلمي ، وكان مجوسياً ، وأسلم على يدي الشريف الرضيّ ودرس عليه ، يقول :

قومي استولَوْا على الدهر فتًى   ومَشَوْا فوق رءوس الحقبِ
وأبي (كسرىٰ) علا إيوانُه (٣)   أين في الناس أبٌ مثلُ أبي
قد قَبستُ المجد من خير أبٍ   وقَبستُ الدين من خير نبي
وجمعت المجد من أطرافه   سؤددَ الفرس ودينَ العرب (٤)

---

(١) مقدمة ديوان الشريف الرضي ص ٦٥/١ .
(٢) ديوان الشريف الرضي ٥٧٦/٥ .
(٣) في الديوان (علىٰ إيوانِهِ) والصواب ما أثبتناه ، لأنه دعاء .
(٤) ديوان مهيار الديلمي ٦٤/١ .

وكان البويهيون يسعون لتمزيق أوصال المجتمع ، وبث النزعات الطائفية بين أبنائه .

ومن مساوىء آل بويه ، أن عز الدولة ابن بختيار ، قد جَعَلَ على حسبة بغداد ، صديقه الشاعرَ الماجنَ الفاحشَ القبيحَ الحسينَ ابنَ الحجاج (١) ، ومن ذلك تعرف قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذا كان المسئول عن ذلك ، ابن الحجاج وأمثاله !

ومن يراجع كتاب (نشوار المحاضرة) للتنوخي ، يرى العجبَ العُجابَ ، من أحوال ذلك العهد البائس ، وقد انتشرت الفوضى ، والرشوة ، والسَّرقة ، والمظالم ، والمفاسد ، والمصادرات ، والخراب .

وكان البويهيون إذا أنعموا على شخص وأقطعوا له إقطاعاً ، جعلوا تلك المكرمة صادرةً عنهم ، والفضل فيها لهم ، وإذا صادروا أموال الناس ، وحبسوهم ، أو ضايقوهم ، جعلوا ذلك باسم الخليفة وأمرِه ، حتى يتقرّب الناس إليهم ، ويحسنوا الظن بهم ، وينفروا من الخليفة .

وقد فعلوا مثل ذلك حتى أوصلوا أبيات الشريف الرضيّ إلى الخليفة ، وأوغروا صدره عليه ، وبلغ ذلك الخبر إلى ولد الشريف الرضيّ ، فجاء بابنه واعتذر إلى الخليفة .

لقد عاش الأصفهاني في عهد البويهيين ، وتقدّم لديهم ، وصار نديماً للوزير المهلّبي ، وكاتباً لركن الدولة البويهي .

وخير ما يمثل لنا ذلك العهد الأسود قول الإمام الذهبي المؤرخ الشهير : « وضاع أمر الإسلام بدولة بني بويه .... » (٢) .

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ١٧/٥٨٧ .

لِمَن أَلَّفَ الأصفَهاني كتابَ الأغاني

ذكرنا سابقاً أن الأصفهاني ، كان نديمًا للوزير المهلّبي ، وقد أَلّف له كتاب (نسب المهالبة) وكتاب (مناجيب الخصيان) ، كما ذكر ذلك ياقوت الحموى [١] وغيره .

ولا ندري هل أَلّف الأصفهاني كتابيه المذكورين بطلب من الوزير المهلّبي ؟ أم تملّقاً وتزلّفاً منه ، كما فعل ذلك كثير من الأدباء المعاصرين له .

وذكر ياقوت أيضاً ، أن الوزير المهلّبي سأل أبا الفرج الأصفهاني ، عن كتابه الأغاني ، والمدة التي قضاها في تأليفه ، فكان جواب الأصفهاني ، أنّه أَلّفه فى خمسين سنة [٢] .

وقد أورد الدكتور محمد أحمد خلف الله ، قول ابن زاكور في شرح قلائد العقيان « والصاحب ، لقب إسماعيل بن عباد ، الوزير البليغ ، الّذي أَلّف له أبو الفرج الأصفهاني كتابَ الأغاني » [٣] .

والدكتور خلف الله ، ناقش هذا الخبر ، واستبعده ونفاه ، ثم مال إليه ورجّحه .

* * *

ولكني وجَدتُ عبارةً للأصفهاني في مقدمة كتاب الأغاني ، يقول فيها : « والذي بعثني علىٰ تأليفه ، (أى الأغاني) أنّ رئيساً من رؤسائنا

---

(١) معجم الأدباء ١٠٣/١٣ .

(٢) المصدر نفسه ١٠٦/١٣ .

(٣) أبو الفرج الأصفهاني / الراوية ص ٣٧ ، نقلاً عن تزيين قلائد العقيان بفرائد البيان ، مخطوط رقم ٣١٣ ، تاريخ (تيمورية) .

كلّفني جَمْعَه له ، وعرَّفَني أنّه بلغه أن الكتاب المنسوبَ إلى إسحاق « الموصلي » مدفوع أن يكون من تأليفه ، وهو مع ذلك قليل الفائدة ، وأنّه شاكٌّ في نسبته ، لأن أكثر أصحاب إسحاق ينكرونه ، ولأن ابنه حمّاداً ، أعظم الناس إنكاراً لذلك(١) .

ثم قال بعد ذلك :

« ... فتكلّفتُ ذلك له ، على مشقّةٍ احتملتها منه ... » (٢) .

* * *

فمن هو ذلك الرئيس الذي تكلّف أبو الفرج بالاستجابة إليه ؟! وتحمّل تلك المشقة منه ؟!

وهل عاش ذلك الرئيسُ خمسين سنةً ، وهو ينتظر أبا الفرج ، حتىٰ يتمّ له الكتاب ؟

أم كانت تلك كذبةً بلقاءَ من أكاذيب الأصفهاني ، ليدفع عن نفسه معرّة العمالة والتبعية والتملّق والتزلف لآل بويه ؟

وحتىٰ لا يكون كأبي إسحاق الصابي ، لما زوّق الأقاويل ولفّق الأكاذيب في تاريخ آل بويه .

والأصفهاني ، أشار إلى سبب التأليف ، وسكت عن صاحب التكليف ، فلماذا ؟ وهل تنصل الأصفهاني من كتابه ، وألقىٰ تبعة ذلك على رئيس من الرؤساء ، دون ذكر اسمه ؟!

---

(١) مقدمة الأغاني ٥/١ .

(٢) المصدر نفسه ٩/١ .

لا أستطيع القطع بتعريف الرئيس المذكور ، ولعل الأيام تكشف لنا عن اسمه في الدراسات المقبلة .

وعلىٰ كل حال ، فإن كتاب الأغاني ، قد كتب في عهد آل بويه ، وتناول الغناء وما يتعلق به مع أخبار شائنة منذ الجاهلية إلى عهد الخليفة المعتضد بالله المتوفىٰ سنة ٢٨٩ هجرية ، وسكت عما بعد ذلك ، فهل انقطع الغناء ؟

أم إنه أراد أن يسكت قبل مجيء العهد البويهيّ ، لئلا يضطر إلى ذكر أشياء قبيحة لا يحسن ذكرها ؟

لذلك نال الكتاب رضا آل بويه ، واتفق مع رغباتهم وهواهم ، في تشويه تاريخنا ، والدس والافتراء والكذب علىٰ آل البيت النبوي الشريف ، وعلىٰ الأمويين ، وعلىٰ أعلام أمتنا .

ولذلك كان عضد الدولة البويهي ، لا يفارق كتاب الأغاني ، ولذلك أيضاً كان الصاحب بن عباد يستغني بكتاب الأغاني عن كثير من كتبه ، ونحن نحسّ بعبارة الأغاني ، وأنّه ألّفه في خمسين سنة ، إشارةً وتلميحاً إلىٰ أنه قد بدأ بتأليف الكتاب قبل العهد البويهي ، وفي ذلك تبرئة لآل بويه .

الفصل الثاني

الأَصفَهاني وَآل البَيت

إن كتاب الأغاني طافح بالأخبار التي تسيء إلى آل البيت النبوي الشريف ، وتجرح سيرتهم ، وتقدح في سلوكهم ، وتهوّن أمرهم ، وتوهّن شأنهم ، وتجعل منهم عشاقاً للهو والطرب والعبث .

فالإمامان الحسن والحسين مغفّلان منقادان لابن أبي عتيق ، والإمام الحسين يقضي وقته لاهياً مع أشعب في المدينة .

ويزيد بن معاوية يشرب الخمر بمجلسه ، وعنده الإمام الحسين فلا ينكر عليه ، ومعبد يغني لزوجة الإمام الحسن ، والسيدة سكينة سفيهة ماجنة رعناء ، تحتكم في جمالها إلى عمر بن أبي ربيعة ، وتجمع النساء لملاقاة عمر بن أبي ربيعة والحديث معه وهي تحكم بين المغنين ، ويموت المغني حنين الحيري في بيتها حين سقط السقف على الحاضرين .

إلى غير ذلك من الأخبار التافهة الواهنة الواهية ، التي توافق هوىٰ آل بويه – الذين يزعمون الولاء لآل البيت دَجَلًا – وتوافق هوىٰ العباسيين أيضاً ، لئلا يطالب العلويون بالخلافة .

والأصفهاني لم ينسَ أن يقول عبارة (عليه السلام) عند ذكر أعلام آل البيت ، ليخدع بها البسطاء .

والأصفهاني يروي ذلك عن كَذَبَةٍ مجروحين ، وعن ثقات عدول ، حتىٰ يهوّش علينا في تراثنا ، ويشكّكنا في أعلام أمتنا ، أو في الرواة الثقات ، وسأعرض في هذا الفصل طرفاً من تلك الأخبار .

* * *

الحَسنُ والحسين ، يُرجِعان لبنىٰ إلىٰ قَيس

ذكر الأصفهانيّ (١) بسنده إلى هشام بن الكلبي (٢) :

أن الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، رضى الله عنهما ، كان أخاً - للشاعر العاشق - قيس بن ذريح من الرضاعة ، أرضعتهما أم قيس (٣) . ثم ساق الأصفهاني أخبارًا طويلة عن قيس وحبيبته لبنىٰ ، برواية هشام بن الكلبي ، وقال : « وعلىٰ روايته أكثر المعوّل » (٤) .

وذكر أن قيساً أحبَّ لبنىٰ وأحبَّته ، وتعلّق كل منهما بصاحبه حتىٰ ذاع عشقه .

« فانصرف - قيس - إلى أبيه ، وأعلمه حاله ، وسأله أن يزوّجه إيّاها ، فأبىٰ عليه .

وقال : يابني ، عليك بإحدىٰ بنات عمّك ، فهنّ أحقّ بك . وكان ذريح كثير المال موسراً ، فأحب أن لا يخرج ابنه إلى غريبة ، فانصرف قيس ، وقد ساءه ما خاطبه أبوه به ، فأتىٰ أمّه فشكا ذلك إليها ، واستعان بها علىٰ أبيه ، فلم يجد عندها ما يحبّ .

---

(١) الأغاني ١٨١/٩ - ١٨٤ .

(٢) ذكرناه مع الكذابين من الرواة .

(٣) ذكر ذلك الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء بعبارة : يقال : إنه أخوه من الرضاعة ولم يجزم بها .

(٤) تأمل هذه العبارة ، وكيف يعوّل أبو الفرج في رواياته على هذا الكذاب .

فأتىٰ الحسينَ بن علي بن أبي طالب ، وابن أبي عتيق ، فشكا إليهما ما به ، وما ردّ عليه أبوه .

فقال له الحسين : أنا أكفيك ، فمشىٰ معه إلىٰ أبي لبنىٰ .

فلما بصر به ، أعظَمَه ووثب إليه .

وقال له : يا ابن رسول الله ، ما جاء بك ؟ ألا بعثتَ إليَّ فآتيك ؟ قال : إنّ الذي جئت فيه ، يوجب قصدك ، وقد جئتك خاطباً ابنتك لبنىٰ لقيس بن ذريح .

فقال : يا ابن رسول الله ، ما كنّا لنعصي لك أمراً ، وما بنا على الفتىٰ رغبة ، ولكنّ أحبّ الأمر إلينا ، أن يخطبها ذريح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره ، فإنّا نخاف إنْ لم يَسْعَ أبوه في هذا أن يكون عاراً ، وسبةً علينا .

فأتى الحسين رضي الله عنه ذريحاً وقومَه ، وهم مجتمعون .

فقاموا إليه ، إعظاماً له .

فقال لذريح : أقسمت عليك ، إلاّ خطبْتَ لبنىٰ لابنك قيس .

قال : السمع والطاعة لأمرك .

فخرج معه في وجوه من قومه ، حتىٰ أَتَوْا لبنىٰ ، فخطبها ذريح علىٰ ابنه ، إلىٰ أبيها ، فزوّجه إياها ، وزفّت إليه بعد ذلك » .

ثم يذكر الأصفهاني ، بعد ذلك أخباراً أخرىٰ عن سوء العلاقة بين لبنىٰ وأبوي قيس ، حتىٰ سعيا في طلاقها ... وطلّقها قيس ، وتبعتها نفسه ، حتىٰ بلغ به ما بلغ من العشق والهيام ، وتزوجت لبنى من رجل آخر . وهنا يعود الأصفهاني من جديد ، فيذكر لنا أن قيسًا سعىٰ إلى ابن أبي عتيق يتوسطه في طلاق لبنى من زوجها ، لتعود إليه .

قال الأصفهاني [1] :

وذكر القحذميّ ، وابن عائشة ، وخالد بن جمل :

« أن ابن أبي عتيق ، صار إلى الحسن والحسين ، ابني علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وجماعة من قريش .

فقال لهم : إن لي حاجة [عند رجل] وأخشىٰ أن يردّني فيها ، وإنّي أستعين بجاهكم ، وأموالكم عليه .

قالوا : ذلك مبتذل منا .

فاجتمعوا ليوم وعَدَهم فيه ، فمضىٰ بهم إلى زوج لبنىٰ ، فلما رآهم ، أَعْظَمَ مصيرهم إليه ، وأكبرَه .

فقالوا : لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق .

قال : هي مقضيّة ، كائنةً ما كانت .

قال ابن أبي عتيق : قد قضيتها كائنةً ما كانت ، من ملك ، أو مال ، أو أهل ؟

قال : نعم .

قال : تهب لهم ولي لبنىٰ زوجتك ، وتطلّقها .

قال : أشهدكم أنّها طالق ثلاثاً .

فاستحيىٰ القوم ، واعتذروا إليه ، وقالوا : والله ما عَرَفْنا حاجته ، ولو علمنا أنها هذه ، ما سألناك إياها .

---

(١) الأغاني ٢١٩/٩ .

وقال ابن عائشة : فعوّضه الحسَنُ من ذلك ، مائةَ ألف درهم . وحملها – أي لبنى – ابن أبي عتيق إليه ، فلم تزل عنده ، حتىٰ انقضت عدّتها ، فسأل القوم أباها ، فزوّجها قيساً ، فلم تزل معه حتى ماتا ، قالوا : فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق :

جزىٰ الرحمن أفضل ما يجازي   علىٰ الإحسان برًّا من صديقِ
فقد جرّبت إخواني جميعاً   فما ألفيت كابن أبي عتيقِ
سعىٰ في جمع شملي بعد صدع   ورأي حِذْتُ فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بقلبي   أغصّتني حرارتها بريقي

قال : فقال له ابن أبي عتيق : ياحبيبي أمسك عن هذا المديح ، فما يسمعه أحد ، إلا ظنّني قوّاداً ، مضىٰ الحذيث » .

* * *

قلت :

هل كانت مثل هذه الأمور ، تحمل الإمامين الحسن والحسين على معالجتها ؟ إن الأصفهاني ، صوّر لنا الإمامين الحسن والحسين ، رجلين ساذجين ، تغلب عليهما البساطة والغفلة ، إلى درجة أن يسعيا في أمر لم يعرفاه ، ولم يتبين لهما وجه مسعاهما .

وهل يحقّ لهما أن يسعيا في طلاق زوجة من زوجها ؟

ولماذا يعتذران إلى زوج لبنىٰ بعد طلاقها ؟ ثم لماذا يدفع له الإمام الحسن مائة ألف درهم ؟ من كيسه .

وينهي الأصفهاني حكايته هذه بتلك الكلمة البذيئة ، وينسبها إلى ابن أبي عتيق ، حيث يصف مسعاه هذا بمسعىٰ القوّادين .

ويتردد (طه حسين) بين تصديق هذه الحكاية وردّها فيقول :

« تمتاز هذه القصة أيضاً ، بأن أشخاصاً ممتازين ، قد لعبوا فيها دوراً كما يقولون ، فاكتسبت من هؤلاء الأشخاص شيئاً من الجلال ، غير قليل ، ثم اكتسبت من هؤلاء الأشخاص أيضاً شيئاً يحملك علىٰ أن تنزلها منزلتها الحقيقية ، وتعتقد أنها قصّة خيالية مخترعة ، أكثر من أن تكون قصة حقيقية واقعة .

فليس من اليسير أن تتصور تدخل الحسن والحسين ، ابني عليّ رضي الله عنهم في عشق فتًى من فتيان البادية ، لفتاة من فتيات البادية ، وليس من اليسير أن تتصور تدخلهما ، مع نفر من أشراف قريش في التفريق بين الزوجين ، ليرضوا عاشقاً ملتاعاً » (١) .

ولا أدري لماذا لم يعلق الأستاذ شفيق جبري على هذه الحكاية في كتابه (دراسة الأغاني) .

وهل قرأ تعليق شيخه الدكتور طه حسين عليها أم لا ؟

يبدو أن تعليق طه حسين ، لم يقع موقعاً حسناً من قبل (جبرى) فسكت عنه ، وخشي أن يشيد (بصدق) أبي الفرج لئلا يفتضح عند شيخه ، وعند القراء ، والسكوت في مثل هذه المواطن أسلم .

---

(١) حديث الأربعاء ١/٢٦٠ ، ٢٦١ .

الإمام الحسَين يقرّ يزيد علىٰ شرابه

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمر بن شبَّة ، قال : حدثني المدائني .

« قدم سلم بن زياد ، علىٰ يزيد فنادمه .

فقال له ليلة : ألا أولّيك خراسان ؟

قال : بلىٰ وسجستان .

فعقد له في ليلته ، فقال :

أسقني شربة فروّ عظامي — ثم عُد واسق مثلها ابن زيادِ
موضع السرّ والأمانة منّي — وعلىٰ ثغر مغنمي وجهادي

قال : ولمّا رجع في خلافة أبيه (٢) ، جلس بالمدينة علىٰ شراب ، فاستأذن عليه ، عبد الله بن العباس ، والحسين بن عليّ ، فأمر بشرابه ، فرفع .

---

(١) الأغاني ٢٩١/١٥ ، ٢٩٢ .

(٢) في هذا الخبر اضطراب ، لأن في أوله كان يزيد خليفة ، وينادمه سلم بن زياد ، وقد ولّى سلماً خراسان وسجستان ، والخبر هنا يزيد يرجع ويجلس بالمدينة في خلافة أبيه ، فكيف يحصل ذلك ؟ كان ينبغي للجنة التحقيق أن تعلق على هذا الخلط ، ولا تبقى واجمة تبحث عن كلمة مطموسة أو محرفة أو مصحّفة ... والتعليق على مثل هذا الخبط والخلط أولىٰ من تحقيق الكلمات دون معانيها أو مقاصدها .

وقيل له : إن ابن عباس إنّ وجد ريح شرابك عَرِفَهُ ، فحجبه ، وأذِن للحسين .

فلما دخل ، وجد رائحة الشراب مع الطيب .

فقال : لله درُّ طيبك هذا ، ما أطيبَه ؟ وما كنت أحسب أحداً يتقدمنا في صنعة الطيب ، فما هذا يا ابن معاوية ؟ فقال : يا أبا عبد الله ، هذا طيب يصنع لنا بالشام ، ثم دعا بقدح فشربه ، ثم دعا بآخر .

فقال : إسق أبا عبد الله ، يا غلام .

فقال الحسين : عليك شرابك ، أيها المرء ، لاعَيْنَ عليك مني .

فشرب وقال :

ألا يا صاح للعجبِ دعوتك ثم لم تُجبِ
إلى القينات واللذات والصهباء والطرب
وباطيةٍ مكلّلة عليها سادة العرب
وفيهن التي تبلت فؤادك ثم لم تتب

فوثب الحسين عليه السلام ، وقال : بل فؤادك يا ابن معاوية » .

* * *

قلت :

هل يكفي في هذا الخبر ، أن يثبت الأصفهاني ، وثوب الإمام الحسين وردّه على يزيد عند إنشاده الشعر ؟

وقد ذكر الأُصفهاني قبل أفظع من ذلك ، وهو أن الإمام الحسين ، يقرّ يزيد على شرابه ، ويقول له : لا عين عليك منّي . إن الأُصفهاني ، أساء إلى الإمام الحسين ، حين جعله يقرّ المنكر ، ولا ينكره .

وأساء إليه كذلك ، حين ذكر أن يزيد حجب عبد الله بن العباس ، حذراً وخوفاً منه ، وأذن للإمام الحسين بالدخول عليه .

وكأن أبا الفرج يتملق بني العباس بذلك .

ثم نعود لنسأل أبا الفرج عن نسبه الأمويّ وها هو يسفّه أجداده ! وعن ولائه لأهل البيت ، وها هو يسخر من سيدنا الإمام الحسين !

الإمام الحسَين وأشْعب

قال الأصفهاني (١) :

أخبرنا أحمد ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : أخبرنا أبو مسلم ، قال : أخبرنا المدائني ، قال :

« دخل أشعب يوماً علىٰ الحسين بن عليّ ، وعنده أعرابيّ قبيح المنظر ، مختلف الخلقة ، فسبّح أشعب حين رآه .

وقال للحسين عليه السلام : بأبي أنت وأمي ، أتأذن لي أن أسْلَحَ عليه ؟

فقال الأعرابي : ما شئْتَ !

ومع الأعرابي قوس وكنانة ، ففَوَّق له سهماً .

وقال : والله لئن فعلتَ لتكونن آخر سَلْحَةٍ سَلَحْتَها .

فقال أشعب للحسين : جُعِلْتُ فداءك ، قد أخذني القولنج » .

* * *

قلت :

إنّ في هذا الخبر وقاحةً وسوءَ أدب ، ينبغي أن تنزه كتب الأدب والتاريخ عن أمثالها .

---

(١) الأغاني ١٩/١٥٣ .

إن الإنسان الكريم ، ليستحي أن يقرأ مثل هذه الأخبار الوسخة ، فكيف تجرأ أبو الفرج ، على ذكرها ، ولم يكتف بذلك ، حتى وضع لها سنداً من الرواة ، كأنه خبر أو حدث مهم !

وكيف يدّعي أبو الفرج التشيّع والمولاة لأهل البيت ، وهو يورد الأخبار التي تستخفّ بهم ؟

وماذا تنفع عبارة أبي الفرج بقوله (عليه السلام) عند ذكر الإمام الحسين ، إذا هو يذكر لنا مثل هذه الحكاية ، التي نستبعدها ونستبعد ورودها من أحطّ الناس قدراً ، وعند أحطّهم ؟

وهل هي من النوادر اللطيفة ، التي نتوقعها في مجالس الوقار ، كمجلس الإمام الحسين ؟

أم هي وسيلة للاستخفاف برجال أمتنا وأعلامنا في الفضل والمنزلة ؟ لماذا لم يرو لنا الأصفهاني أمثال هذه الحكايات في مجالس بني بويه ؟ هل كان يراهم أجلّ من ذلك ؟

إنها الشعوبية السوداء ، تهدم ذات اليمين وذات الشمال .

وليس لنا عتاب على أبي الفرج ، وإنّما عتابنا على هيئة تحقيق كتاب الأغاني ، التي تسكت عن أمثال هذه السخائم .

زَوْجَة الإمام الحسَن وَمعبَد المغنّى

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني ابن أبي أيوب ، عن ابن عائشة المغنّى ، عن معبد ، قال :

« إن خولة بنت منظور ، كانت عند الحسن بن علي عليهما السلام . فلما أسَنَّتْ ، مات عنها زوجها ، أو طلّقها ، فكشفت قناعها وبرزت للرجال .

قال معبد : فأتيتُها ذات يوم أطالبها بحاجة ، فغنّيتها لحني في شعر قاله فيها ، بعض بني فزارة ، وكان خَطَبَها فلم يُنْكِحها أبوها :

قفا في دار خولة فاسألاها   تقادم عهدُها وهجرتماها
بمحلال كأنّ المسكَ فيه   إذا فاحت بأبطحه صَباها

(... الأبيات) .

قال : فطربت العجوز لذلك .

وقالت : يا عبد ابن قطن ، أنا والله يومئذ ، أحسن من النار الموقدة ، في الليلة القرّة .

(١) الأغاني ١٢/١٩٧ .

قلت :

لأبي الفرج أسلوب خبيث في توجيه المطاعن ، يروي هذا الخبر على لسان معبد المغني .

وقد وجد أبو الفرج اسم (خولة) في هذه الأبيات ، فنسبها إلى رجل من بني فزارة ، لم يذكر لنا اسمه ، ولم نعرفه حتىٰ نبحث في شعره .

فوضع هذه الحكاية على لسان المغني معبد ، وإنه ذهب إلى زوجة الإمام الحسن ، وغناها بتلك الأبيات التي قالها فيها الرجل الفزاري .

وفي هذا الخبر ، طعن ضمنيّ خفي بالإمام الحسن ، حين يصور الأصفهاني زوجة الإمام ، تقعد من بعده لتستمع إلى الغناء من معبد ، في وصفها ، والنسيب بها .

وهذا هو منهج الأصفهاني في أغلب ما ورد في الشعر العربي من أسماء النساء .

فإذا وجد اسم عائشة صرف ذلك إلى عائشة بنت طلحة .

أو اسم فاطمة ، اعتبرها فاطمة بنت عبد الملك بن مروان .

أو اسم لبابة حسبها لبابة بنت عبد الله بن عباس .

أو اسم رملة ، ظنها رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية .

أو اسم عمرة ، تصورها زوجة النعمان بن بشير الأنصاري ، أو زوجة حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر .

وهكذا يبحث في أسماء النساء ، فإذا وجد اسماً مشابهاً ، جزم به ، وبنىٰ عليه حكاياته .

ونحن نعلم أن الشعراء العرب ، كانوا يبدءون قصائدهم ، بالغزل والنسيب ، ويذكرون أسماء للنساء ، وهن غير مقصودات بذاتهن .

ومن أشهر أولئك الشاعر كعب بن زهير ، حين ابتدأ مدحه لرسول الله ﷺ بقوله :

بانت (سعاد) فقلبي اليوم متبولُ .

فمن هي سعاد ؟

هل كانت امرأةً معلومةً معروفةً ؟ أم أنها رمز للحبيب ؟

وكيف يستمع رسول الله ﷺ ، غزلاً بامرأة معلومة ؟

وفي هذا المعنىٰ يقول طه حسين :

« والحقيقة التي ما أحسب أنها تتعرض للشك ، هي أنّ ليلىٰ ، ولبنىٰ ، وعزّة ، وبثينة ، وعفراء ، وهنداً ، ودعداً ، وسعاد ، كل هذه أسماء ، ما أظنّ أنّها تعني مسمّيات ممتازات ، وإنما هي أسماء نساء ، اتخذها الشعراء لهذا المثل الأعلىٰ ، الذي كانوا يلتمسونه ، ويطمحون إليه ، حين كانوا يتغنون الحبّ ، سواء منهم في ذلك الشعراء المعروفون ، والشعراء المجهولون .

ليلىٰ ولبنىٰ وبثينة ، إلى هذا النوع من الغزل ، أسماء تشبه (هيلانة) بالقياس إلى القصّاص من شعراء اليونان المتقدّمين ... » [١] .

وأبو الفرج الأصفهاني ، يعرف ذلك قبل غيره ، وأكثر من غيره ، ولكن خبث طويته ، وسوء نيّته ، وحقده على تاريخنا وأدبنا ، كل ذلك يدفعه إلى الانحراف ، والمغالطة ، والدجل ، والكذب ، والافتراء .

---

(١) حديث الأربعاء .

المغنُّون يجتمعون عند الحسَن بن الحسنَ بن عليّ

قال أبو الفرج الأصفهاني (١) :

(أخبرني الحسين بن يحيىٰ ، عن حمّاد ، عن أبيه ، عن أيوب بن عباية قال :

اجتمع ابن عائشة ، ويونس ، ومالك [من المغنين] عند حَسَن بن حسن بن علي –عليهما السلام– ، فقال الحسن لابن عائشة : غنّني : « مَن رسولي إلىٰ الثريا ... » فسكت عنه ، فلم يجبه فقال له جليس له :

أيقول لك غنّني ، فلا تجيبه ؟ فسكت .

فقال له الحسن : ما لَكَ ، ويحك ، أبك خبال ؟

كان والله ابن أبي عتيق ، أجود منك بما عنده ، فإنّه لما سمع هذا الشعر ، قال لابن أبي ربيعة : أنا رسولك إليها ، فمضىٰ نحو الثريا ، حتىٰ أدىٰ رسالته ، وأنت معنا في المجلس ، تبخل أن تُغنّيَه لنا !

فقال له : لم أذهب حيث ظننت ، إنما كنت أتخيّر لك أيَّ الصوتين أغنّي ، أقَوْلَه :

من رسولي إلى الثريا فإنّي ضافني الهمُّ واعترتني الهمومُ
يعلمُ الله أنّني مُستهام بهواكم وأنّني مرحـــوم

أم قوله :

من رسولي إلى الثريا فإنّي ضِقتُ ذرعاً بهجرها والكتائب

---

(١) الأغاني ١/٢٢٧ .

فقال له الحسن : أسأنا بك الظن ، يا أبا جعفر ، غَنِّ بهما جميعاً ، فغناهما ، فقال له الحسن : لولا أنّك تغضبُ إذا قلنا لك : أحسنتَ ، لقلت لك : أحسنت والله .

قال : ولم يزل يردّدها بقية يومه) .

قُلتُ :

إن الحسن بن الحسن بن عليّ رضي الله عنه (١) ، كان من رجال الحديث الثقات ، ذكره الإمام البخاريّ ، وأثنى عليه خيراً ، وروىٰ له النسائي ، ونحن نستبعد هذه الحكاية عنه ، ألم يلتفت الحسن إلى مصائبه في أبيه الحسن ، وعمّه الحسين ، وأهل بيته ، حتىٰ ينصرف إلى هؤلاء المغنين ، ويجتمعون عنده في بيته !!

وكأنّ أبا الفرج الأصفهانيّ ، لم تكفه هذه الحكاية ، ولم تشف غليله ، فنسج حكاية أخرىٰ ، أشدّ من أختها طعناً وخبثاً قال (٢) :

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي (٣) ، والحسين بن يحيىٰ الأعور المرداسيّ ، قالا : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن محمد بن سلام ، عن أبيه ، قال :

(كان الحسن بن الحسن ، مكرماً لابن عائشة ، محبًّا له ، وكان ابن

(١) انظر ترجمته وأقوال العلماء فيه في كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر ٢ ٢٦٣ .

(٢) الأغاني ٢ ٢١٧ .

(٣) ذكرناه مع الكذابين من الرواة .

عائشة ، منقطعاً إليه ، وكان من أتْيَهِ خلق الله وأشدّه ذهاباً بنفسه – يعني ابن عائشة – فسأله الحسَن أن يخرج معه إلى (البُغَيْبِغَة) [١] ، فامتنع ابن عائشة من ذلك .

فأقسم عليه ، فأبى ، فدعا بغلمان له حبشان ، وقال : نُفِيتُ من أبي ، لئن لم تَسِرْ معي طائعاً ، لتسيرنّ كارهاً ، ونُفِيتُ من أبي لئن لم ينفّذوا أمري فيك ، لأقطعنّ أيديهم !! فلما رأى ابن عائشة ، ما ظهر من الحسن ، عَلِم أنّه لابد من الذهاب ، فقال له : بأبي أنت وأمّي ، أنا أمضي معك ، طائعاً لا كارهاً ، فأمر الحسن بإصلاح ما يحتاج إليه ، وركب ، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا ، حتى صارا إلى (البغيبغة) ، فنزلا الشِّعْبَ ، وجاءهم ما أعدّوا ، فأكلوا ، ثم أمر الحسن بأمره وقال : يا محمد ، فقال له : لبيك سيدي ، قال : غنّني ، فاندفع فغنّاه :

يدعو النبيُّ بعمّهِ فيجيبه ياخير من يدعو النبيُّ جلالا

(... الأبيات) .

فقال له الحسن : أحسنت والله يا ابن عائشة .

فقال ابن عائشة : والله لا غنَّيتُك في يومي هذا شيئاً .

فقال الحسن : فوالله لا برحت البغيبغة ثلاثة أيام .

فاغتم ابن عائشة ليمينه ، وندم ، وعلم أنّه لا حيلة له إلّا المقام ، فأقاموا .

فلما كان اليوم الثاني ، قال له الحسن : هات ما عندك ، فقد برَّتْ يمينك ، وكانوا جلوساً على مرتفع ، فنظروا إلى ناقة تقدم جماعة إبلٍ ، فاندفع ابن عائشة يغنّي :

---

(١) ضيعة بالمدينة المنورة ، كانت لآل رسول الله ﷺ .

تمرّ كجندلة المنجنيق ... يُرمىٰ بها السور يوم القتالِ

(... الأبيات) .

فقال له الحسن : ويلك يامحمد ، لقد أحسنتَ الصنعة !

فسكت ابن عائشة .

ثم قال له : غنّني ، فغنّاه :

إذا ما انتشَيْتُ طرحت اللجا ... م في شدق منجردٍ سلهبِ

(... الأبيات) .

فقال له الحسن : أحسنت يامحمد .

فقال له ابن عائشة : لكنّك بأبي أنت وأمي ، قد ألجمتني بحجر ، فما أطيق الكلام .

فأقاموا باقي يومهم يتحدثون ، فلما كان اليوم الثالث قال الحسن : هذا آخر أيامك يامحمد .

فقال ابن عائشة : عَلَيْه وعَلَيْه إن غنّاك إلّا د رحداً ، حتىٰ تنصرف ، وعَلَيْه وعَلَيْه ، إنْ حلفتَ إلّا أبرَّ قَسَمَك ولو في ذهاب روحه .

فقال له الحسن : فَلَكَ الأمان على محبّتك ، فاندفع فغنّاه :

أنْعَمَ اللهُ لي بذا الوجه عيناً ... وبه مرحباً وأهلاً وسهلا

(.... الأبيات) .

قال : ثم انصرف القوم ، فما رأىٰ الحسنُ بن الحسن ابنَ عائشة بعدها ...) .

قُلتُ :

أرأيت كيف يكون الطعن والدس ؟ وكيف تفصح الشعوبية عن حقدها ولؤمها ؟

هل هذه هي أخلاق بيت النبوة ؟ أم هذه أخلاق أهل البطالة واللهو ، من الحشاشين وغيرهم ، فتأمل .

لاشك في أن أمثال هذه الحكايات ، كانت تروق للبويهيين ، حتى تصفو لهم الأمور ، ولا يرتفع صوت لأهل بيت النبوة ما دام جدهم الحسن ابن الحسن ، كان لاهياً طائشاً يقضي ثلاثة أيام في النزهة والغناء ، ولا يفكر في جهادٍ ، ولا قضاءٍ ، ولا ولاية .

الحسَنُ بنُ الحسَن وابنُ عائشة

قال أبو الفرج الأصفهاني (١) :

قال إسحاق : وحدثني المدائني ، قال : حدثني جرير ، قال :

« ... سال العقيق مرةً ، فدخل عرصة سعيد بن العاص الماء ، حتىٰ ملأها ، فخرج الناس إليها ، وخرج ابن عائشة فيمن خرج ، فجلس علىٰ قرن البئر ، فبينا هم كذلك ، إذ طلع الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، علىٰ بغلة ، وخلفه غلامان أسودان ، كأنهما من الشياطين ، فقال لهما :

امضيا رويداً ، حتىٰ تقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة .

فخرجا حتىٰ فعلا ذلك .

ثم ناداه الحسن : كيف أصبحت يا ابن عائشة ؟

قال : بخير ، فداك أبي وأمي .

قال : انظر إلىٰ جنبك ، فنظر فإذا العبدان .

فقال له : أتعرفهما ؟

قال : نعم .

قال : فهما حرّان ، لئن لم تغنّني مائة صوت ، لآمرنّهما بطرحك في البئر ، وهما حرّان ، لئن لم يفعلا لأقطعنّ أيديهما ، فاندفع ابن عائشة ، فكان أوّل ما ابتدأ به صوتٌ له هو .

---

(١) الأغاني ٢/٢٠٥ ، ٢٠٦ .

ألا لله درُّك من متىٰ قوم إذا رَهبوا

ثم لم يسكت حتىٰ غنّىٰ مائة صوت .

فيقال : إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر مما سمعوا في ذلك اليوم » .

* * *

قلت :

لا أدري كيف أعلّق علىٰ هذا الخبر ، وأكتفي بما علّقتُ به على الخبرين السابقين المماثلين ، وإن القارئ ليستحيي أن يقرأ مثل الخبر ، وأن الحسن بن الحسن استمع في يوم واحد إلى مائة أغنية من مغنٍ واحد .

فهل في هذا ذوق ؟ أم تكريم للفن ؟

أم هو الطيش والرعونة والسفاهة والبطالة ؟

كل هذه المعاني تنطوي في هذا الخبر اللئيم الأسود المظلم ، وذلك هو مبتغىٰ الشعوبيين .

فما هي قيمة قول الأصفهاني وتعبيره بـ (عليه السلام) إذا كان يروي هذه الحكايات عنه ، إنه يشتمه وينتقصه ويثلمه ثم يقول (عليه السلام) .

هـذه السَّفيهَة !!

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني ابن أبي الأزهر (٢) ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عَدِىّ (٣) ، عن صالح بن حسان ، وغيره :

« أن سكينة ، كانت عند عمرو بن حكيم بن حزام ، ثم تزوجها زيد ابن عمرو بن عثمان بن عفان ، ثم تزوّجها مصعب بن الزبير ، فلما قُتِل مصعب ، خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف .

فبعثت إليه : أبَلَغ من حمقك أن تبعث إلى سكينة بنت الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، تخطبها ؟

فأمْسَكَ عن ذلك .

قال : ثم تنفّسَت يوماً (بُنانة) جارية سكينة ، وتنهّدت ، حتىٰ كادت أضلاعها تتحطّم .

فقالت له سكينة : ما لك ويلكِ ؟

قالت : أحبُّ أن أرىٰ في الدار جَلَبَةً ، - تعني العُرس - فدَعت سكينة - مولًى لها ، تثق به .

فقالت له : اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف .

---

(١) الأغاني ١٥٢/١٦ ، ١٥٣ .

(٢) ذكرناه مع الكذابين من الرواة .

(٣) ذكرناه مع الكذابين من الرواه

فقل له : إنّ الذي كنا ندفعك عنه ، قد بدا لنا فيه ، أنت من أخوال رسول الله ﷺ (١) ، فأحضر بيتك .

قال : فجمع عدة من بني زَهرة ، وأفناء قريش ، من بني جُمَح وغيرهم ، نحواً من سبعين رجلاً ، أو ثمانين ، ثم أرسل إلى عليّ ابن الحسين ، والحسن بن الحسن ، وغيرهم من بنى هاشم .

فلما أتاهم الخبر ، اجتمعوا وقالوا :

هذه السفيهة تريد أن تتزوّج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فتنادىٰ بنو هاشم ، واجتمعوا .

وقالوا : لا يخرجن أحد منكم ، إلا ومعه عصا .

فجاءوا ، وما بقي إلا الكلام .

فقال : اضربوا بالعِصيّ .

فاضطربوا ، ، هم وبنو زهرة حتىٰ تشاجُّوا ، فشُجَّ بينهم يومئذ ، أكثر من مائة إنسان .

ثم قالت بنو هاشم : أين هذه ؟

قالوا : في البيت .

فدخلوا إليها ، فقالوا : أَبَلَغَ هذه من صنعك ؟

ثم جاءوا بكساء ، فبسطوه ، ثم حملوها ، وأخذوا بجوانبه ، فالتفتت سكينة إلى (بُنانة) فقالت : أرأيتِ في الدار جَلَبَةً ؟ قالت : إي ر ، إلا إنها شديدة » .

---

(١) إنه من بني زهرة ، وأمّ رسول الله ﷺ زهرية .

قلت :

من أي جانب يتناول المعلّق هذا الخبر ؟

كيف يستسيغ كاتب أن يكتب هذه الحكاية ، وكيف يستطيع أن يصف السيدة سكينة بأنها (سفيهة) ؟

وأكبر من ذلك أنه جعل اللفظة تدور على ألسنة علي السجاد في سكينة ، والحسن بن الحسن ، ابن عمها ، وبني هاشم .

وما هي المقاصد الجليلة ، والأهداف والغايات النبيلة ، في هذا الخبر ؟ وما هي فائدته لتاريخنا وأدبنا العربي ؟

إن الداهية الدهياء ، والبلية العمياء ، أن ينهض أديب عربي كبير ، وباحث شهير ، هو الأستاذ شفيق جبري (١) ، ليستدل بهذا الخبر الشنيع والدس الوضيع ، على حرية المرأة العربية ، حين قال : « وقد تمرّ بنا أخبار طريفة ، في حرية الزواج ، أذكر منها على سبيل الاستشهاد ، الخبر الآتي وذكر القصة — » .

ما شاء الله !!

هل رأيتم مثل هذا الفهم السليم !؟ ، والاستنباط المريض السقيم ؟ ثم يستدرك هذا الباحث بعد قليل ويقول :

« لم أستدل بهذا الخبر على حرية الزواج ، فإنّ آثار الضغط ظاهرة عليه ، ولكن سكينة لما صنعت صنعها هذا ، لم ترد به الزواج ، فقد ردّت إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، من أوّل الأمر ، وحمّقَتْه ، وإنما أرادت به العبث .

---

(١) دراسة الأغاني ص ١٥٠ ، ١٥١ .

ويدل علىٰ ذلك قولها في آخر الخبر : أي بنانة ، أرأيت في الدار جلبة » ، إن شفيق جبري ، قد أخذ هذا الخبر ، علىٰ أنه صحيح ثابت ، مقطوع بصحته ، وراح يستنبط منه الدليل علىٰ حرية المرأة في الزواج ، ولم يناقش الخبر ، ولا رجع إلى السند ليميز فيه الكاذب من الرواة ، ولو أنه رجع إلى كتب الحديث والتفسير والفقه ، لرأىٰ حرية المرأة ، واضحة في اختيار الزوج ، مهما كان مركز أسرة البنت ، فضلاً عن سكينة ، ومركز أسرتها ، ولخجل من نفسه ، حين يذيع هذا السخف على الناس ، وكأنه عثر علىٰ كنز دفين .

ونرىٰ شفيق جبري يوصي بقراءة كتاب الأغاني ، لنعرف منه أنواع الملابس وألوانها ، والزينة وأسبابها ، والموازين والصناعات ... وأعود لأقول له : لو أنه رجع إلى كتب الفقه ، لوجد كل ما يريد من أدوات المدنية ، والحضارة ، في كل عصر ، وفي كل مصر .

فقد تناولت كتب الفقه كل ذلك بتوضيح سافر ، فذكرت المقاييس والأوزان والمكاييل ، وذكرت الوظائف والعناوين ، وذكرت الرتب والنياشين ، والأعلام ، والرايات ، ومصطلحات العلوم ، ومصطلحات الحرب والسلام والعقود ، والتجارة والبيوع ، والضمان والكفالة والوكالة والقضاء والشهود ... إلى آخر ما يحتاج الإنسان معرفته في الحياة .

ولكنّ ذوي الهمم القاصرة ، والنفوس الباردة الفاترة ، تميل إلى هذه السخافات ، وتحاول أن تستخرج منها ما يشير إلى فهمها ، فيفضحها الجهل والفراغ .

سُكينة ومَواعيد ابن أبي رَبيعَة

قال أبو الفرج الأصفهاني (١) :

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب الملقب (كيلجة) ، قال : حدثنا أبو هفان ، عن إسحاق ، عن مصعب الزبيري قال : « اجتمع نسوة [في المدينة لدىٰ سكينة] فذكرن عمر بن أبي ربيعة ، وشعره ، وظرفه ، ومجلسه ، وحديثه ، فتشوَّقن إليه ، وتمنَّينه ، فقالت سكينة : أنا لَكُنَّ به ، فبعثت إليه رسولاً ، أن يوافي الصورين (موضع عند البقيع) ليلة سمَّتْها ، فوافاهن علىٰ رواحله ، فحدَّثهن حتىٰ طلع الفجر ، وحان انصرافهنّ .

فقال لهنّ : والله إني لمحتاج إلىٰ زيارة قبر النبي ﷺ والصلاة فى مسجده ، ولكنّي لا أخلط بزيارتكنّ غيرها ، ثم انصرف إلى مكة ... » .

* * *

ويعيد أبو الفرج الحكاية نفسها بسند آخر ، ينتهي أيضاً إلى مصعب الزبيري (٢) .

والفن والكيد والخبث يتجلىٰ في هذا الخبر ، لأنه مرويّ عن مصعب ابن الزبير ، وهو زوج سكينة ، ليوهم القارىء ، ويحمله علىٰ تصديق الخبر ، والأخذ به ، والتسليم له ، لأن القارىء قد يتراءىٰ له أن تكون سكينة

---

(١) الأغاني ١٠٥/١ .

(٢) نفسه ٣٧٦/٢ .

قد حدثت زوجها مصعباً بذلك ، ونحن نقول : هل يتسع صدر سكينة وقلبها لمثل هذا الخبر ؟ وهل كانت سكينة تطيب نفسها أن تجمع النسوة بعمر بن أبي ربيعة ؟ وترسل إليه رسولاً ، وتضرب له موعداً ، ليلتقي مع كريمات العرب ، هل نسيت سكينة مصائب أبيها وإخوتها ، وأهل بيتها ، حتىٰ تفرغ لمثل هذا العمل التافه الحقير ، وهل يليق بها ذلك ؟ فتأمل ، وبعد هذا التشويه لسيرة السيدة سكينة ، فلم يكتف أبو الفرج حتىٰ يضيف سبّة إلى عمر بن أبي ربيعة ، وإلى المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة .

ذلك هو قول عمر بن أبي ربيعة ، الذي صرَّح فيه بأنّه لا يخلط بزيارة تلك النسوة غيرها ، وينصرف إلى مكة ، ولم يزر قبر رسول الله ﷺ ، ولا صلّى في مسجده .

وكأن سكينة ، قد صرفته عن زيارة جدّها ، والصلاة في مسجده ، وهيأت له ما هو أفضل من ذلك عنده ، وهو الاجتماع بالنساء والتحدث لهن وإنشادهن ..

سكينة تحكم بين المغنّين

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني الحَرميّ بن أبي العلاء ، قال : حدّثنا الزبير بن بكّار ، قال : حدّثني محمد بن سلّام .

وأخبرنا وكيع ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ، عن محمد ابن سلّام ، عن جرير .

ورواه حمّاد ، عن أبيه ، عن ابن سلّام عن جرير أيضاً :

« أن سكينة بنت الحسين عليه السلام ، حَجَّت ، فدخل إليها ابن سريج والغريض ، وقد استعار ابن سريج حُلَّةً لامرأة من قريش ، فلبسها .

فقال لها ابن سريج : ياسيّدتي ، إنّي كنت صنعت صوتاً ، وحسّنْتُه ، وتنوَّقْتُ فيه ، وخبأته في حريرة ، في درج مملوء مسكاً ، فنازعنيه هذا الفاسق – يعني الغريض – فأردنا أن نتحاكم إليكِ فيه ، فأيّنا قَدَّمْتهِ فيه تَقَدَّمَ ، قالت : هاته .

فغنّاها :

عوجي علينا ربَّة الهودجِ　　إنَّكِ إن لا تفعلي تحرجي

فقالت : هاته ، أنت يا غريض .

فغنّاها إيّاه .

فقالت لابن سُرَيج : أَعِدْه ، فأعاده .

وقالت : ياغريض ، أَعِدْه ، فأعاده .

فقالت : ما أشبّهكما إلاّ بالجَدْيَيْن : الحار والبارد ، لا يُدرىٰ أيّهما أطيب .

وقال إسحاق في خبره : ما أشبّهكما إلا باللؤلؤ والياقوت ، في أعناق الجواري الحسان ، لا يُدرىٰ أيّهما أحسن » .

* * *

(١) الأغاني ٢/٣٦٥ .

قلت :

إن أبا الفرج قد أظهر لنا : السيدة سكينة خبيرة بالغناء ، وأنها تحكم بين كبار المغنّين .

فهل في هذا تكريم للسيدة سكينة ؟ أم إهانة ؟

وهل كان حظ السيدة سكينة في حجّها أن يدخل عليها ابن سريج متنكّراً بحلة امرأة من قريش !

ولابد أن نذكر أن كثيراً من الرواة الموثوقين وردوا في إسناد هذا الخبر ، فهل يسوى مثل هذا الخبر التافه أن يحرص على روايته مثل ذلك من العدد من الرجال الحفّاظ .

أم إن أبا الفرج اختلق هذا السند وركّبه ، ولا نستبعد ذلك من مثل هذا الشعوبي الحاقد ، على أفاضل رجال العرب ، وكرائم نسائهم .

حُنَيْن الحِيرِيّ يموت في بَيت سُكَيْنَة

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني عمّي قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثني حسان بن محمد الحارثي . قال : حدثنا عبد الله . قال : حدثنا عُبَيد بن حُنَين الحِيريّ . قال :

« كان المغنّون في عصر جَدّي أربعةَ نفر ، ثلاثة بالحجاز ، وهو وحده بالعراق .

والذين بالحجاز ، ابن سريج والغريض ومعبد ، فكان يبلغهم أن جدّي قد غنّىٰ في هذا الشعر :

هلا بكيتَ علىٰ الشباب الذاهبِ وكفَفْتَ عن ذم المشيب الآيبِ

(... الأبيات) .

قال : فاجتمعوا ، فتذاكروا جدّي ، وقالوا : ما في الدنيا أهلُ صناعة ، شرٌّ منا ، لنا أخٌ بالعراق ، ونحن بالحجاز ، لا نزوره ولا نستزيره ، فكتبوا إليه ، ووَجَّهوا إليه نفقة ، وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة ، وأنت وحدك ، فأنت أولىٰ بزيارتنا .

فشخص إليهم ، فلما كان علىٰ مرحلة من المدينة ، بلغهم خبره ، فخرجوا يتلقّونه ، فَلَمْ يُرَ يومٌ كان أكثَرَ حشراً ولا جمعاً من يومئذٍ .

ودخلوا ، فلما صاروا في بعض الطريق ، قال لهم معبد : صِيروا إليَّ .

فقال له ابن سريج : إن كان لكَ من الشرف والمروءة ، مثل ما لمولاتي سكينة بنت الحسين ، عَطَفْنا إليك .

---

(١) الأغاني ٢/٣٥٥ .

فقال : ما لي من ذلك شيء .

فعدلوا إلى منزل سكينة ، فلما دخلوا إليها ، أُذِنَتْ للناس إذناً عاماً ، فغَصّت الدار بهم ، فصعدوا فوق السطح ، وأمرت لهم بالأطعمة ، فأكلوا منها ، ثم إنّهم سألوا جدّي حُنَيناً أن يغنيَهم صوته الذي أوّله :

هلا بَكيت على الشباب الذاهبِ .

فغنّاهم إيّاه ، بعد أن قال لهم : ابدَءوا أنتم .

فقالوا : ما كنّا لنتقدّمك ، ولا نغنّي قبلك ، حتىٰ نسمع هذا الصوت .

فغنّاهم إيّاه ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، فازدحم الناس علىٰ السطح ، وكثروا ليسمعوه ، فسقط الرواق علىٰ مَن تحته ، فَسَلِمُوا جميعاً ، وأخرِجوا أصِحّاء ، ومات حنين تحت الهدم ، فقالت سكينة عليها السلام : لقد كدّر علينا حنين سرورنا ، انتظرناه مدة طويلة ، كأنّا والله كنّا نسوقه إلى منيّته » .

* * *

قلت :

لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنّا لله وإنا إليه راجعون .

نحن نعلم أن السيدة سكينة ، كانت امرأةً برزةً عالمةً ، عاقلةً ، أديبة ، شاعرة ، تقابل الشعراء ، وتستنشدهم ، وتنقد شعرهم ، وتساجلهم ، وكانت تلتقي بالفقهاء والعلماء والأدباء ، ومهما تساهلنا ، في خبر السيدة سكينة وحرّيتها ، فليس من الممكن أن تصل إلى هذه الصورة التي أخرجها لنا الأصفهانيّ .

حتى جعل بيت سكينة ملهىٰ أو مسرحاً .

وأن يكون موت حنين المغنّي في بيتها ، مكدراً لسرورها ! وموت أبيها واستشهادُهُ ألم يكن مكدراً لسرورها ؟

وهل كان ابن سريج مخوَّلاً من السيدة سكينة ، بحيث يدعو الناس إلى بيتها ؟ وتجيز ذلك ، ويستجيب له ، وتأذن للناس جميعاً لهذا الحفل الساهر ، وتهيىء لهم الطعام ، حتى يهدمه الله على رءوس المحتفلين !!

سُكينة تُرجِعُ ابن سريج إلىٰ الغناء بعد توبته

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني الحسين بن يحيىٰ ، عن حماد ، عن أبيه ، عن مصعب الزبيريّ ، قال : حدثني شيخ من المكيّين .

ووجدت هذا الخبر أيضاً في بعض الكتب ، مرويًّا عن محمد بن سعد كاتب الواقدي ، عن مصعب ، عن شيخ من المكيّين ، والرواية عنهما متّفقة ، قال :

« كان ابن سريج ، قد أصابته الريح الخبيثة ، وآلى يميناً أن لا يغنّي ، ونسك ، ولزم المسجد الحرام ، حتىٰ عوفي ، ثم خرج وفيه بقية من العلّة ، فأتىٰ قبر النبيّ ﷺ ، وموضع مصلّاه .

فلما قدم المدينة ، نزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة ، فكان أهل الغناء يأتونه مسلّمين عليه ، فلا يأذن لهم في الجلوس والمحادثة ، فأقام بالمدينة حولاً ، حتىٰ لم يحسّ من علّته بشيء ، وأراد الشخوص إلى مكة .

وبلغ ذلك سُكينة بنت الحسين ، فاغتمت اغتماماً شديداً ، وضاق به ذرعها ، وكان أشعب يخدمها ، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره .

وقالت لأشعب : ويلك ! إن ابن سريج شاخص ، وقد دخل المدينة

---

(١) الأغاني ١٧/٤٢ – ٤٥ .

منذ حول ، ولم أسمع من غنائه قليلاً ولا كثيراً ، ويعزّ عليّ ذلك ، فكيف الحيلة في الاستماع منه ، ولو صوتاً واحداً ؟

فقال لها أشعب : جُعِلتُ فداك ! وأنّىٰ لك بذلك ، والرجل اليوم زاهد ، ولا حيلة فيه ؟ فارفعي طمعك ، والحَسى تَوْرَكِ [١] ، تنفعك حلاوة فيك .

فأمرت بعض جواريها ، فوطئن بطنه ، حتىٰ كادت أن تخرج أمعاؤه ، وخنقنه حتىٰ كادت نفسه أن تتلف .

ثم أمَرت به ، فسُحِبَ على وجهه ، حتىٰ أخرِجَ من الدار إخراجاً عنيفاً . فخرج على أسوإ الحالات ، واغتمّ أشعب غمًّا شديداً ، وندم علىٰ ممازحتها في وقت لم ينبغ له ذلك ، فأتىٰ منزل ابن سريج ليلاً فطرقه .

فقيل : من هذا ؟

فقال : أشعب .

ففتحوا له ، فرأوا علىٰ وجهه ولحيته التراب ، والدم سائلاً من أنفه وجبهته على لحيته ، وثيابه ممزقة ، وبطنه ، وصدره ، وحلقه ، قد عَصَرَها الدوس والخنق ، ومات الدم فيها .

فنظر ابن سريج إلى منظر فظيع . هالَه ، وراعَه .

فقال له : ما هذا ويحك ؟

فقصّ عليه القصة .

فقال ابن سريج : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ماذا نزل بك ؟ والحمد لله الذي سلّم نفسك ، لا تعودَنّ إلى هذه أبداً .

---

(١) التَّوْر : إناء يوضع فيه الطيب ، والشراب .

قال أشعب : فديتك ، هي مولاتي ، ولابد لي منها ، ولكن هل لك حيلة في أن تصير إليها وتغنّيها ، فيكون ذلك سبباً لرضاها عني ؟

قال ابن سريج : كلاّ والله لا يكون ذلك أبداً بعد أن تركته .

قال أشعب : قد قطعت أملي ، ورفعت رزقي ، وتركتني حيران بالمدينة ، لا يقبلني أحد ، وهي ساخطة عليّ ، الله الله فيّ ، وأنا أنشدك الله ، إلاّ تحمَّلْتَ هذا الإثم فيّ ، فأبى عليه .

فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تمّ على الامتناع .

قال في نفسه : لا حيلة لي ، وهذا خارج ، وإن خرج هلكتُ ، فصرخ صرخةً ، آذَنَ أهلَ المدينة لها ، ونبّه الجيران من رقادهم ، وأقام الناس من فرُشهِم ، ثم سكت .

فلم يدر الناس ما القصة ، عند خفوت الصوت ، بعد أن قد راعهم .

فقال له ابن سريج : ويلك ! ما هذا ؟

قال : لئن لم تصِرْ معي إليها ، لأصرخنّ صرخةً أخرى ، لا يَبقى بالمدينة أحد ، إلاّ صار بالباب ، ثم لأفتحنّه ، ولأريهنّم ما بي ، ولأعلمنّهم أردت أن تفعل كذا وكذا بفلان – يعني غلامًا كان ابن سُريج مشهوراً به – فمنعتُك ، وخلّصت الغلام من يدك ، حتى فتح الباب ومضى ، ففعلت بي هذا غيظاً وتأسّفاً ، وأنك إنما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه ، وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه .

فقال ابن سريج : اغرب أخزاك الله .

قال أشعب : والله الذي لا إله إلاّ هو ، وإلا فما أملك صدقةً ،

وامرأته طالق ثلاثاً ، وهو نحيرٌ في مقام إبراهيم ، والكعبة ، وبيت النّار ، والقبر ، قبر أبي رغال ، إنْ أنت لم تنهض معي في ليلتي هذه ، لأفعلَنّ .

فلما رأىٰ ابن سريج الجدّ منه .

قال لصاحبه : ويحك ، أما ترىٰ ما وقعنا فيه ؟

وكان صاحبه الذي نزل عنده ناسكاً .

فقال : لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث .

وتذمّم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل .

فقال الأشعب : اخرج من منزل الرجل .

فقال : رِجلي مع رجلك .

فخرجا ، فلما صارا في بعض الطريق .

قال ابن سريج لأشعب : امضِ عنّي .

قال : والله لئن لم تفعل ما قلتُ ، لأُصيحنّ الساعة ، حتىٰ يجتمع الناس .

ولأقولنّ : إنّك أخذت منّي سواراً من ذَهَب لسكينة ، علىٰ أن تجيئها ، فتغنيها سرًّا ، وإنّك كابرتني عليه ، وجحدتني ، وفعلت بي هذا الفعل .

فوقع ابن سريج فيما لا صلة له فيه .

فقال : امضي ، لا بارك الله فيك .

فمضىٰ معه ، فلما صار إلى باب سكينة ، قرع الباب .

فقيل : من هذا ؟

فقال : أشعب ، قد جاء بابن سريج .

فَفُتح الباب لهما ، ودخلا إلى حجرة خارجة عن دار سكينة ، فجلسا ساعة ، ثم أذِنَ لهما ، فدخلا إلى سكينة .

فقالت : يا عبيد ، ما هذا الجفاء ؟

قال : قد عَلِمتِ بأبي أنتِ ما كان منّي .

قالت : أجل .

فتحدثا ساعة ، وقصّ عليها ما صنع به أشعب فضحكت .

وقالت : لقد أذهب ما كان في قلبي عليه . وأمرت لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة .

ثم قال لها ابن سريج : أتأذنين بأبي أنت ؟

قالت : وأين ؟

قال : المنزل .

قالت : برئت من جدّي ، إنْ برحتَ داري ثلاثاً ، وبرئت من جدّي ، إن أنت لم تغنّ ، إن خرجْت من داري شهراً ، وبرئت من جدّي ، إن أقمتَ في داري شهراً ، إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشراً ، وبرئتُ من جدّي ، إن حنثتُ في يميني أو شفَّعْتُ فيك أحداً .

فقال عبيد : واسخنة عيناه ، واذهابَ دنياه ، وافضيحتاه ثم اندفع يُغَنّي :

أستعين الذي بكفّيْه نفعي ورجائي علىٰ التي قتلتني

* * *

قلت :

فيَ هذا الخبر الخبيث عدة مطاعن ، يحاول أبو الفرج أن يسددهاإلى تاريخنا وأدبنا وأعلامنا .

وقد فضحه الله تعالىٰ ، حين نسب هذه الحكاية إلى مجهول ، وهو (شيخ من المكيّين) . ثم تبرقع ببرقع آخر يشف عما تحته من قبح وجهه وسواد قلبه إذ قال : (ووجدت هذا الخبر أيضاً في بعض الكتب ...) .

لقد أراد الأصفهاني في هذه الحكاية ، أن يسيء إلى السيدة سكينة ، حين يصفها بأنها اغتمّت غمًّا شديداً ، وضاقت بذلك ذرعاً حين علمت بأن ابن سريج ترك الغناء وعزف عنه ، وتنسك ومال إلى الزهد والعبادة ، وأنّه تاب عمّا كان عليه من الغناء والبطالة واللهو والغناء .

في الوقتَ الذي كان ينبغي للسيدة سكينة فيه ، أن تشجع ابن سريج علىٰ هذا المسلك الشريف ، وتبارك له مسعاه ، واتجاهه الجديد ، وتدعو له بالثبات .

ولكن الأصفهاني يصوّر لنا الأمر معكوساً ، ليسأل القارىء نفسه : إذا كانت سكينة قد جزعت لتوبة ابن سريج ، فكيف بسائر الناس ، وبخاصة أهل اللهو والفراغ والجدة .

ويعود الأصفهاني ليذكر لنا أن السيدة سكينة ، استعانت بأشعب في محاولة ليعيد ابن سريج إلى الغناء ، وينصرف عن النسك والزهد ، ويحكي لنا الأصفهاني ، كيف أن أشعب هدّد ابن سريج ، وأنّه سيفضحه بين الناس ، ويخبرهم بأن ابن سريج إنما أظهر التوبة والنسك ، ليخدع غلاماً كان يحبه ويعشقه ، وإنّه حاول أن يفعل به منكراً ، ولكن أشعب أنقذ الغلام ، فلذلك ضربه ابن سريج ، وذكر لنا الأصفهاني أن السيدة سكينة أمرت جواريها بضرب أشعب وخنقه ، قبل ذلك .

ويذكر لنا الأصفهاني أن ابن سريج كان مشهوراً بمراودته للغلام ، وأهل مكة والمدينة يعلمون تلك الحال منه .

ونقول إذا كانت تلك حال ابن سريج ، فلماذا تدعوه سكينة إلى زيارتها ، وتقرّبه منها ؟ وهذه طعنة أخرىٰ .

وخاتمة المصائب في خبر أشعب عند ابن سريج ، أنه يحلف بالله ، وبطلاق امرأته ، وبأنه مذبوح عند مقام إبراهيم ، وعند الكعبة وفي بيت النار ، وعند قبر أبي رغال ...

ترىٰ هل كان الناس في تلك الأيام ، يساوون بين مقام إبراهيم والكعبة وبين بيت النار ، وقبر أبي رغال ؟

أم إن الشعوبية ظهرت على لسان أبي الفرج من حيث لم يشعر ؟

كيف يحلف أشعب ببيت النار ؟

وكيف يحلف بقبر أبي رغال ؟

هل كانا مقدَّسَيْنِ عند العرب ؟ وعند المسلمين ؟

أم هما مقدَّسان عند الشعوبيين وأعداء الإسلام ؟

وأبشع من ذلك . انظر إلى الأيمان التي ظهرت على لسان سكينه إنها تبرأ من جدّها رسول الله ﷺ ، إذا لم تحبس ابن سريج شهراً عند امتناعه عن الغناء .

وأنها تبرأ من جدها كذلك ، إذا لم تضربه كل يوم عشراً ، إذا لم يغن لها .

وإنها بريئة من جدّها إذا حنثت في يمينها ، أو قبلت شفاعة أحد في ابن سريج !

فهل كانت سكينة هكذا ؟

وإذا كانت هذه أخلاق بيت النبوة ، فكيف تكون أخلاق الناس ؟

هذا هو مبتغىٰ الأصفهاني من حكايته ، يرويها على لسان أهل النوادر والتحميض ، والسمر .

وهل يبقىٰ (كتاب الأغاني) بعد هذا ، من أجل مصادر تاريخنا وأدبنا العربي ؟

أم هو من أكبر المعاول وأشدها وأحدّها لهدم صرح تاريخنا وأدبنا العربي ؟

سُكينَة والفرزدق

قال الأصفهاني (١) :

قال المدائنيّ ، حدثني أبو يعقوب الثقفيّ ، عن الشعبيّ :

« أن الفرزدق خرج حاجًّا ، فلما قضىٰ حِجّه ، عدل إلى المدينة ، فدخل إلى سكينة بنت الحسين عليهما السلام ، فسلّم .

فقالت له : يافرزدق ، من أشعرُ الناسِ ؟

قال : أنا .

قالت : كذبتَ ، أشعر منك الذي يقول :

بنفسي من تَجَنُّبه عزيزٌ عَلَيَّ ومَن زيارتُه لمامُ
ومَن أمسي وأُصبحُ لا أراه ويطرقني إذا هجع النيام

(... الأبيات) .

فقال : والله لئن تركتني ، لأُسمعنَّكِ أحسنَ منه .

فأمرت بإخراجه .

فالتفت إليها وقال : يابنت رسول الله – ﷺ – إن لي عليك حقاً عظيماً .

قالت : وما هو ؟

قال : ضَرَبْتُ إليك آباط الإبل ، من مكة ، أريد التسليم عليك ،

---

(١) الأغاني ٣٨/٨ ، ٣٩ .

فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردي ، وتفضيل جرير عَلَيّ . ومنعك إيّاي ، أن أنشِدَك شيئاً من شعري ، وبي ما قد عيل منه صبري ، وهذه المنايا تغدو وتروح ولعلّي لا أفارق المدينة حتى أموت ، فإذا أنا مِتُّ ، فَمُري بي أن أدْرَجَ فى كفني ، وأدْفَنَ في حِرِ هذه ، (وأشار إلى جارية أعجبته) .

فضحكت سكينة ، وأمرت له بالجارية .

فخرج بها آخذاً بريطتها .

وأمرت الجواري ، فدفعن في أقفيتهما .

ونادته · يافرزدق ، فاحتفظ بها ، وأحسن صحبتها ، فإني آثرتك بها علي نفسي » .

* * *

قلت :

هل كانت مثل هذه الألفاظ التي أجراها الأصفهاني علىٰ لسان الفرزدق ، وهي البالغة في الفحش ، مما تجري علىٰ أسماع السيدة سكينة ؟

ثم لا تغضب لها سكينة ، بل تضحك !

إذن متىٰ تغضب سكينة ؟

وهل كان من الذوق أن تسيء إلى ضيفها ؟ ولو كان على سبيل الممازحة ، فليس هو كالصورة التي عرضها الأصفهاني .

ولم يكتف أبو الفرج بإيراد هذه الحكاية السخيفة ، الماجنة ، حتىٰ أعادها مرة أخرىٰ (١) مضيفاً إلى سندها أبا عبيدة معمر بن المثنىٰ ثم يعيدها مرة ثالثة بسند آخر ، عن عبد الله بن مالك .

---

(١) الأغاني ١٧٠/١٦ ، ١٧١ .

لماذا هذه اللجاجة من أبي الفرج في إعادة هذه الحكاية ثلاث مرات ؟

هل هي من الأهمية التي توجب إعادتها ؟

أم كان يحلو له أن يسيء إلى ذوقنا وأدبنا وتاريخنا .

سُكينَة ملكة الجمـال

قال الأصفهاني [١] :

قال الزبير : وحدثني عمّي ، عن الماجشون ، قال :

« قالت سكينة ، لعائشةَ بنتِ طلحة : أنا أجمل منك .

وقالت عائشة : بل أنا .

فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة .

فقال : لأقضينّ بينكما ، أمّا أنت يا سكينة ، فأملحُ منها .

وأما أنت يا عائشة . فأجمل منها .

فقالت سكينة : قضيت لي والله .... » .

* * *

قلت :

لقد أعجب شفيق جبري بهذا الخبر ، واعتبره دليلاً على حرية المرأة العربية ، واجتماعها بالرجال ، وقال : « فهذا النمط لا نكاد نجد نظيره في عصرنا هذا » [٢].

مهلاً أيها الباحث الجليل ، وإنكّ هنا تدعو إلى (قلب) الحقيقة ، لا إلى قلب الحقيقة .

---

(١) الأغاني ١٦/١٥١ .

(٢) دراسة الأغاني ص ١٥٤ .

وما هكذا يُفهم التاريخ !

لقد كان لسكينة من المصائب والمتاعب التي حلّت بها ، وبأهلها ما يصرفها عن مثل هذه المواقف .

ولو وردت هذه الحكاية ، عن بعض الجواري ، مع أسيادهم في القصور ، لكانت مقبولةً ، ومستملحةً .

أما إنها ترد عن سكينة بنت الحسين ، وعن عائشة بنت طلحة ، فهذا أمر ينبغي لنا ، أن نناقشه ، ونعقّب عليه .

وإنّي لأعجب من الذين يتبجحون بالبحث العلمي ، والدراسات المنهجية ، ولهم دويّ ولغط ، وادّعاء في مناقشة كتب التاريخ ، والسيرة النبوية ، والغزوات ، والفتوح ، ويحاولون التشكيك ، وبث بذور الريب ، ومحاولة الطعن في أغلبها ، ثم هم يسكتون عن مثل هذه المثالب ، ويأخذونها بالتسليم والإذعان ، دون مناقشة ، متّبعين في ذلك خطوات أسيادهم المستشرقين ، الذين يحرصون على تلويث تاريخنا ، وإحاطته بالشبهات .

الاستخفاف بآل الرسُول

قال الأصفهاني (١) :

حدثني عيسىٰ بن الحسن الورّاق ، قال : حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات .

وحدثنيه الحسن بن عليّ ، عن ابن مهرويه ، عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، قال : حدثني محمد بن هارون ، قال :

« أخبرني الفضل بن إياس الهذليّ الكوفي ، أن المنصور كان يريد البيعة ، للمهدي ، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك .

فأمر بإحضار الناس ، فحضروا ، وقامت الخطباء فتكلموا ، وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي ، وفضائله ، وفيهم مطيع بن إياس .

فلما فرغ من كلامه في الخطباء ، وإنشاده في الشعراء .

قال للمنصور : يا أمير المؤمنين ، حدثنا فلان عن فلان ، أن النبيّ ﷺ ، قال : المهديّ منا ، محمد بن عبد الله ، وأمّه من غيرنا ، يملأها عدلاً ، كما ملئت جوراً .

وهذا العباس بن محمد ، أخوك يشهد علىٰ ذلك .

ثم أقبل علىٰ العباس ، فقال له : أنشدك الله هل سمعت هذا ؟

فقال : نعم .

---

(١) الأغاني ١٣/٢٨٧ .

مخافةً من المنصور ، فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي .

قال : ولما انقضىٰ المجلس ، وكان العباس بن محمد ، لم يأنس به .

قال : أرأيتم هذا الزنديق ، إذ كذب علىٰ الله عز وجل ، ورسوله ﷺ ، حتىٰ استشهدني علىٰ كذبه ! فشهدت له خوفاً .

وشهد كل من حضر عليَّ بأني كاذب ؟

وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر ، وكان مطيع منقطعاً إليه ، يخدمه ، فخافه وطرده عن خدمته .

قال : وكان جعفر ماجناً ، فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه ، وشقّت عليه البيعة لمحمد .

فأخرج أيره ، ثم قال : إن كان أخي محمد ، هو المهدي ، فهذا القائم من آل محمد » .

* * *

قلت :

إن أبا جعفر ، أكبر من ذلك ، وهو المعروف بحزمه وهيبته ، ولم يـ .
بحاجة إلى الشعراء من أمثال مطيع بن إياس ، في مثل هذه المواقف ، وإنما يجمع الأمراء ، والعلماء والقضاة ، وأهل المشورة .

وقد بلغت الوقاحة بأبي الفرج مبلغاً كبيراً ، حين يتجرأ ، وينهي خبره بتلك العبارة البذيئة ، ويجعلها على لسان جعفر بن أبي جعفر ، وهل يذكر ذلك من يدّعي التشيّع ؟

إن أبا الفرج ، كان زنديقاً مجوسياً ، لذلك نراه يستخف بآل محمد ، ويصوغ مثل هذه الحكايات ، التي تعرب عن حقد دفين ، لا يرتاح حتىٰ يشتم أعلامنا ، ويسفّه أحلامنا ، ويطعن بتاريخنا ذات اليمين وذات الشمال .

معَاوية وعبد الله بن جَعفر

قال أبو الفرج (١) :

أخبرني الحسين بن يحيىٰ ، عن حمّاد ، عن أبيه ، قال : حدثني بعض القرشيين ، قال :

« قدم عبد الله بن جعفر [بن أبي طالب] علىٰ معاوية وافداً ، فدخل عليه إنسان ، ثم ذهب إلى معاوية .

فقال : هذا ابن جعفر يشرب النبيذ ، ويسمع الغناء ، ويحرّك رأسه عليه .

فجاء معاوية متغيّراً ، حتىٰ دخل علىٰ ابن جعفر ، وعزّة الميلاء ، بين يديه ، كأنها الشمس الطالعة في كواء البيت ، يضيء بها البيت ، تغنّيه علىٰ عودها :

تَبلَتْ فؤادك في الظلام خريدة
تشفي (٢) الضجيع ببارد بسّام

وبين يديه عسٌّ (٣) كبير .

فقال : ما هذا يا أبا جعفر ؟

---

(١) الأغاني ٤/٢١٢ .

(٢) في ديوان حسان : تسقي ..

(٣) العسّ : القدح الكبير .

قال : أقسمت عليك يا أمير المؤمنين لتشربنّ منه .

فإذا عسلٌ مجدوح بمسك وكافور .

فقال [معاوية] : هذا طيّب ، فما هذا الغناء ؟

قال : هذا شعر حسان بن ثابت ، في الحارث بن هشام .

فقال : فهل تغنّي بغير هذا ؟

قال : نعم ، بالشعر يأتيك به الأعرابي الجافي الأدفر ، القبيح المنظر ، فيشافهك به ، فتعطيه عليه ، وآخذه أنا ، فأختار محاسنه ، ورقيق كلامه ، فأعطيه هذه الحسنة الوجه ، الليّنة المسّ ، الطيّبة الريح ، فترتّله بهذا الصوت الحسن .

قال : فما تحريك رأسك ؟

قال : أريحيّة أجدها ، إذا سمعت الغناء ، لو سُئِلتُ عندها لأعطَيْت ، ولو لقيت لأبلَيْت .

فقال معاوية : قبّح الله قوماً عرّضوني لك .

ثم خرج ، وبعث له بصلة » .

* * *

قلت :

صوّر لنا أبو الفرج في هذا الحديث ، أن معاوية وعبد الله بن جعفر يشربان سوية ، ويسمعان الغناء من عزّة الميلاء .

وصوّر لنا أن معاوية رجل ساذج بسيط ، لا يعرف حتى تحريك الرأس عند استماع الغناء ، فيسأل عنه !

وصور لنا كيف أن عبد الله بن جعفر ، يذم الأعراب ووسخهم وسوء منظرهم ورائحتهم الكريهة ، وأنه يختار لطيف الشعر ومحاسنه ، وكأنه يعلّم معاوية أصول الغناء ، فيعتذر إليه معاوية ، ويشكره ويقدم له هدية ، فهل نسي عبد الله استشهاد أبيه جعفر في غزوة مؤتة ؟

وهل نسي جهاد عمّه عليّ ، حتى يتفرغ للشراب واستماع الغناء ؟

وهل يتسع وقت معاوية لمثل هذه المجالس ؟

كل ذلك لا يهتم به أبو الفرج ، ما دام الخبر يحتوي طعناً في الهواشم والأمويين على حد سواء .

وذلك من أسمى مقاصد الشعوبيين .

الفصـــل الثالث

الأصفَهاني والأُمَويّون

كما أساء الأصفهاني إلى آل البيت النبوي الشريف ، فقد أساء إلى الأمويين .

ولا ندري كيف نوفّق بين ادعاء الأصفهاني بأنّه أمويّ النسب ، وهو يشتم أجداده ، ويسيء إليهم ، وكيف يدعي الأصفهاني التشيُّعَ والولاءَ لآل البيت ، وهو يطعن فيهم ويجرح سيرتهم .

لقد ذكر الأصفهاني عن الأمويين أخباراً شنيعة ، وأموراً فظيعة ، فقد شبّه الخلفاء بالقوّادين ، والخليفة يأمر (أشعب) أن يسجد (لعضوه ...) والخليفة وحجاج بيت الله كلهم أولاد زنا ، والخليفة يخطب الجمعة بأرجوزة وهو سكران ، وآل مروان يزنون بكنّاتهم وجاراتهم إلى غير ذلك من السقط الذي يستحي منه القارئ والسامع .

وفي مثل هذه الأخبار شفاء لصدور آل بويه ، وهو يوافق هوى العباسيين والعلويين أيضاً .

فتأمل هذا الخبث والمكر والدس والافتراء والكيدَ الأصفهانيَّ .

ولا تنسَ أن العرب كانوا يستعيذون بالله من كيد أهل أصفهان ، وكتاب الأغاني خير شاهد على ذلك .

وسيتناول هذا الفصل جانباً من تلك الأخبار .

وَقاحَة وَبَـذاءة

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائني ، قال :

« لما وَلِيَ الوليد بن يزيد ، لهج بالغناء ، والشراب ، والصيد ، وحَمَل المغَنّين من المدينة وغيرها إليه ، وأرسل إلى أشعب فجاء به ، فألبسه سراويل من جلد قردٍ له ذَنَب .

وقال له : ارقُص وغنّني شعراً يعجبني ، فإن فعلت ، فَلَكَ ألف درهم ، فغنّاه ، فأعجبه ، فأعطاه ألف درهم .

ودخل إليه يوماً ، فلما رآه الوليد ، كشف عن أيره ، وهو منعظٌ .

قال أشعب : فرأيته ، كأنه مزمار آبنوس مدهون .

فقال لي : أرأيتَ مثله قط ؟

قلت : لا يا سيّدي .

قال : فاسجد له .

قال أشعب : فسجدتِ له ثلاثاً .

فقال : ما هذا ؟

قلت : واحدة لأيرك ، واثنتين لخِصيتك .

---

(١) الأغاني ٤٦/٧ .

قال : فضحك ، وأمر لي بجائزة .

قال : وتكلّم بعض جلسائه ، والمغنية تغنّي ، فكَرِه ذلك ، وأضجَره ، فقال لبعض جلسائه : قم فَنِكْه .

قال : فقام ، فناكه ، والناس حضور ، وهو يضحك .

وذكرت جارية : أنه واقعها يوماً ، وهو سكران ، فلما تنحّىٰ عنها ، آذَنَه المؤذّن بالصلاة ، فحلف أن لا يصلّي بالناس غيرها ، فخرجت متلثّمة ، فصلّت بالناس » .

* * *

قلت :

ويعيد أبو الفرج الخبر نفسه (١) ، بسند آخر ، عن محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثنا الخليل بن أسد ، قال حدثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عدي (٢) ، عن أشعب .

فهل يَسْوىٰ هذا الخبر ، مثل ذلك السند ، وعدد الرواة ، ولم يعلّق عليه أحد الرواة باستنكار ، أو رد ، ولم نجد مثل هذا الخبر في مصادر أخرىٰ ، على كثرة ما قيل في تصرفّات الوليد وطيشه ، ولكن لم يصل إلى هذا الحد من النذل .

وقد تضمّن الخبر طعناً بالخلافة ، وطعناً بالسجود والعبادة ، وطعناً بالصلاة والإمامة فيها ، وتخلل ذلك ألفاظ بذيئة وفاحشة ، فماذا بقي للعروبة والإسلام ؟

---

(١) الأغاني ٥٩/٧ .

(٢) ذكرناه مع الرواة الكذابين .

وكيف يكون كتاب الأغاني ، من أجل مصادر التاريخ والأدب العربي ، كما يقول التافهون الفارغون ، الجهال بتاريخ أمتهم وآدابها .

صدق رسول الله ﷺ ، حين أشار إلى أمثال أبي الفرج بقوله : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

وها هو الأصفهاني يصنع ما يشاء ، لأنه رفع قناع الحياء ، وخلع العِذار ، وسار في طريق العثار .

ونحن لا نريد أن نبرّئ الوليد بن يزيد ، من مساوئه ، فقد ذكرت الكتب الموثوقة في تاريخنا شيئاً من ذلك .

ولكننا ننكر الروايات التي جاء بها الأصفهاني ، ونستبعدها ، لأنها تحتوى مبالغة فظيعة ، يجب التوقف عندها ، والتأمل فيها ، وعدم التسليم بها ، وينبغي لنا مناقشتها .

وهناك أناس تعجبهم مثل هذه الأخبار ، ويطربون لها ، ويبحثون عن السلبيّات في تاريخ رجالنا وأمتنا .

ومن أشهر أولئك (طه حسين) ، فقد كان يفرح بمثل هذه العثرات ، ويبنى عليها أحكاماً ، ويستنبط منها أموراً تعينه على ما يريد تثبيته من صور ، تشمئز منها النفوس ، وتحمل الأبناء على النفور من سِيَر الأجداد .

وحتى (طه حسين) هذا الذي ضربناه مثلاً ، فإنه كان يتوقف عند هذه الأخبار ، ولا يرتضيها ، وها هو يقول :

« ... ومن هنا كان من الحق ، أن تحتاط الاحتياط كله ، حين تقرأ في الكتب من ذمّ الوليد ، والنعي عليه ، ورميه بالكفر حيناً ، وبالزندقة حيناً

آخر ، وإضافة الشعر المملوء كفراً وفجوراً إليه ، يجب أن تحتاط في هذا كلّه ، فأكثره ، أو كثير منه على أقلّ تقدير ، متكلَّف منحول ، ولسنا نحن الذين يقولون ذلك ، بل قاله الأوّلون ، فقد اختلفوا فيه اختلافاً عظيماً .

فأمّا أكثرهم فكانوا يتقربون إلى بني العباس ، وإلى عامة الناس ، بالطعن فيه ، والنعي عليه ، وليس أحرص من أصحاب السلطان والعامة، على أن تكون هناك ضحايا بريئة ، ينالونها بضروب الغضب ، وينزلون بها ألوان السخط .

وأمّا القليل من هؤلاء الأوّلين ، فكانوا يقصدون في ذلك ، فيسكتون ، وربما اصطنع بعضهم الشجاعة ، فدافع عنه في رفق وحذر »

ثم يقول :

« ويَقينُنا نحن ، أن الوليد لم يكن كما يزعم خصومه ، مسرفاً في اللهو والفجور ، إلى غير حد .

كما أنه لم يكن كما يريد أنصاره تقيًّا صالحاً ، وإنما كان رجلاً من الناس ، أحبَّ اللذة ، وكلِفَ بها ، وأعانته عليها ظروف ، فأخذ منها بحظٍ موفورٍ ، دون أن يخرجه ذلك عن دينه ، أو يتجاوز به حدود ما ينبغي للخلفاء في عصره ، ولكنه كان شقياً سيّىء الحظ ، جَنَتْ عليه الظروف السياسية ، التي عاشها ، أكثر مما جنى عليه لهوه ، ومجونه »[1] .

ونحن نرجو أن ينسحب هذا ، التعقيب والتعليق ، على ما يرد من أخبار الوليد بن يزيد في الصفحات التالية .

* * *

---

(١) حديث الأربعاء ٢/١٧٢ – ١٧٧ .

الخليفة وحجّاج بيت الله ، أولاد زنا

قال أبو الفرج الأصفهاني (١) :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار (٢) ، قال : حدثني علي بن محمد النوفليّ ، عن أبيه ، عن الوليد البُندار (٣) ، قال :

« حَجَجْتُ مع الوليد بن يزيد فقلت له ، لما أراد أن يخطُبَ الناسَ : إن اليوم يومٌ يشهده الناس من جميع الآفاق (٤) . وأريد أن تشرّفني بشيء .

قال : وما هو ؟

قلت : إذا عَلَوْتَ المنبر ، دَعَوْتَ بي ، فيتحدّث الناس بذلك ، وبأنّك أسْرَرْتَ إليّ شيئاً .

فقال : أفعل .

فلما جلس على المنبر قال : الوليد البُندار ، فقمت إليه .

فقال : ادْنُ منّي .

فدنوت : فأخذ بأذني .

---

(١) الأغاني ٥٨/٧ ، ٥٩ .

(٢) ذكرناه مع الرواة الكذابين .

(٣) البندار : الخازن .

(٤) خطبة يوم عرفة .

ثم قال : البندار ولد زنا ، والوليد ولد زنا ، وكلُّ من ترى حولنا ولد زنا ، أفهمتَ ؟

قلت : نعم .

قال : انزل الآن ، فنزلتُ .

* * *

قلت :

مهما كانت الدعابة والمزاح ، والاستخفاف بالعبادات ، والمشاهد الكريمة ، فلا يمكن أن تبلغ هذا المبلغ الذي جاء به الأصفهانيّ .

وحتى أعداء هذه الأمّة ، يصعب عليهم أن يشتموا الخليفة والحجّاج ، بمثل هذه الوقاحة .

ولكن خيال الشعوبيين يبدع في اختلاق هذه الحكايات السخيفة ، التي تسخّم صحائف التاريخ ، وتشوّه معالمه .

وأبو الفرج يريد أن يشفي حقده ، ويريد أن يقول : إن الخليفة وَلَدُ زنا ، وخازنه ولد زنا ، وكذلك جميع الحجاج الذين شهدوا موقف عرفة ، واستمعوا إلى خطبة الخليفة أولاد زنا أيضاً .

ولم يستطع أن يشتمهم صراحةً ، ويتهمهم بالزنا صراحةً ، فاختلق هذه الحكاية ، وجعلها على سبيل المزاح ، وأجراها على لسان الخليفة ، في أشرف موضع وأشرف يوم ، وأحلّها محلّ الاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله ، والدعاء بالخير .

ومثل أبي الفرج ، لا ينفع معه عتاب ، وإنما عتابنا على لجنة تحقيق الأغاني ، وسكوتها عن مثل هذه الأخبار ، وعدم التعليق عليها ، كأنها أخبار صحيحة موثوقة ، لا يرقى إليها شك ، ونحن نعرف كثيراً منهم اشتهروا بالتدقيق والتحقيق ومناقشة الأخبار وتمحيصها ، فلماذا هذا السكوت على هذه المخازي والمثالب ؟

يَخطُب الجمعَة بأرجوزة

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : وجدت في كتابٍ عن عبيد الله ابن سعيد الزهري ، عن عمر ، عن أبيه قال :

« خرج الوليد بن يزيد ، وكان مع أصحابه علىٰ شراب .

فقيل له : إنّ اليوم الجمعة .

فقال : والله لأخطبنّهم اليوم بشعر .

فصعد المنبر ، فخطب فقال :

الحمد لله وليّ الحَمْدِ ... أحمده في يسرنا والجهدِ
وهو الذي في الكرب أستعينُ ... وهو الذي ليس له قرينُ
أشهد في الدنيا وما سواها ... أن لا إلٓه غيره إلٓها
ما إن له في خلقه شريك ... قد خضعت لملكه الملوك
أشهد أنّ الدّينَ دينُ أحمد ... فليس مَن خالَفه بمهتد
وأنّه رسول ربّ العرش ... القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نذيرا ... وبالكتاب واعظًا بشيرا
ليظهر الله بذاك الدنيا ... وقد جُعِلْنا قبلُ مشركينا
من يطع الله فقد أصابا ... أو يعصِهِ أو الرسولَ خابا
ثم القُران والهدىٰ السبيلُ ... قد بقيا لمّا مضىٰ الرسول
كأنّه لِما بقي لديكمْ ... حيٌّ صحيح لا يزال فيكم

(١) الأغاني ٥٧/٧ ، ٥٨ .

إنّكم من بَعْدُ إن تَزِلُّوا ... عن قصده أو نهجه تضلّوا
لا تتركَنْ نصحي فإنّي ناصحٌ ... إنّ الطريق فاعلمنّ واضحُ
مَن يتّقِ الله يجدْ غِبَّ التّقى ... يوم الحساب صائراً إلى الهدى
إنّ التقى أفضل شيءٍ في العمل ... أرى جُماع البرّ فيه قد دخَل
خافوا الجحيم إخوتي لعلّكمْ ... يوم اللقاء تعرفوا ما سرّكم
قد قيل في الأمثال لو علمتُمْ ... فانتفعوا بذاك إن عَقَلتُمْ
ما يزرع الزارع يوماً يحصِدُهْ ... وما يُقَدِّمْ من صلاحٍ يحْمَدُه
فاستغفروا ربكُم وتوبوا ... فالموت منكم فاعلموا قريب

ثم نزل ... » .

* * *

قلت :

لم يرد في المصادر التاريخية ، والأدبية ، والفقهية ، خبرٌ عن هذه الخطبة ، وهي بالرّجز ، والمعلوم المشهور أن الاستشهاد بالشعر مذمومٌ في خطبة الجمعة ، ومحمود في سواها ، فكيف تكون الخطبة كلها شعراً ؟

ونضيف إلى ذلك أن الرجز في عهد الوليد كان على قافية واحدة ، ولم ينتقل الرجز إلى تقفية كل بيت على حدة ، إلا في أوائل العهد العباسي ، فكيف اختلق أبو الفرج هذه الرواية وأجاد حبكها ، حتى أنه جعل معاني الأرجوزة إسلامية ، وجيدة وعيبها أنها رجزٌ ، وليست نثراً ، وكأنه يريد أن يشير إلى الحديث الشريف : « ألا وإنّ كل محدثة بدعة . وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار ... » .

والخطبة بالرجز ، بدعة دون شك .

ولا أدري كيف سكت محققو الأغاني عن هذا الخبر ، أليس لهم علم بتاريخ الأدب ، ومراحل تطوره ؟

* * *

الوَليدُ بن يَزيد مَجوسيّ

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني أحمد بن عبيد بن عمّار (٢) ، قال : حدثني يعقوب بن شريك .

قال : حدثني عمّي عليّ بن عمرو قرقارة ، قال : حدثني أُنَيْف بن هشام بن الكلبي (٣) ، ومات قبل أبيه ، قال : حدثني أبي ، قال :

« خرج الوليد بن يزيد ، من مقصورة له إلى مقصورة ، فإذا هو ببنتٍ له ، معها حاضِنَتُها ، فوثب عليها ، فافترعها .

فقالت له : الحاضنة : إنها المجوسية (٤) !

قال : اسكتي .

ثم قال :

مَن راقبَ الناسَ مات هماً وفاز باللّذة الجسورُ

---

(١) الأغاني ٦٠/٧ .

(٢) ذكرناه مع الرواة الكذابين .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) يعني هذا من أعمال المجوس .

قال أبو الفرج الأصفهاني :

وأَحسَبُ أنا أنّ هذا الخبر باطل ، لأنّ هذا الشعر لسلم الخاسر ، ولم يدرك زمن الوليد » .

* * *

قلت :

إن تعقيب أبي الفرج علىٰ هذا الخبر بأنه باطل ، أشدّ خطراً من الخبر نفسه ، لأنه بمثل هذا التعقيب يوحي للبسطاء من القراء ، أنّه محقق نظيف ، يتوخّى الصدق في أخباره عند التدوين .

ويفهم من ذلك أن الأخبار التي لم يعقب عليها ، كلّها صحيحة موثوقة ، واستند أبو الفرج في إبطال الخبر ، ببيت الشعر ، لأنه لسلم الخاسر ، وأن سلماً لم يدرك زمن الوليد .

أمّا الفعل الشنيع ، فيسكت عنه أبو الفرج ، ولا يهمّه تكذيبه ، ويحتمله عقله ، ولو كان الوليد افترع بنته وهي طفلة معها حاضنتها !! ترىٰ لو كان بيت الشعر لشاعر آخر معاصر للوليد أو من السابقين له ، هل كان أبو الفرج يصدق ذلك ؟

وما دام أبو الفرج قد نفىٰ الخبر فلماذا دوّنه ثمّ نفاه ؟ ولماذا تسكت اللجنة المحترمة على مثل هذا الخبر اللئيم ؟ ولا تنس أن في سند هذا الخبر اثنين من الكذابين المجروحين .

* * *

تشبيهُ الخلفاء بالقوّادين !

ذكر الأصفهاني [١] :

أن عمر بن أبي ربيعة ، كانت له جارية بارعة ، يرسلها إلى من يحبّ من صويحباته ... وقد مدحها بقصيدته التي مطلعها :

طال ليلي وتعنّاني الطربْ   واعتراني طول همّ وَوَصبْ

وذكر الأصبهاني :

« أن إسحاق الموصليّ قال : حدثني ابن كناسة [٢] قال :

أخبرني حماد الراوية ، قال :

استنشدني الوليد بن يزيد ، فأنشدته نحواً من ألف قصيدة . فما استعادني إلاّ قصيدة عمر بن أبي ربيعة :

طال ليلي وتعنّاني الطرب

ثم قال الوليد : ويحك يا حمّاد ، اطلب لي مثل هذه أرسلها إلى (سلمىٰ) ، يعني امرأته ... وأن طلّقها ... ثم تتبّعتها نفسه .

قال إسحاق : وحدثني جماعة ، منهم الحرميّ ، والزبيريّ ، وغيرهما : أن عمر أنشد ابن أبي عتيق هذه القصيدة .

---

(١) الأغاني ١٣٣/١ - ١٣٥ .

(٢) محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي ، المتوفي سنة ٢٠٧ هـ كان من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل وروىٰ له النسائي ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٥٨/٩ ، ولا تظنه يروي مثل هذه الأخبار الساقطة !

فقال له ابن أبي عتيق : إن الناس يطلبون خليفة ، منذ قتل عثمان ، في صفة قوّادتك هذه ، يدبّر أمورهم ، فما يجدونه .

* * *

قلت :

هل كان ابن كناسة يروي مثل هذه الأخبار ؟

ونسأل أبا الفرج : كم لبث حماد الراوية لدىٰ الخليفة ، حتى أنشده نحواً من ألف قصيدة ؟

والكلمة الخبيثة اللئيمة ، التي تصف الخلفاء بالقوّادين ، وتشبههم بهم ، كيف تجرأ الأصفهاني وذكرها في كتابه ؟

ومن خبث أبي الفرج وذكائه ، أنه ينسب الكلمة إلى ابن أبي عتيق ، وكان يميل إلى المزاح ، فاعتبر أبا الفرج ذلك جُنّةً يتستَّر وراءها ويحتمي بها .

ومعنى ذلك أن المسلمين لم يجدوا خليفة يساوي تلك القوّادة ابتداء من الإمام علي رضي الله عنه إلى عهد الوليد بن يزيد .

لماذا لم يقل مثلاً : إن الروم يبحثون عن قيصر بصفة تلك القوادة أو الفرس يبحثون عن كسرىٰ له صفة تلك القوادة .

علم ذلك وسببه عند الشعوبيين ، فتأمل .

الزنا بالجارات والكنّات

قال الأصفهاني [١] :

أخبرني محمد بن العباس العسكريّ ، قال : حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ ، عن العُمَري ، عن العُتبىّ ، والهيثم بن عَديّ [٢] ، عن صالح بن حسان ، وأخبرني به عمّي عن الكراني ، عن العمري ، عن الهيثم ، عن صالح بن حسان ، قال :

« قَدِمَ عبد الرحمن بن الحكم – أخو مروان بن الحكم – بن أبي العاص ، بن أميَّة بن عبد شمس ، علىٰ معاوية بن أبي سفيان ، وقد عَزَل أخاه مروان عن الحجاز ، وولّىٰ سعيد بن العاص .

وكان مروان ، وجَّهَ به ، وقال له : إلْقَه أمامي ، فعاتِبْهُ لي ، واستصلحه .

قال الأصفهاني : وقال عمي في خبره : كان عبد الرحمن بدمشق ، فلما بلغه خبر أخيه ، خرج إليه فتلقّاه .

وقال له : أقم حتىٰ أدخل إلى الرجل ...

فأقام مروان ، ومضىٰ عبد الرحمن أمامه ، فلما قدم عليه ، دخل إليه وهو يعشّي الناس ، فأنشأ يقول :

أتتك العيس تنفخ في براها   تكشَّفُ عن مناكبها القطوعُ
بأبيض من أميَّةَ مضرحيٍّ   كأن جبينه سيف صنيع

---

(١) الأغاني ٢٥٩/١٣ ، ٢٦٠ .

(٢) ذكرناه مع الرواة الكذابين .

فقال معاوية : أزائراً جئت أم مفاخراً مكاثراً ؟
فقال : أيَّ ذلك شئتَ .
فقال له : ما أشاء من ذلك شيئاً .
وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عنّ له .
فقال معاوية : علىٰ أيّ الظهر أتيتنا ؟
قال : علىٰ فَرَس .
قال : وما صفته ؟
قال : أجشُّ هزيم .
يعرّض بقول النجاشي له :

ونجّىٰ ابنَ حربٍ سابحٌ ذو علالة   أجشُّ هزيمٌ ، والرماحُ دواني
إذا خِلْتَ أطراف الرماح تناله   مَرَتْه به الساقانِ والقدمانِ

فغضب معاوية ، وقال : إنه لا يركبه في الظُلَمِ ، إلى الرِّيَب ، ولا هو ممّن يتسور علىٰ جاراته ، ولا يتوثّب علىٰ كنائنه ، بعد هجعة الناس ، — وكان عبد الرحمٰن يُتَّهَمُ بذلك في امرأة أخيه — فخجل عبد الرحمٰن ... الخ » .

* * *

قلت :

إنّ أبا الفرج الذي يدّعى أنّه أمويّ النسب ، يشتم أجداده في هذا الخبر ، ويعتبرهم زناة ، بأقاربهم ونساء ذويهم ، فحاك هذه الحكاية ، وجعل الشتيمة تجري علىٰ لسان معاوية ، يوبّخ بها عبد الرحمن بن الحكم .

وإذا كان هذا هو المستوىٰ الخلقي للبيوت العربية الرفيعة ، فكيف الأمر عند سائر الناس ؟

هذا هو هدف الأصفهاني الشعوبي ، وقد جعل لخبره سنداً طويلاً ، وقد تضمن أحد الكذابين من الرواة .

* * *

حَديثٌ غَريب

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف ، قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه .

قال : حدثني أبو مسلم المستملي ، عن ابن أخي زُرْقان ، عن أبيه ، قال : « أدركت مولًى لعمر بن أبي ربيعة ، شيخاً كبيراً .

فقلت له : حدّثني عن عمر بحديث غريب .

فقال : نعم .

كنت معه ذات يوم ، فاجتاز نسوةٌ من جواري بني أميّة ، قد حَجَجْن ، فتعرّض لهن ، وحادثهنّ ، مدة أيام حجّهنّ .

ثم قالت له إحداهن : يا أبا الخطاب ، إنّا خارجات في غدٍ ، فابعث مولاك هذا إلى منزلنا ، ندفعْ إليه تذكرة تكون عندك ، تذكرنا بها ، فسُرَّ بذلك ، وجّه بي إليهن في السحر ، فوجدتّهنّ يركبن .

فقلن لعجوز معهنّ : يافلانة ادفعي إلى مولىٰ أبي الخطاب التذكرة التي أتحفناه بها .

فأخرجت إليّ صندوقاً لطيفاً ، مقفلاً ، مختوماً .

فقلن : ادفعه إليه .

وارتحلنّ ، فجئته به ، وأنا أظن أنه قد أودِعَ طيبًا أو جوهراً ، ففتحه

---

(١) الأغاني ١٦٩/١ .

عمر ، فإذا هو مملوء من المضارب وهي (الكيرنجات) [١] ، وإذا على كل واحد منها اسم رجل من مجّان مكة ، وفيها اثنان كبيران عظيمان ، على أحدهما ، الحارث بن خالد ، وهو يومئذ أمير مكة ، وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة . فضحك .

وقال : تماجَنَّ عليّ ، ونفذهنّ .

ثم أصلح مأدبة ، ودعا كل واحد ممن له اسم ، في تلك المضارب ، فلما أكلوا ، واطمأنّوا للجلوس .

قال : هات ، ياغلام تلك الوديعة .

فجئته بالصندوق ، ففتحه ، ودفع إلى الحارث (الكيرنج) الذي عليه اسمه ، فلما أخذه ، وكشف عنه غطاءه ، فزع .

وقال : ما هذا أخزاك الله ؟!

فقال : رويداً ، اصبر حتى ترى .

ثم أخرج واحداً واحداً ، فدفعه إلى من عليه اسمه ، حتى فرقها فيهم ، ثم أخرج الذي باسمه .

وقال : هذا لي .

فقالو له : ويحك ما هذا ؟

فحدّثهم بالخبر ، فعجبوا منه ، ومازالوا يتمازحون بذلك ، دهرا طويلاً ، ويضحكون منه » .

* * *

(١) الكيرنج : كلمة فارسية تعني : إحليل الرجل .

قلت :

يطيب لأبي الفرج أن يصور لنا موسم الحج بمثل هذه الأخبار الماجنة ويعزّ عليه أن يكون موسم عبادة وتوبة واستغفار ، ويحاول أن يخرجه لنا بمثل عيد نوروز عند الفرس ، أو عيد المهرجان عندهم أيضاً .

ولا يكاد يبرد حقد الأصفهاني على الأمويين ، وهو يدعي أنه أموي النسب ، وهذه الحكاية يجريها الأصفهاني ، ويجعل أبطالها نسوة من جواري بني أميَّة ، يقضين أيام الحج مع ابن أبي ربيعة ، وغيره من المجّان .

وكيف أنهن قد هيأن تلك (الهدية) الممجوجة القبيحة ، وكيف أنهنّ كتبن أسماء مجّان مكة على كل (كيرنج) من تلك (الكيرنجات) .

فمن أين أتين بأسماء المجان ، وهن لم يعرفن أسماء أبواب المسجد الحرام ؟ وكيف يتجرّأن ويكتبن اسم أمير مكة على إحداها ؟

إن خيال أبي الفرج المريض ، وقلبه الأسود البغيض يمليان عليه مثل هذه الأخبار التافهة يملأ بها صفحات كتابه الذي يمجده المستشرقون والفارغون من تلاميذهم .

ومن كيد أبي الفرج وخبثه ، أنه ينسب هذا الخبر إلى مولًى من موالي عمر بن أبي ربيعة ، لم يعرفه ، أو لم يذكر اسمه ، للتعمية والتمويه .

ولم ينس كذلك أن يذكر أن هذا خبر غريب من أخبار عمر ، كأن أخباره الأخرىٰ كلها واقعة وصحيحة ، فتأمل ذلك !

ابن أبي ربيعة ، وبنت الخليفة

قال أبو الفرج (١) :

أخبرني ابن المرزبان ، قال حدثني إسماعيل بن جعفر ، عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي ، قال :

« حجّت أمُّ محمد ، بنت مروان بن الحكم ، فلما قَضَت نُسُكَها ، أتت عمر بن أبي ربيعة ، وقد أخْفَت نفسها في نسوة ، فحدّثها مليًّا ، فلما انصرفت أتْبَعها عُمَر رسولاً عرف موضعها ، وسأل عنها ، حتىٰ أثبتها ، فعادت إليه بعد ذلك ، فأخبرها بمعرفته إياها .

فقالت : نشَدْتُك أن تشهرني بشعرك ، وبعثت إليه بألف دينار ، فقبلها ، وابتاع لها حُلَلاً وطيباً ، فأهداه إليها ، فردّته .

فقال لها : والله لئن لم تقبليه ، لأُنْهِبَنَّه ، فيكون مشهوراً . فقبلته ، ورحلت فقال فيها :

أيها الرائح المجِدُّ ابتكارا ... قد قضىٰ من تهامة الأوطارا
من يكن قلبه صَحيحاً سليماً ... ففؤادي بالخَيْف أمسىٰ معارا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا ... كل يومين حجةً واعتمارا

* * *

(١) الأغاني ١٦٦/١ .

قلت :

ذكرنا سابقاً أن أبا الفرج يعمد إلى بعض الأبيات ، ويبنى عليها حكاية تشفي غليله ، وإلاّ فمن أين يثبت لنا أن ابن أبي ربيعة أنشد هذه الأبيات في أم محمد بنت الخليفة ؟

وقد صوّر لنا أبو الفرج تهافت نساء العرب على عمر بن أبي ربيعة وحرصهن على زيارته ، والاجتماع به ، والتحدث إليه ، كأن ذلك من مناسك الحج ، وشعائره ، فلا يتم حجهن إلا بذلك .

ويصور لنا أبو الفرج أن بنت الخليفة تختفي مع نسوة ، وتجتمع بالشاعر ، وأن الشاعر قد عرفها ، وأرسل أحد أتباعه لمعرفة منزلها .

وأن أمّ محمد ، تعود إلى الشاعر وتعطيه ألف دينار .

ويصور لنا أبو الفرج طلب أم محمد من الشاعر ، بعبارة دقيقة بليغة ، وهو قولها : « نشدتُكَ الله أن تشهّرني بشعرك » .

ونحن لا ندري ، هل كانت بنت الخليفة تطلب التشهير ، أم تطلب عدم التشهير ؟

لأن قول العرب : أن تشهرني ، يفهم منه قولهم : أن لا تشهرني ، مثل قوله تعالىٰ ﴿ جعل في الأرض رواسي أن تميد بكم ﴾ أي أن لا تميد بكم ، ويحلو لأبي الفرج أن يضع الحكايات ، والقصص ، والأخبار التي تسيء إلى بيت الخلافة ، والبيوت الرفيعة من العرب .

بنت الخليفة تعطي ثوبها الداخلي لابن أبي ربيعة

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثني أبو علي الأسديّ — وهو بشر بن صالح بن موسىٰ — قال ، حدثني أبي موسىٰ بن صالح ، عن أبي بكر القرشيّ ، قال :

« كان عمر بن أبي ربيعة ، جالساً بمنىٰ في فِناء مضربه ، وغلمانه حوله ، إذ أقبلت امرأة برزة ، عليها أثر النعمة ، فسلّمت ، فردّ عليها عمر السلام .

فقالت له : أنت عمر بن أبي ربيعة ؟

قال لها : أنا هو ، فما حاجتُكِ ؟

قالت له : حيّاك الله ، وقرّبك ، هل لك في محادثة أحسن الناس وجهاً ، وأتمّهم خلقاً ، وأكملهم أدباً ، وأشرفهم حسباً ؟

قال : ما أحبَّ إليّ ذلك !

قالت : علىٰ شرط .

قال : قولي .

قالت : تمكنني من عَينيك ، فأشدّهما ، وأقودك ، حتىٰ إذا توسّطْت الموضع الذي أريد ، حللت الشدّ ، ثم أفعل ذلك بك عند إخراجك ، حتىٰ أنتهي بك إلى مضربك .

---

(١) الأغاني ١/١٩٣ ، ١٩٤ .

قال : شأنك .

ففعلت به ذلك .

قال عمر : فلما انتهت بي إلى المضرب الذي أرادتْ ، كشفتْ عن وجهي ، فإذا أنا بامرأة علىٰ كرسيّ ، لم أرَ مثلها قط جمالاً وكمالاً ، فسلَّمْتُ ، وجلستُ .

فقالت : آأنت عمر بن أبي ربيعة ؟

قلت : أنا عمر .

قالت : أنت الفاضح ؟

قلت : وما ذاك ، جعلني الله فداءك .

قالت : ألست القائل :

قالت وعيشِ أخي ونعمةِ والدي لأُنَبِّهَنَّ الحيَّ إن لم تخرجي

(... الأبيات) .

ثم قالت : قم ، فاخرج عنّي .

ثم قامت من مجلسها ، وجاءت المرأة فشدَّت عَيْني ، ثم أخرجتني حتىٰ انتهت بي إلى مضربي ، فانصرفت وتركتني .

فحَلَلْت عينيّ ، وقد دخلني من الكآبة والحزن ، ما الله به أعلم ، وَبِتُّ ليلتي ، فلما أصبحت إذا أنا بها .

فقالت : هل لك في العود ؟

فقلت : شأنك .

ففعلت بي مثل فعلها بالأمس ، حتىٰ انتهت بي إلى الموضع ، فلما دخلت ، إذا بتلك الفتاة علىٰ كرسيّ .

عبد الملك بن مروان ، فأَخَذَتْ فى أهبة الرحيل ، فلما نَفَرَتْ ، نَفَرْتُ معها ، فَبَصُرَتْ في طريقها ، بقبابٍ مضروبةٍ ، ومضربٍ وهيأةٍ جميلة ، سألت عن ذلك .

فقيل لها : هذا عمر بن أبي ربيعة .

فساءها أمره (١) .

وقالت للعجوز التي كانت ترسلها إليه : قولي له : نشدتك الله ، والرحم أن تصحَبني ، ويحك ما شأنك ؟ وما الذي تريد ؟ انصرف ، ولا تفضحني ، وتشيط بدمك .

فسارت العجوز إليه ، فأدّت إليه ، ما قالت فاطمة .

فقال : لست بمنصرِف ، أو تُوَجِّهْ إليّ قميصها الذي يلي جِلْدَها !

فأخبرتها ، ففعَلَت ، ووجهت إليه ، بقميص من ثيابها ، فزاده ذلك شغفاً ، ولم يزل يتبعهم ، لا يخالطهم ، حتى إذا صاروا على أميال من دمشق ، انصرف ، وقال في ذلك :

ضاق الغداة بحاجتي صدري ... ويئست بعد تقارب الأمر
وذكرت فاطمة التي عُلِّقْتُها ... عَرَضاً ، فيالحوادث الدهر

* * *

قلت :

هل رأيتم مثل هذا الإخراج البديع ؟

---

(١) انتقلت العبارة من صيغة المتكلم ، إلى صيغة الغائب .

فقالت : إيه يا فضاح الحرائر .

قلت : بماذا ؟ – جعلني الله فداءك .

قالت : بقولك :

وناهدة الثديين قلت لها آتكي على الرَّملِ من جبّانةٍ لم تُوَسَّدِ

(... الأبيات) .

ثم قالت : قم فاخرج عني .

فقمتُ ، فخرجتُ ، ثم رُدِدْتُ .

فقالت لي : لولا وشك الرحيل ، وخوفُ الفَوْتِ ، ومحبّتي لمناجاتك ، والاستكثار من محادثتك ، لأقصيتُك ، هاتِ الآن كلّمني ، وحدّثني . وأنشدني .

قال عمر : فكلَّمْتُ آدبَ الناس ، وأعلَمَهم بكلّ شيء ، ثم نَهضَتْ ، وأبطأت العجوز ، وخلا لي البيت ، فأخذت أنظر ، فإذا أنا بِتَوْرٍ [1] فيه خَلوق ، فأدخلت يدي فيه ، ثم خبأتها في رُدني ، وجاءت تلك العجوز فشدّتْ عَينيّ ، ونهَضَتْ بي تقودني ، حتى إذا صرتُ علىٰ باب المضرب ، أخرجت يدي ، فضربتها على المضرب ، ثم صرت إلى مضربي ، فدعوت غلماني ، فقلت :

أيكم يَقِفُني علىٰ باب مضرب فيه خلوق ، كأنه أثر كفٍ ، فهو حُرٌّ ، وله خمس مائة درهم ، فلم ألبث أن جاء بعضهم .

فقال : قم .

فنهضت معه ، فإذا بالكفّ طرية ، وإذا المضرب مضرب فاطمة بنت

---

(١) التَّورْ : الإناء يوضع فيه الطيب ، والخلوق : الطيب .

كل هذه الحكاية وضعها أبو الفرج من أجل البيت الذي فيه ذكر (فاطمة) ، وقد افترض الأصفهاني ، أن تكون المقصودة هي فاطمة بنت الخليفة . وهي قصة مشابهة لقصص ألف ليلة وليلة .

ونحن نسأل أبا الفرج ، كيف استطاعت العجوز أن تقود الشاعر ابن أبي ربيعة معصوب العينين في ذلك الزحام في منىٰ ، ألم يعرفه أحد من أصحابه ، وعشيقاته اللواتي يتهافتن عليه ، كما ذكرت ، ولماذا لم يتبعه غلمانه وخدمه ليعرفوا مصيره ؟

كل هذه الأمور تجري في أيام الحج وفي منىٰ بعد الإفاضة من عرفات .

والله سبحانه يقول : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ... ﴾ فكيف ينصرفن عن ذكر الله ، إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة ، ومحادثته والأنس به ؟ وقد دسّ الأصفهاني في هذا الخبر دسائس عدة ، من أشنعها أن يطلب الشاعر من بنت الخليفة ، القميص الذي يلامس جلدها !! ولا يرضىٰ بغيره .

ثم تستجيب له ، وتعطيه ما يريد ولم يزل يتبعهم حتى يقرب من دمشق . ثم يعود ! والحكاية كلها ، كأنها فلم سينمائي ، من أفلام هوليود . فتأمل ذلك .

الخليفَة ... يَرقص

قال الأصفهاني [١] :

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : قال إسماعيل بن مجمع [٢] ، أخبرنا المدائنيّ ، عن رستم بن صالح قال :

« قال يزيد بن عبد الملك يوماً لعبد : يا أبا عبّاد ... أفتقدر أن تحكي رقيق ابن سريج ؟

قال : نعم .

فصنع من وقته لحناً من الخفيف في :

ألا لله قومٌ وَ رَثْ أخت بني سهمِ

(... الأبيات) ، فغنّاه .

فصاح يزيد : أحسنت والله يامولاي ، أَعِدْ فداك أبي وأمّي ، فأعاد ، فردّ عليه مثل قوله الأوّل ، فأعاد .

ثم قال : أعد فداك أبي وأمي .

فأعاد ، فاستخفّه الطرب حتىٰ وثب .

وقال لجواريه : افعلْنَ كما فعل .

وجعل يدور في الدار ، ويَدُرْنَ معه ، وهو يقول :

---

(١) الأغاني ١/٦٧ – ٦٩ .

(٢) ذكرناه مع الرواة الكذابين .

يادار دوّريني ياقَرْقَرْ امسكيني
آلَيْتِ منذ حين حقاً لتصرميني
ولا تواصليني بالله فارحميني
لم تذكري يميني

قال : فلم يزل يدور ، كما يدور الصبيان ، ويدُرْنَ معه ، حتىٰ خَرَّ مغشيًّا عليه ، ووقعن فوقه ، ما يعقل ولا يعقلن .

فابتدَره الخدم ، فأقاموه ، وأقاموا من كان علىٰ ظهره من جواريه ، وحملوه وقد جاءت نفسه ، أو كادت » .

* * *

قلت :

أترك هذا الخبر إلى القارئ الكريم ، هل يستطيع خياله أن يتصور ذلك ؟ هل يصدّق عاقل أنّ الخليفة على هذه الصورة من التبذل ، وجيوشه تمتد في الآفاق ، تفتح ، وتقاوم الجماعات المناوئة من المتمردين ، والثّوار ، والخارجين .

ومن يصدّق أن الخليفة يقول للمغنّي : فداك أبي وأمّي ، ثلاث مرات ؟ إن أبا الفرج وأمثاله يصدّقون ذلك ، ويردّدونه في أخبارهم وكتاباتهم ، لينالوا من تاريخنا وأدبنا ، ويشوهوا صحائف أمجادنا ، بمثل هذه الأخبار الساقطة ، التافهة ، السخيفة .

بذاءة .... وسُوءُ أدَب

قال الأصفهاني [١] :

أخبرني علي بن صالح ، قال : حدثنا أبو هفّان ، قال : حدثني إسحاق ، عن السعدي ، قال :

« قَدمَ الوليد بن عبد الملك مكة ، يريد الطائف .

فقال : هل من رجل عالم بأحوال الطائف ، فيخبرني عن أموالها ؟

فقالوا : عمر بن أبي ربيعة .

قال : لا حاجة لي به .

ثم عاد فسأل ، فذكروه له ، فردّه ، ثم عاد فسأل فذكروه له ، ثم ردّه .

فقال : هاتوه .

فركب معه يحدّثه ، ثم حرّك عمر رداءه ، ليصلحه على كتفه ، فرأىٰ – الوليد – علىٰ منكبه أثرا .

فقال : ما هذا الأثر ؟

فقال : كنت عند جارية جاءتني جارية برسالة من عند جارية أخرىٰ ، فجعلت تسارّني ، فغارت التي كنت أحدّثها ، فعضّت منكبي ، فما وجدت أَلَم عضّها ، من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني ، حتىٰ بلغت ما ترىٰ – والوليد يضحك – .

---

(١) ١١٢/١ .

فلما رجع عمر ، قيل له :

ما الذي كنت تحدّث به أمير المؤمنين ، فأضحكه ؟

قال : مازلنا في حديث الزنا ، حتىٰ رجعنا .

* * *

قلت :

إن وجه أبي الفرج يتهلل لمثل هذه التفاهات ، والبذاءة ، لذلك نراه يعيدها مرة أخرىٰ ، بسند آخر (١) .

كأن ذلك أمرٌ واقع مهمّ ، ومتىٰ كان عمر بن أبي ربيعة ، خبيراً بالأموال ، نعم إنه مخزوميّ ، وله بالطائف أهل ، ولكنه كان من أهل البطالة واللهو وهكذا هو في كل أخباره في كتاب الأغاني ، فلماذا صار خبيراً في هذا الخبر ؟

هل إن أهل مكة ، قد خدعوا الخليفة ، ولم ينصحوا له ، حتىٰ ذكروا له هذا الشاعر ؟

وأهل مكة أهل أموال وتجارة ، يعرفون أموال المدينة ، وأموال الطائف وغيرها من مدن الحجاز ، فلماذا اختاروا هذا الشاعر ؟

علم ذلك عند أبي الفرج وأمثاله من الشعوبيين الحاقدين .

ألم تر كيف جعل الأصفهاني جولة الخليفة تنقضي في حديث الزنا ؟ وجرّدها من كل جدوىٰ !!

* * *

---

(١) الأغاني ٣٩٥/٢ .

مسابقات المغنّين في الحَجّ

قال الأصفهاني [١] :

أخبرني الحسن ، قال : حدثني محمد بن زكريا [٢] ، قال : حدثني يزيد بن محمد ، عن إسحاق الموصلي .

« أن سليمان بن عبد الملك ، لما حجّ ، سبَّقَ بين المغنّين بَدْرَةً ، فجاء ابن سريج ، وقد أغلِقَ الباب ، فلم يأذن له الحاجب ، فأمسك حتىٰ سكتوا ، وغنّىٰ :

سرىٰ همّي وَهَمُّ المرء يسري

فأمر سليمان بدفع البدرة إليه .

* * *

قلت :

في هذا الخبر كلمات يسيرة ، ولكنها تنطوي على معاول هدم كبيرة ، إذ يطيب لأبي الفرج ، أن يختلق مثل هذه الأخبار التي تسيء إلى شعائر الحج ومناسكه ، وتسيء إلى الخلفاء الأمويين ، وكأن الناس يذهبون إلى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، ليتشرفا باستماع الغناء ، لا للعبادة ، وكأن الخلفاء لا همّ لهم غير ذلك .

وموسم الحج كما نعلم يستغله المسئولون باللقاء مع الأمراء والولاة

---

(١) الأغاني ٣١٧/١ .

(٢) محمد بن زكريا الغلابي ، ذكرناه من الرواة المجروحين .

والأعلام الوافدين من الأقطار الإسلامية ، واستماع أخبارهم ، ومعالجة شئون الأمة ، ولكن هذا الشعوبي الحاقد ، يجعل الخليفة في موسم الحج ، يضع جائزة للمغنين ، يتسابقون لنيلها ، وينالها أفضلهم ، وقد نالها ابن سريج ، وهي بدرةً تحوي نقوداً ذهبية .

إن القارىء البسيط حين يقرأ هذا الخبر ، يمتلىء قلبه غيظاً على الخليفة ، الذي يهمل شئون الأمة ، وعلماءها ، وأخبار جيوشها المنتشرة في الآفاق ، ويقضي وقته مع التافهين ، وفي أشرفِ موسمٍ وأشرفِ موضعٍ ، فكيف يكون سائر أيام السنة ؟

هكذا يدسّ الشعوبيون السمّ في تاريخنا ، ليسوّدوا صحائف الفخار والمجد ، ويجعلوها سوداء مظلمة ، لا نعتزّ بها ، ولا نفتخر ، فتأمّل ذلك !!

يَزِيد بن عَبد الملك وابن سُرَيج

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدثني حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثني الفضل بن محمد اليزيدي ، قال : حدثني إسحاق عن ابن جامع ، عن سياط ، عن يونس الكاتب قال : « ... وحجّ يزيد بن عبد الملك ، في تلك السنة بالناس ، وخرج عمر بن أبي ربيعة ، ومعه ابن سريج علىٰ نجيبين ، رحالتاهما ملبّستان بالديباج ، وقد خضبّا النجيبين ، ولبسا حُلّتين ، فجعلا يلتقيان الحاجّ ، ويتعرَضان للنساء ، إلى أن اظلمّ الليل ، فعدلا إلىٰ كثيب مشرف ، والقمر طالع يضيء فجلسا علىٰ الكثيب .

وقال عمر لابن سريج : غنّني صوتك الجديد .

فاندفع يغنّيه ، فلم يستتمّه ، إلا وقد طلع عليه رجلٌ راكب علىٰ فرسٍ عتيق ، فسلّم ثم قال : أيمكنك - أعزّك الله - أن ترد هذا الصوت ؟

قال : نعم ، ونعمة عين ، على أن تنزل وتجلس معنا .

قال : أنا أَعْجَلُ من ذلك ، فإن أَجْمَلْتَ وأنعمت أُعَدْتَه ! وليس عليك من وقوفي شيء ، ولا مُؤْنة .

فأعاده ، فقال له : بالله ، أنت ابن سريج ؟

قال : نعم .

---

(١) الأغاني ٢٥٨/١ ، ٢٥٩ .

قال : حيّاكِ الله ، وهذا عمر بن أبي ربيعة ؟

قال : نعم .

قال : حيّاك الله يا أبا الخطاب .

فقال له : وأنت فحيّاك الله ! قد عَرَفْتنا ، فعرِّفناَ نفسك .

قال : لا يمكنني ذلك .

فغضب ابن سريج ، وقال : والله لو كنت يزيد بن عبد الملك ، لما زاد .

فقال : أنا يزيد بن عبد الملك .

فوثب إليه عُمَر ، فأعْظَمَه ، ونزل ابن سريج إليه ، فقبّل ركابه ، فنزع حُلَّته ، وخاتمه ، فدفعهما إليه ، ومضىٰ يركض حتىٰ لحق ثقَلَه ، فجاء بهما ابن سريج إلى عمر ، فأعطاه إياهما .

وقال له : إنّ هذين بك أشبه منهما بي .

فأعطاه عمر ثلاث مائة دينار ، وغدا فيهما إلى المسجد ، فعرفهما الناس ، وجعلوا يتعجبون ، ويقولون : كأنهما والله حُلّة يزيد بن عبد الملك ، وخاتمه ، ثم يسألون عمر عنهما ، فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك ، كساه ذلك » .

* * *

قلت :

إن في هذا الخبر عدة مطاعن ، منها أنّه صيّر موسم الحج فرصة للمخانيث أن يتعرضوا إلى النساء ، ويتفرجوا عليهن ، ويتحرشوا بهن ، مما يذهب بروعة الحج ، وقدسيته ، وهيبته في نفوس القراء ، ومنها أنّ الخليفة يتحرىٰ المغنين ، ويجلس إليهم ، ويعرفهم من أصواتهم ، ثم يمنحهم حلّته وخاتمه .

في الوقت الذي أشارت كتب التاريخ إلى انشغال الخلفاء في موسم الحج ، باستقبال الولاة والعلماء والقواد ، وأعيان الناس الوافدين من الأقطار ، والسؤال عن شئون الأمة ، إلى غير ذلك مما اعتاد الخلفاء فعله ، ولا يزال هذا شأن المسئولين من الملوك ، والرؤساء ، والأمراء ، والوزراء الذين يشهدون موسم الحج ، ولكن أبا الفرج وأمثاله ، لا يروق لهم ذلك ، فيطلقون العنان لخيالهم ، في وضع الحكايات اللئيمة المسمومة .

ولا يكتفي أبو الفرج بإيراد هذا الخبر السخيف التافه المختَلَق ، ويخشى أن يمرّ به القارىء سريعاً ، ولا يلتفت إليه ، فيعيد أبو الفرج الخبر بصيغة أخرى (١) ، ويرويه بسند آخر ، ينتهي به إلى ابن الكلبي ، حتى يوهم القارىء ، ويوحي إليه أن هذا الخبر صحيح ، وقد شاع بين الناس ، ويرويه الكتاب والعلماء بصيَغ وأسانيد متعددة ، قال :

« حجَّ عمر بن أبي ربيعة ، في عام من الأعوام ، على نجيب له مخضوب بالحنّاء ، مشهّر الرحل بقراب مذهب ، ومعه ابن سريج ، على بغلةٍ له شقراء ، ومعه غلامه جناد يقود فرساً له أدهم أغرّ محجّلاً ، ومع عمر جماعة من حشمه ، وغلمانه ، ومواليه ، وعليه حُلّة مَوْشيّة يمانية ، وعلى ابن سريج ثوبان هرويان مرتفعان ، فلم يمرّوا بأحد إلا عجبَ من حسن هيأتهم ، وكان عمر من أعطر الناس ، وأحسنهم هيأة .

فخرجوا من مكة يوم التروية بعد العصر ، يريدون مِنى ، فمرّوا بمنزل رجل من بني عبد مناف بمنى ، قد ضُرِبت عليه فساطيطه وخِيَمُه .

ووافى الموضِعَ عُمَر ، فأبصر بنتاً للرجل قد خرجت من قُبّتها ، وسَتَرَ جواريها دون القبة ، لئلا يراها من مَرَّ ، فأشرف عمر على النجيب فنظر إليها ، وكانت من أحسن النساء ، وأجملهنّ .

---

(١) الأغاني ٢٥٩/١ - ٢٦٤ .

(٢) ذكرناه مع الرواة الكذابين .

فقال لها جواريها : هذا عمر بن أبي ربيعة .

فرفعت رأسها ، فنظرت إليه ، ثم سترتها الجواري ، وولائدها عنه ، وبَطَّنَّ دونها بسجف القبّة ، حتىٰ دخل .

ومضىٰ عمر إلى منزله ، وفساطيطه بمنىٰ ، وقد نظر من الجارية إلى ما تَيَّمه ومن جمالها إلى ما حيّره ، فقال فيها :

نظرت إليها بالمحصَّبِ من مِنًى ولي نظر لولا التحرّم عارم

(... الأبيات) .

ثم قال عمر لابن سريج : يا أبا يحيىٰ ، إني تفكّرت في رجوعنا مع العشية (١) ، إلى مكة ، مع كثرة الزحام ، والغبار وجلبة الحاجّ ، فثقل عليّ ، فهل لك أن نروح رواحاً طيّباً معتزلاً ، فنرىٰ من راح صادراً إلى المدينة من أهلها ، ونرىٰ أهل العراق ، وأهل الشام ، ونتعلّل في عشيّتنا ، وليلتنا ونستريح .

قال : وأنّى ذلك يا أبا الخطاب ؟ .

قال : علىٰ كثيب أبي شجوة ، المشرف على بطن يأجج ، بين مِنى وسرف ، فنبصر مرور الحاج بنا ، ونراهم ، ولا يرَوْنا .

قال ابن سريج : طيّب والله ياسيدي ، فدعا بعض خدمه .

فقال : اذهبوا إلى الدار بمكة ، فاعملوا لنا سُفرة ، واحملوها مع شراب إلى الكثيب ، حتىٰ إذا أبردنا ، ورمينا الجمرة صرنا إليكم (٢) .

---

(١) إن الحاج لا يعودون إلى مكة يوم التروية ، وإنما ينصرفون من منىٰ إلى عرفات .

(٢) ينصرف الحاج من منى إلى مكة ثالث أيام عيد الأضحىٰ ، وتسمىٰ (النفرة) وهذا ما تريده الرواية ، ولكن الأصفهاني لم يوضح ذلك في أول كلامه ، ولم تعلق لجنة تحقيق الكتاب على هذا الوهم أو الخلط .

قال : والكثيب علىٰ خمسة أميال من مكة ، مشرف علىٰ طريق المدينة ، وطريق الشام ، وطريق العراق ، وهو كثيب شامخ ، مستدقٌّ أعلاه ، منفرد عن الكثبان ، فصارا إليه ، فأكلا وشربا ، فلما انتشيا ، أخذ ابن سريج الدفّ وجعل يغنّي في الشعر الذي قاله عمر .

فسمعه الركبان ، فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت ، أما تتّقي الله ، قد حبست الناس عن مناسكهم ، فيسكت قليلاً ، حتىٰ إذا مضوا رفع صوته .

وقد أخذ فيه الشراب ، فيقف آخرون ، إلى أن مرّت قطعة من الليل ، فوقف عليه رجل علىٰ فرس عتيق عربيّ مرج مستنٍّ ، فهو كأنه ثَمِلٌ ، حتىٰ وقف علىٰ أصل الكثيب ، وثنىٰ رحله علىٰ قربوس سرجه ، ثم نادىٰ :

يا صاحب الصوت ، أيسهل عليك أن تردّ شيئاً مما سمعتُه ؟

قال : نعم ، ونعمة عين ، فأيّهما تريد ؟

قال : تعيد عَلَيَّ :

ألا يا غراب البين مالَكَ كلما ... نَعِبْتَ بفقدان عليَّ تحومُ

قال : فغنّاه .

ثم قال له ابن سريج : ازْدَدْ إنْ شئت .

قال : غنّني :

أَمَسْلَمُ إني يا ابن كل خليفةٍ ... ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض

فغنّاه .

فقال له : الثالثَ ، ولا أستزيدك .

فقال : ما شئت .

فقال : تغنّيني :

يادار أقْوَتْ بالجزع فالكثبِ بين مسيل العُذَيب فالرحب

(... الأبيات) .

فغناه .

فقال له ابن سريج : أبَقِيَتْ لك حاجة ؟

قال : نعم ، تنزل إليّ لأخاطبك شفاهاً بما أريد .

فقال له عمر : انزل إليه .

فقال له : لولا أنّي أريد وداع الكعبة ، وقد تقدمني ثقلي وغلماني ، لأطلت المقام معك ، ولنزلت عندكم ، ولكنّي أخاف أن يفضحني الصبح ، ولو كان ثقلي معي لما رضيت لك بالهوينى ، ولكن خذ حلّتي هذه وخاتمي ولا تُخْدَعْ بهما ، فإنّ شراءهما ألف وخمس مائة دينار ... » .

ثم ذكر أبو الفرج باقي الخبر مثل ما ذكره حماد بنُ إسحاق .

* * *

قلت :

لقد علّقنا على هذا الخبر آنفاً ، ونزيد هنا أن الأصفهاني ، قد صور لنا ابن أبي ربيعة يتجرأ على الله ورسوله ، ويخالف آداب العرب وسموّ أخلاقهم ، الذين يقول شاعرهم :

وأغضّ طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

فنجد عمر بن أبي ربيعة في موسم الحج ، وهو محرم ، ثم يشرف على نجيب له ، لينظر إلى بنتٍ داخل فسطاطها ، وهي محرمة ، وأبوها من بني عبد مناف ، لماذا اختار أبو الفرج هذا الرجل من بني عبد مناف ؟ أظنه أراد أن يطعن الأمويين والهاشميين لأن عبد مناف جدهما جميعاً !

وفي هذا الخبر نجد ابن سريج وابن أبي ربيعة يحتسيان الشراب وينتشيان في مكة المكرمة ، عند الفراغ من الحج مباشرة ..

ومن السخف والهذيان في هذا الخبر ، يخرج ابن أبي ربيعة ، ومعه غلمانه وخدمه وحشمه في ركب طويل يتعجب منه الناس ، ثم يجيء إليه الخليفة وحده ، ليس عليه إلا حلّته وخاتمه ، وليس معه أحد ، وهو يخشى الفضيحة ، ويتمنّى أن يطيل المقام لاستماع ابن سريج .

والذي أراه أن أبا الفرج الأصفهاني ، عمد إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

نظرت إليها بالمحصّب من منى ....

فبنى عليه هذه الحكاية كلها ، وبث في هذه الحكاية سمومه ، ونفّس عن حقده ، وذلك بالطعن في الخليفة ، وبأخلاق الشاعر وسلوكه ، وبالاستهانة والاستخفاف بشعائر الحج ومناسكه ، وجعل الضمير (إليها) ، يعود إلى بنت من بني عبد مناف أشرف بيوت العرب ، في أقدس مكان ، فتأمل !!

أبان بن عثمان ونذْر طويس

قال الأصفهاني [١] :

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر [٢] ، والحسين بن يحيىٰ ، قالا : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن ابن الكلبيّ [٣] ، عن أبيه [٤] ، وأبي مسكين .

قال إسحاق : وحدثني المدائني ، والهيثم بن عَديّ [٥] ، عن صالح ابن كيسان : « أنّ أبان بن عثمان ، وفد علىٰ عبد الملك بن مروان ، فأمّره علىٰ الحجاز ، فأقبل حتىٰ إذا دنا من المدينة ، تلقّاه أهلها ، وخرج إليه أشرافها ، فخرج معهم طويس .

فلما رآه ، سلّم عليه ، ثم قال : أيها الأمير ، إنّي كنت قد أعطيت الله عهداً ، لئن رأيتك أميرا ، لأخضبنّ يديّ إلى المرفقَيْن ، ثُم أزدو - أي أضرب - بالدفّ بين يديك ، ثم أبديْ عن دَفِّهِ ، وتغنّي بشعر ذي جدن الحميري :

ما بال أهلك يارَبابُ   خُزُراً كأنّهم غضابُ

---

(١) الأغاني ٢١٩/٤ .

(٢) ذكرناه مع الرواة الكذابين .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

قال : فطرب أبان حتىٰ كاد أن يطير .

ثم جعل يقول : حسبك ياطاووس .

قال أبو الفرج :

وأخبرني بهذه القصة ، إسماعيل بن يونس الشيعي ، قال : حدثنا عمر بن شبّة قال : حدثنا العتبيّ ، عن أبيه ، بمثل هذه القصة ، عن أبان وطويس ، وزاد فيها : أن طويساً ، قال له : نذري أيها الأمير .

قال : وما نذرك ؟

قال : نذرت إنْ رأيتك أميراً في هذه الدار ، أنْ أغنّي لك ، وأرزو بدفّي بين يديك .

فقال له : أوْفِ بنذرك ، فإنّ الله عزّ وجل يقول : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ .

قال : فأخرج يديه مخضوبتين ، وآخرج دُفَّه ، وتغنّىٰ :

ما بال أهلك يا ربابُ »

* * *

قلت :

الحمد لله ، فقد اجتمع أربعة كذابين في رواية هذا الخبر التافه ، وذلك وحده يكفي لنسف مثل هذا الخبر .

ولكن عقول الشعوبيين وصدورهم تتّسع لمثله ، وترىٰ ذلك ممكنا ، أن يعاف الأمير أشراف المدينة وأعيانها وعلماءها وفقهاءها ، وينصرف إلى المغني يلاطفه ، ويساجله ويستمع إلى غنائه !!

وأن يكون المغني طويس ، هو الناطق الأول باسم أهل المدينة .

وأن يكون أول كلام الأمير ، طلبه من المغنّي أن يفي بنذره ، لأن الله تعالىٰ يقول « يوفون بالنذر » .

أرأيت كيف يكون الاستخفاف بتفسير الآيات الكريمة ؟ والطعن في فهم أعلامنا لكلام الله تعالىٰ ؟

وهذا ما يسعىٰ إليه الشعوبيون في كتاباتهم ، وأخبارهم ، ودسّهم .

الدلّال المخنَّث وبنت الحكم

قال الأصفهاني (١) :

قال إسحاق : قال المدائنيّ : وأخبرني أبو مسكين ، عن فليح بن سليمان ، قال :

« كان الدلّال ملازماً لأمّ سعيد الأسلمية ، وبنتٍ ليحيىٰ بن الحكم ابن أبي العاص ، وكانتا من أمجن النساء ، كانتا تخرجان فتركبان الفرسين ، فتستبقان عليهما ، حتىٰ تبدو خلاخيلهما ، فقال معاوية لمروان بن الحكم : اكفني بنت أخيك .

قال : أفعل .

فاستزارها ، وأمر ببئر فحُفِرَت في طريقها ، وغُطّيَت بحصير ، فلما مشت عليه ، سقطت في البئر ، فكانت قبرها .

وطُلِبَ الدلّال ، فهرب إلى مكة .

فقال له نساء أهل مكة : قتَلت نساء أهل المدينة ، وجئت لتقتلُنا .

فقال : والله ما قتلهنّ إلّا الحكاك .

فقلن : اغرب ، أخزاك الله ، ولا أدنىٰ بك داراً ، ولا آذانا بك .

قال : فمَن لكُنَّ بعدي على دائكنّ ؟ ويعلم موضع شفائكنّ ، والله ، ما زَنَيْتُ ، ولا زُنِيَ بي ، وإنّي لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم » .

* * *

---

(١) الأغاني ٢٧٩/٤ ، ٢٨٠ .

قلت :

لماذا هذا الحرص ، والاهتمام ، والعناية ، بأخبار المخنثين ؟

ولماذا يلازم هذا المخنّث كريمات العرب ؟ ويصفهنّ بالحكاك .

وهي عادة لا تعرفها نساء العرب ، وليس في آدابهم وأشعارهم ، وأمثالهم ، إشارة إليها .

بل هي عادة نساء الأعاجم ، ولكن أبا الفرج يريد أن يلصقها بنساء العرب ، وكريماتهم ، يفصح عن حقده حين يصف أم سعيد الأسلمية ، وبنت يحيىٰ بن الحكم ، بأنهما كانتا من أمجن النساء ، ولم يجد خبراً عن مجونهنّ ، فأورد أنهما كانتا تستبقان على الخيل ، فتبدو خلاخيلهما ، وفي ذلك فروسية ، وليس مجونا ، وإن كان أبو الفرج غير عاجز عن اختلاق خبر كاذب وإلصاقه بهما .

أولادَ الزنا

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدثني أحمد بن سعيد الدمشقيّ ، قال : حدثني الزبير بن بكّار ، عن ظبية ، قال : « إن يزيد بن عبد الملك ، قال لحبّابة يوماً :

أتعرفين أحداً هو أطرب مني ؟

قالت : نعم ، مولاي الذي باعني .

فأمر بإشخاصه ، فأُشخِص إليه مقيّداً ، وأُعْلِمَ بحاله ، فأذن في إدخاله ، فمثل بين يديه ، وحبّابة وسلّامة يغنّيان لحن الغريض في :

« تشطّ غداً دار جيراننا » .

فطرب ، وتحرّك في أقياده .

ثم غنّته حبّابة لحن ابن سريج المجرّد ، في هذا الشعر ، فوثب وجعل يحجل في قيده .

ويقول : هذا وأبيكما ، ما لا تعذلاني فيه .

حتى دنا من الشمعة ، فوضع لحيته عليها ، فاحترقت .

وجعل يصيح : الحريق ، الحريق ، يا أولاد الزنا .

فضحك يزيد وقال : هذا والله أطرب الناس حقاً ، ووصله ، وسرّحه إلى بلده ... » .

---

(١) الأغاني ١/٣١٥ ، ٣١٦ .

قلت :

إن أبا الفرج يعيد هذا الخبر السخيف مرة أخرىٰ [1] وبسند آخر ، ولو كان خبراً جيداً ، يشرّف قارئه وسامعه ، لما أعاده .

ولا أدري لماذا يستقدم مولىٰ المغنية مقيّداً ، ويدخل إلى الخليفة وهو في قيده ؟

ويبقى في قيده ، حتى يرقص ، ويدنو من الشمعة ، ويحرق لحيته ، ويشتم الخليفة والحاضرين .

إن الأصفهاني يحب مثل هذه الوساخة يملأ بها صفحات كتابه ، ويريد أن يشتم الخليفة وحاشيته ، فأراد هذه الحكاية ، وجعلها على لسان هذا الرجل .

وهذا شأن أبي الفرج في كثير من أخباره ، وهو أسلوب خبيث لعين .

---

(١) الأغاني ١٤٢/١٥ .

لعن الأمويين

قال أبو الفرج (١) :

« إسماعيل بن يسار ، يكنى أبا فائد ، وكان أخواه محمد وإبراهيم ، شاعرين أيضاً ، وهم من سبي فارس ، وكان إسماعيل شعوبياً ، شديد التعصّب للعجم ، وله شعر كثير ، يفخر فيه بالأعاجم » .

* * *

إن أبا الفرج ، أخبرنا أن هذا الشاعر شعوبي ، ولكنه مع ذلك كتب عنه أكثر من عشرين صفحة (٢) .

وجاء بأسانيد عديدة في أخبار هذا الشعوبي الحاقد اللئيم ، مع آل الزبير وآل مروان ، ومدائحه فيهم ، ونفاقه لهم ، وضحكه عليهم ، وأذكر مثالاً منها :

قال أبو الفرج : أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز ، قال : حدثنا المدائني ، عن نمير العذريّ ، قال :

« استأذن إسماعيل بن يسار النسائي ، على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً ، فحجبه ساعة ، ثم أذن له ، فدخل وهو يبكي ، فقال له الغمر : ما لك يا أبا فائد تبكي ؟

قال : وكيف لا أبكي ، وأنا على مروانيّتي ، ومروانيّة أبي ، أحجَبُ

---

(١) الأغاني ٤/٤١٠ .

(٢) الأغاني ٤/٤٠٨ - ٤٢٩ .

الغمر ، بجملة لها قدر ، وخرج من عنده ، فلحقه رجل .

فقال له : أخبرني – ويلك – يا إسماعيل ، أيّ مروانيّة كانت لك ، أو لأبيك ؟

قال : بغضنا إيّاهم !

امرأته طالق ، إن لم يكن يلعن مروان وآله ، كل يوم مكان التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت .

فقيل له : قل لا إلَه إلا الله .

فقال : لعن الله مروان .

تقرباً بذلك إلى الله ، وإبدالاً له من التوحيد ، وإقامةً له مقامه » .

* * *

إن في هذا الخبر إفصاحاً من الشعوبية عن وجهها الكالح الذميم ، وإظهاراً لسخائم قلوبها ، ووغر صدورها .

وكيف أن أحدهم ، لا يقول : لا إلَه إلاّ الله ، وإنما يقول بدلاً منها : لعن الله مروان .

وإنه يتقرب بذلك إلى الله ، بشتم مروان وآله ، وهو يقصد بذلك شتم العرب .

وأبو الفرج يروي هذا الخبر ، يثبت فيه الشتم والسباب ، ولكنه يجعله حكاية عن هذا الرجل الحاقد ، وخشية من لومه فقد ذكر الأصفهاني ، أن ذلك الرجل كان شعوبياً ، وأنه ينقل كلامه ، على سبيل (ناقل الكفر ليس بكافر) .

وكأن أبا الفرج لم يكن شعوبياً ، مادام قد وصف غيره بالشعوبية ، وهذا أسلوب خبيث ، يخفى على كثير من القراء البسطاء .

* * *

الضراط في مجلس الخليفة !

قال الأصفهاني [١] :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد الرازي ، ومحمد بن العباس اليزيدي ، وعمّي ، قالوا : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائني ، قال :

« زعم أبو بكر الهذلي ، أنّ أبا الأسود الدؤلي ، كان يحدّث معاوية يوماً ، فتحرك فضرط .

فقال لمعاوية : استرها عليّ .

فقال : نعم .

فلما خرج ، حدَّث بها معاويةُ عمرو بن العاص ، ومروان بن الحكم ، فلما غدا عليه أبو الأسود .

قال عمرو : ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود ، بالأمس ؟

قال : ذهبت كما تذهب الريح ، مقبلةً ومدبرة ، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه ، عن إمساكها ، وكلُّ أجوفَ ضروط ، ثم أقبل على معاوية .

فقال : إنّ امرأً ضَعُفَتْ أمانته ومروءته ، عن كتمان ضرطة ، لحقيق بأن لا يؤمَن على أمور المسلمين » .

* * *

(١) الأغاني ٣٠٥/١٢ - ٣١٠ .

قلت :

إذا كان أبو الفرج الأصفهاني أموياً ، كما يدّعى ، فإن معاوية جدّه وسيّد قومه ، وإذا كان الأصفهاني شيعياً ، كما يدعي ، فأبو الأسود من أعلام رجال التشيع .

فكيف يوجّه الأصفهاني ، هذه الشتيمة إلى سيّديه ؟ لو لم يكن شعوبياً حاقداً ، يريد أن يطعن في خلافة معاوية ، وأهليته ، ويريد أن يطعن في أمانته ، وكان رسول الله ﷺ ، قد اتخذه كاتباً ، ويأتمنه علىٰ ذلك .

ومن هنا يتوجه طعن الأصفهاني إلى ذلك الهدف ، كأنه أعرف بالرجال من رسول الله ﷺ .

وطعن في سيرة أبي الأسود ، وجعله يضرط في مجلس الخليفة ، ويدير علىٰ لسانه عبارات جميلة في الاعتذار .

ولا تنس طعن الأصفهاني ، وأسلوبه التهكّمي حين يوازن بين الضرطة ، ومنصب الخلافة ، وأن الرجل الذي لا يؤتمن على كتمان ضرطة ، كيف يؤتمن على أمور المسلمين !

تأمّل حسن الإخراج ، والإبداع في وضع الأكاذيب ، وتلفيق الأخبار السخيفة الواهنة الواهية .

ما هـذا السخف ؟

قال الأصفهاني [1] :

حدثنا اليزيدي ، قال : حدثنا البغوي ، قال : حدثنا العُمَري ، قال : « كان أبو الأسود أبْخَرَ [2] فسارّ معاوية يوماً بشيء ، فأصغى إليه ، ممسكاً بكمّه ، على أنفه .

فنحّى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال : لا والله ، لا تسود ، حتى تصبر على سرار المشايخ البخر ... » .

* * *

قلت :

إن مثل هذا الخبر السخيف ، لا يستحق مثل ذلك السند .

وإن معاوية ، وشهرته بالحلم ، والمرونة ، وسعة الصدر ، وحسن التصرف لأكبر من هذا الهراء والدجل والكذب .

إن الأصفهاني ، يريد أن يطعن ويشنّع ، فاختار معاوية وأبا الأسود لهذا الخبر ، واعتبر السيادة متوقفة على الاصطبار ، وتحمل المشايخ البخر .

ترى ألم يجد الأصفهاني في رجال بني بويه ، وحاشيتهم مثل هذه الأخبار ؟

لماذا تكون هذه الأخبار كلها عن أعلام العرب وأسيادهم .

* * *

---

(١) الأغاني ٣١٥/١٢ .

(٢) الأبخر : الذي تخرج من فمه وجسمه ، رائحة كريهة .

الأحوص يراودُ وُصَفَاء الخليفَة

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني الحرمي ، قال : حدثني الزبير ، قال : حدثني عبد الرحمن ابن عبد الله ، عن عمّه موسىٰ بن عبد العزيز ، قال :

« وَفَد الأحوص علىٰ الوليد بن عبد الملك ، وامتدحه ، فأنزله منزلاً ، وأمر بمطبخه أن يُمال عليه .

ونزل علىٰ الوليد بن عبد الملك ، شُعيبُ بن عبد الله بن عمرو بن العاص (٢) .

فكان الأحوصُ يراود وصفاء للوليد خبّازين ، عن أنفسهم ، ويريدهم أن يفعلوا به .

وكان شعيب قد غضب علىٰ مولًى له ونحّاه .

فلما خاف الأحوصَ أن يفتضح بمراودته الغلمان ، اندسّ لمولىٰ شعيب ذلك .

فقال : ادخل علىٰ أمير المؤمنين ، فاذكر له أن شعيباً أرادك عن نفسك .

ففعل المولىٰ .

---

(١) الأغاني ٢٣٥/٤ ، ٢٣٦ .

(٢) كان من كبار المحدثين الثقات ، وهو والد المحدث المشهور عمرو بن شعيب ، الذي كان يروي عن أبيه عن جدّه ، في أغلب رواياته ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٥٦/٤ .

فقال : ما يقول هذا ؟

فقال : لكلامه غَوْرٌ ، يا أمير المؤمنين ، فاشدد عليه يصدقْك .

فشدّد عليه .

فقال : أمرني بذلك الأحوص .

فقال قيّم الخبازين : أصلحك الله ، إنّ الأحوص يراود الخبازين عن أنفسهم .

فأرسل به الوليد إلى ابن حزم ، بالمدينة ، وأمره أن يجلده مائة ، ويصبّ علىٰ رأسه زيتاً ، ويقيمه علىٰ البُلُس [1] .

ففعل ذلك به .

فقال وهو علىٰ البلس أبياته التي يقول فيها :

ما من مصيبة نكبة أمنىٰ برد ... إلا تُعظِّمُني وترفع شاني

وتزول حين تزول عن متخمط ... تخشىٰ بوادره على الأقران

إنّي إذا خَفِيَ اللئام رأيتني ... كالشمس لا تخفىٰ بكلّ مكان»

وقال أبو الفرج [2] :

قال الزبير : وجعل محمد بن سلّام : الأحوص ، وابن قيس الرقيّات ، ونُصَيْباً ، وجميل بن معمر ، طبقةً سادسة من شعراء الإسلام .

---

(١) البلس : أكوام أكياس التبن .

(٢) الأغاني ٢٣٣/٤ .

قال أبو الفرج :

« والأحوص لولا ما وضع به نفسه من دنيء الأخلاق والأفعال ، أشدّ تقدماً منهم عند جماعة أهل الحجاز ، وأكثر الرواة ، وهو أسمح طبعاً ، وأسهل كلاماً ، وأصحّ معنىً منهم ، ولشعره رونق ، وديباجة صافية ، وحلاوة وعذوبة ألفاظ ، ليست لواحد منهم ، وكان قليل المروءة والدين ، هجّاء ، للناس ، مأبوناً فيما يروىٰ عنه » .

* * *

قلت :

كم هدفاً أصاب الأصفهاني في هذا السهم المسموم ؟

سدّد سهمه الأول إلى الأحوص الشاعر ، وعدّه مأبوناً ، وهو حفيد الصحابي عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح .

وأن الأحوص كان يراود الوصفاء في قصر الخليفة ، وأنه يريدهم أن يفعلوا به !!

ولم تكن هذه العادة الذميمةَ معروفةً عند العرب ، وإنما كانت معروفة ومنتشرة بين الأعاجم ... فنقلها الأصفهاني ولطخها بوجه أعيان العرب ... وشعرائهم .

ثم وجّه السهمَ نفسَه إلى المحدث الكبير شعيب بن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن العاص ، وجعله دسيسة من الأحوص ، كلّ ذلك يجري في قصر الخليفة ، الذي كانت جيوشه تخترق الآفاق ، تفتح وتخمد نيران الفتن التى يثيرها الشعوبيون الحاقدون .

ولم يكتف الأصفهاني بذلك ، حتى اختار أبياتاً للأحوص ، واعتبرها تعبيراً عن إهانته وجَلْدِه وتعذيبه في المدينة .

وكيف أن الأحوص يفتخر بذلك ، وإن اشتهر بميوله الغريبة وأن ذلك ينفعه ولا يضره ، لأن مثل هذه العقوبة تعظمه وترفع شأنه بين أقرانه المفسدين الجبناء الذين لا يجاهرون بالمفسدة ، فتأمل !

وكأنّه يحضّهم ويدعوهم إلى سلوك هذه السبيل التى تكون مدعاةً لشهرتهم ، فعليهم أن يجاهروا بالمعصية والفساد ، ولا يتكتموا بذلك ، ومع كل هذه المخازي والمثالب ، التي ألصقها الأصفهاني بهذا الشاعر واعتبره مأبوناً فاسداً هجّاءً للناس ، قليل المروءة والدين ، بعد هذا كله ، يورد أبو الفرج أخباراً للأحوص ، وزياراته المتكررة للسيدة سكينة ، وأنه كان يفاخرها وتفاخره ، ثم هي تكرمه بعد ذلك ، ترىٰ هل في ذلك تكريم للسيدة سكينة ؟ أم إهانة لها ؟ وطعن بها ؟ إذا كانت تلك هي صفات الأحوص وأخلاقه ، فلماذا تستقبله السيدة سكينة ؟

ولماذا تفاخره ويفاخرها ؟ ولماذا تكرمه ؟

هل يليق بها أن تفاخر الفجّار الفسّاق ؟

كل ذلك لم يسأل عنه أبو الفرج ، ولا يلتفت إليه .

ونحن نعود لنسأل لجنة تحقيق الكتاب : هل بعد هذا يصحّ أن يقال : إن كتاب الأغاني من أجلّ مصادر التاريخ والأدب العربي ؟

والي المَدينة يتزوّج شابًّا

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني يحيىٰ بن عليّ بن يحيىٰ ، قال : حدثني إبراهيم بن سعد بن شاهين ، قال : حدثني عبد الله بن خالد بن دفيف التغلبيّ ، عن عثمان بن عبد الرحمن بن نميرة العَدَويّ ، عن أبي العلاء بن وثّاب ، قال :

قدم ابن ميّادة (٢) المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك ، وهو أميرها ، وكان يسمُر عنده في الليل .

فقال عبد الواحد لأصحابه : إنّي أهُمُّ أن أتزوّج ، فابغوني أيِّماً

فقال له ابن ميادة : أنا أدلّك ، أصلحك الله أيها الأمير .

قال : علىٰ مَن يا أبا الشرحبيل ؟

قال : قدمت عليك أيها الأمير ، فدخلت مسجدكم ، فإذا أشبه شيء به ، ومن فيه الجنّة وأهلها ، فوالله لَبيْنا أنا أمشي فيه إذ قادتني رائحةُ عطر رجلٍ ، حتىٰ وقَفَتْ بي عليه ، فلما وقع بصري عليه ، استلهاني حسنه ، فما أقلعت عنه ، حتى تكلّم ، فخِلتُه لمّا تكلم يتلو زبوراً أو يدرس إنجيلاً ، أو يقرأ قرآناً ، حتىٰ سكت ، فلولا معرفتي بالأمير ، لشككت أنه هو ، ثم خرج من مصلّاه إلى داره .

فسألتُ من هو ؟

---

(١) الأغاني ٣٢٥/١ .

(٢) شاعر مخضرم ، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، ذكر أبو الفرج أن أمه فارسية ، الأغاني ٢٦٢/٢ .

فأُخبرت أنه لِلْحَسَّيْن ، وبَيْن الخليفتين ، وأنّه قد نالته ولادة من رسول الله ﷺ ، لها نور ساطع من غرّته وذؤابته ، فنعم المنكح ، ونعم حشو الرجل ، وابن العشيرة .

فإن اجتمعت أنت وهو علىٰ ولد ، ساد العباد ، وجاب ذكره البلاد ، فلما قضىٰ ابن ميادة كلامه .

قال عبد الواحد ومن حضره : ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وأمّه فاطمة بنت الحسين ... » .

* * *

قلت :

هل كان الأصفهاني يريد أن يقول على لسان ابن ميادة ، إن أمير المدينة كان لوطياً حتى يتزوج من ذلك الشاب ؟

أم كان مأبوناً ليتزوجه ذلك الشاب ؟

والأمير عبد الواحد كان ابن الخليفة سليمان بن عبد الملك والشاب كان حفيد الخليفة عثمان بن عفان ، وسبط الإمام الحسين ، لأن أمّه فاطمة بنت الحسين .

فماذا أبقىٰ أبو الفرج ؟ وهل يستحق هذا الخبر المسموم الخبيث ، مثل ذلك السند ، والحشد من الرجال على روايته ؟ علم ذلك عند لجنة تحقيق كتاب الأغاني ، فهل كان سكوتها من الرضا ، والتصديق به ؟

وضّاح اليمن وأمّ البنين

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني الحَرَميّ بن العلاء ، قال : حدثنا الزبير ، قال : حدثني عمر ابن أبي بكر المؤمّلي ، قال : حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال :

« حجّت أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، فقالت لكثيّر ووضاح : أنسبا بي .

فأما وضّاح فنسب بها ، وأمّا كثيّر ، فنسب بجاريتها غاضرة ..

قال : وكانت [أم البنين] زوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتل وضّاحاً ولم يجد علىٰ كثيّر سبيلاً » .

* * *

قلت :

يطيب للأصفهاني الطعن علىٰ الأمويين ، وهم في موسم الحج ، ويتلوّن ويتلوّىٰ في إلصاق كل عيب بهم ، ومع ذلك فهو يزعم أنّه أمويّ النسب ، فهل من أحد يفسّر لي ذلك ؟

ويعيد أبو الفرج الحكاية نفسها بسند آخر ، عن الحرمي ، قال حدثنا الزبير ، قال : حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري ، عن محرز بن جعفر ، عن أبيه عن بُدَيح ..

---

(١) الأغاني ١٢/١٨٠ .

فهل في هذه الإعادة إفادة ؟

نعم ، حتىٰ يكون الطعن طعنين ، والشتم شتمين .

ثم يذكر أبو الفرج بعد ذلك قصة اجتماع وضّاح اليمن بأمّ البنين في بيت الخليفة ، وأنها وضعته في صندوق ، فدخل الوليد ، وقعد علىٰ الصندوق ، ثم طلب من زوجته أم البنين أن تعطيه الصندوق .

فَسُقِطَ في يد أمّ البنين .

ثم أخذ الوليد الصندوق ، وبداخله وضّاح ، فدفنه ، ولم يعلم أحد بعد ذلك بمصير وضاح .

ثم قال أبو الفرج بعد ذلك : « إنّ هذه القصة مصنوعة ، وضعها أحد الشعوبية » .

وأبو الفرج في قوله هذا واستدراكه ، يوحي إلى القارئ أنّه ناقدٌ بصير ، ومؤرخ نظيف خبير ، ينفي بعض الأخبار ، ليتكئ علىٰ ذلك النفي ويتستّر به ، ويسكت عن أخبار هي أسوأ منها .

فيظن القارئ أن الأخبار التي سكت عنها أبو الفرج صحيحة وموثوقة ، ولو كانت ضعيفة أو كاذبة لنبّه عليها .

وهكذا يكون الفنّ في الدس .

وقصة وضاح اليمن وأمّ البنين والصندوق ، قد كتب الأستاذ محمد بهجة الأثري ، رسالة في تفنيدها وإظهار زيفها وبطلانها ، فليرجع إليها من أحبّ ذلك .

الفصـــل الرابــع

الأصفَهاني الحَاقِد

لقد شفى الأصفهاني غيظه من آل البيت ، ومن الأمويين ، ونال منهم وجرح سيرتهم ، كما ذكرنا ذلك في الفصلين الثاني والثالث .

ولكنه لم يكتف بذلك ، بل راح يشتم دين الإسلام علناً ، وأدار ذلك بالحكاية على لسان منظور بن زبان ، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم فضّل الجاهلية ، واعتبرها خيراً من الإسلام ، وذلك على لسان عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

ثم راح الأصفهاني يشيد بالبرامكة ويدافع عنهم ، ويورد أخباراً في ندم الرشيد على الفتك بهم .

ثم أشاد بالفرس ، وأنهم بنوا الكعبة في عهد ابن الزبير ، وإن العرب تعلموا الغناء من الفرس عند بناء الكعبة !!

وراح الأصفهاني يتخبط ويضطرب في تزوير أحداث التاريخ وأسماء الأعلام وتواريخ الوفيات .

مع شتم للأعلام الكبار أمثال أبي الأسود الدؤلي ، وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد والإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنهم .

ووجه طعنات مختلفة إلى الزهاد والعباد والصالحين ، والفقهاء بحكايات تُظهرُ الاستخفاف بهم ، وبالصلاة والعبادة والحج ... إلى غير ذلك من الأمور المنكرة الذميمة التي يرتاح لها أعداء الإسلام قديماً وحديثاً .

وقد جمعت طرفاً منها في هذا الفصل بما يفصح عن حقد هذا اللئيم .

يَلْعَن دين الإسلام

قال الأصفهاني [١] :

ذكر الهيثم بن عدي [٢] عن ابن الكلبي [٣] ، وابن عيّاش .

وذكر بعضه الزبير بن بكار ، عن عمّه ، عن مجالد :

« أنّ منظور بن زبان ، تزوّج امرأة أبيه ، وهي مليكة بنت سنان بن أبي حارثة المريّ ، فولدت له هاشماً ، وعبد الجبار ، وخولة ، ولم تزل معه إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وكان يشرب الخمر أيضاً ، فرُفِع أمره إلى عمر ، فأحضره ، وسأله عما قيل .

فاعترف به وقال : ما علمت أنّها حرام .

فحبسه عمر إلى وقت صلاة العصر ، ثم أحْلَفَه أنّه لم يعلم أنّ الله عز وجل حرم ما فعله .

فَحلَفَ - فيما ذُكِرَ - أربعين يميناً ، فخلّى سبيله ، وفرّق بينه وبين امرأة أبيه .

وقال : لولا أنّك حلَفْتَ : لضربتُ عنقك ، أتنكح امرأة أبيك ، وهى أمُّك ؟

---

(١) الأغاني ١٢/١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) ذكرناه مع الرواة الكذابين .

(٣) المصدر نفسه .

أو ما علمت أنّ هذا نكاح المقت ؟

قال ابن الكلبي :

فلما فرّق عمر رضي الله عنه ، بينهما ، وتزوجت ، رآها منظور يوماً .

وهي تمشي في الطريق ، وكانت رائعة الحسن .

فقال : يا مليكة ، لعن الله دِيناً فرّق بيني وبينك .

فلم تكلّمه ، وجازت ، وجاز بعدها زوجها .

فقال له منظور : كيف رأيتَ أثر أيري في حِرِ مليكة ؟

قال : كما رأيتَ أثر أير أبيك فيه .

فأفحمه ، وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر ، فطلبه ليعاقبه ، فهرب منه » .

* * *

قلت :

إن أبا الفرج ، يريد أن يشتم دين الإسلام ، فكيف يستطيع ذلك ؟ حتى ينفس عن حقده المجوسيّ الأسود .

لقد جاء بهذه الحكاية ، ليشتم دين الإسلام صراحة ، على قاعدة (ناقل الكفر ليس بكافر) ، وأجرى هذه العبارة على لسان منظور ، وتأسّفه على فراق زوجته التي هي زوجة أبيه .

ماذا تريد الشعوبية أكثر من ذلك ؟ وها هي تنشر هذا الهراء والسخف ، والشتم واللعن ، باسم الأدب والأخبار والسمر .

وخولة بنت منظور هذه ، تزوجها الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فولدت له الحسن بن الحسن .

وتسكت اللجنة الموقرة المحققة لكتاب الأغاني ، عن مثل هذا الخبر ، وتمرّ به مرور الكرام ، كأن الأمر لا يعني تأريخنا وأدبنا ؟

ولم تناقشه من قريب ولا بعيد .

الجاهليّة خيرٌ مِن الإسلام !!

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ ، قال : حدثنا عمر بن شبّة ، قال : حدثني هارون بن معروف ، قال : حدثنا بشر بن السّريّ ، قال : حدثنا عمر بن سعيد ، عن أبي مليكة ، قال :

« رأيتهم – يعني بني أميّة – يتتابعون نحو ابن عباس ، حين نفى ابنُ الزبير بني أميّة عن الحجاز ، فذهبت معهم ، وأنا غلام ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده ، فدخلنا عليه .

فقال له عبيد بن عمير : ما لي أراك ، تذرف عيناك ؟

فقال له : إن هذا – يعني عبد الرحمن بن الحكم – قال بيتاً أبكاني وهو :

وما كنت أخشىٰ أن ترىٰ الذلَّ نسوتي

وعبد منافٍ لم تغلها الغوائلُ

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمّنا بني أميّة ، وإنّا كنّا أهل بيت واحد في الجاهلية ، حتىٰ جاء الإسلام ، فدخل الشيطان أيّما دخل .

* * *

قلت :

إن الرّين والحقد اللذين تلبدا على قلب أبي الفرج ، حتىٰ طمسا

---

(١) الأغاني ١٣/٢٦٤ .

عليه ، لم يعد ينفسه إلا شتم الإسلام ، وتفضيل الجاهلية عليه ، لأن الإسلام قطع الطريق على المفسدين العابثين ، والمنحرفين في سلوكهم وأفكارهم .

لذلك نراهم يحمّلون الخبر فوق ما يحتمل ، ويروون عن أعلام أمتنا ، ما لم نسمعه من أعدائنا ، أو لم يتجرأ أعداؤنا على التفوّه به .

وأبو الفرج لا يستحي من أن ينسب هذا القول إلى حبر الأمّة ، عبد الله بن عباس ، ابن عمّ رسول الله ﷺ .

إنّه يبكي ، لأن بني هاشم وبني أميّة ، كانوا بيتاً واحداً في الجاهلية ، حتى جاء الإسلام ، فدخل الشيطان بينهم فتفرقوا واختلفوا .

أما اختلاف قبائل العرب قبل الإسلام ، وحروب الأوس والخزرج ، وغيرها من أيام العرب المشهورة في الجاهلية ، فيسكت عنها أبو الفرج .

إن مراد أبي الفرج في مثل هذه الأخبار ، أن يزيد في إيقاد البغضاء وإن كان نسب ذلك الاختلاف إلى الشيطان .

إن الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، كلها تشير إلى فضل الإسلام في جمع كلمة العرب وتوحيدهم .

فكيف يغفل حبر الأمة عبد الله بن عباس ، عن ذلك ؟ ويبكي على اختلاف بني هاشم وبني أميّة ؟

إنها أكاذيب الأصفهاني ، يضع لها الأسانيد ، ويرفعها إلى حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

دفاع عن البرامكة

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني عيسىٰ بن الحسين الورّاق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثني أبو توبة (٢) ، عن القطراني ، عن محمد بن حبيب ، قال :

« كان الرشيد بعد قتلهِ البرامكة ، شديدَ الأسفِ عليهم ، والتندّمِ علىٰ ما فعله بهم .

ففطن لذلك الزبير بن دحمان ، فكان يغنّيه في هذا المعنىٰ ، ويحرّكه ، فغنّاه يومًا - والشعر لامرأة من بني أسد - :

مَن للخصوم إذا جدّ الخصام بهم
يوم النزال ومَن للضمّر القودِ
وموقف قد كفَيْتَ الناطقين به
في مجمع من نواصي الناسُ مشهودِ
فرَّجْتَه بلسانٍ غير ملتبس
عند الحِفاظ وقولٍ غير مردودِ

فقال له الرشيد : أعد ، فأعاد .

فقال له : ويحك ، كأن قائل هذا الشعر ، يصف به يحيىٰ بن خالد ، وجعفر بن يحيىٰ .

وبكىٰ حتى جرت دموعه ، ووصل الزبير صلةً سنيّة .

---

(١) الأغاني ٣٠٣/١٨ .

(٢) ذكرناه مع الرواة الكذابين .

قلت :

تأبىٰ سجية الأصفهاني إلا أن تظهر ، من حيث يشعر أو لا يشعر ، فإنّه يريد أن يدافع عن البرامكة ، وأن يظهر لنا أن الرشيد كان خاطئاً بقتله البرامكة ، وأنه نادم على ذلك أشدّ الندم ، والتأسف . فوضع هذه الحكاية ، ونحمد الله أن ورد في سندها راوٍ كذاب والله سبحانه قد فضح الأصفهاني في كذبه ، حين ذكر لنا أن الزبير بن دحمان ، كان يحرك الرشيد بهذا الغناء في مثل تلك المقاصد ، ونحن نعلم جميعاً أن المغنّين حسبهم الانتفاع ، ولا شأن لهم بما يثير حفيظة الأمير .

ولو أن الأصفهاني ذكر لنا أن المغني فعل ذلك عفواً ، عن غير قصد ولا دراية ، فتنبّه الرشيد لذلك ، لكان أستَرَ له ، ولكن الأصفهاني أراد أن يسمعنا أسف الرشيد وندمه على لسانه ، فتأمل هذا الفن في الدس .

تلفيق وتزوير

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني ، صهر المبرّد ، قال : حدثني محمد بن موسىٰ الضبّيّ ، رواية العتّابيّ ، وكان نديماً لعبد الله بن طاهر ، قال : « إن ابن جامع أو ابن المكّيّ ، غنّىٰ بين يدي الرشيد :

لا تعجبي يا سلم من رجلٍ   ضحك المشيب برأسه فبكىٰ

فطرب الرشيد ، وسأل عن قائل هذا الشعر .

فقيل له : دعبل بن عليّ ، وهو غلام نشأ في خزاعة .

فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم ، وخلعة من ثيابه .

فأحضر ذلك ، فدفعه مع مركب من مراكبه ، إلى خادم من خاصته .

وقال له : اذهب بهذا إلى خزاعة ، فاسأل عن دعبل بن عليّ ، فإذا دُللت عليه ، فأعطه هذا .

وقل له : ليحضر إن شاء ، وإن لم يجب فدعه .

وأمر للمغنّي بجائزة ، فسار الغلام إلى دعبل ، وأعطاه الجائزة ، وأشار عليه بالمسير إليه .

فلما دخل عليه ، وسلّم ، أمره بالجلوس ، فجلس ، واستنشده

---

(١) الأغاني ٢٠/١٨٠ .

الشعر . فأنشده إياه ، فاستحسنه وأمره بملازمته ، وأجرىٰ عليه رزقاً سنياً فكان أوّل من حرّضه علىٰ قول الشعر » .

قال أبو الفرج :

« .. فوالله ما بلغه أن الرشيد قد مات ، حتىٰ كافأه علىٰ ما فعله من العطاء السنيّ ، والغنىٰ بعد الفقر ، والرفعة بعد الخمول ، بأقبح مكافأة ، وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام ، وهجاء الرشيد :

وليس حيٌّ من الأحياء نعلمه ... من ذي يمان ومن بكر ومن مضرِ
إلا وهم شركاء في دمائهم ... كما تشارك أيسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة ... فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أميَّة معذورين إن قتلوا ... ولا أرىٰ لبني العباس من عذر
أُرْبِعْ بطوسي على القبر الزكي إذا ... ما كنت تربع من دين علىٰ وطر
قبران في طوس ، خير الناس كلّهم ... وقبر شرّهم ، هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا ... على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كلّ امرىءٍ رهن بما كسبت ... له يداه ، فخذ ما شئت أو فذر

- يعني - قبر الرشيد ، وقبر الرضا عليه السلام » .

* * *

قلت :

إن هذه القصيدة تفصح عن نفسها ، وتصيح إن دعبلاً نظمها في رثاء الإمام علي الرضا ، وقد توفي في عهد المأمون .

فكيف يقول أبو الفرج إن دعبلاً نظمها لما بلغه موت الرشيد ؟

وهذه القصيدة هي إلى هجاء المأمون أقرب منها إلى هجاء الرشيد .

وأبو الفرج يريد أن يشتم الرشيد والعباسيين ، فأورد هذه الأبيات ، ليثير بها الأحقاد ، ويوغر الصدور ، ويشتم العرب من اليمن وبكر ومضر لأنهم شركاء في دماء أهل البيت .

أمّا الأعاجم المجوس والشعوبيون والحاقدون ، فهم أبرياء مخلصون محبّون ، إنّهم يتسترون بالولاء الكاذب ، ليمزقوا وحدة الأمة ، ويشتتوا شملها ، وليشتم الأحفاد آباءهم وأجدادهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

انتحال واضطراب

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا ابن أبي سعد الورّاق ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر ، قال : حدثني أبي قال : قال أحمد بن أبي داود :

« دخلت على المأمون في أوّل صحبتي إيّاه ، وقد توفي أخوه أبو عيسى ، وكان له محبًّا ، وهو يبكي ويمسح عينيه بمنديل ، فقعدت إلى جنب عمرو بن مسعدة ، وتمثّلت قول الشاعر :

نقص من الدنيا وأسبابها نقص المنايا من بني هاشم

ولم يزل على تلك الحال ساعةً يبكي ، ثم مسح عينيه وتمثّل :

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض
فحسبك مني ما تجنّ الجوانحُ
كأن لم يمت حيّ سواك ولم تنح
على أحد إلا عليك النوائح

ثم التفت إليّ فقال : هيهِ يا أحمد .

فتمثلتُ قول عبدة بن الطيّب :

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته إن شاء أن يترحّما
تحية من أوليته منك نعمة
إذا زار عن شحط بلادك سلّما

---

(١) الأغاني ١٠/١٩١ ، ١٩٢ .

وما كان قيس هلكه هلك واحدٍ
ولكنّه بنيان قومٍ تهدّما

فبكىٰ ساعة ، ثم التفت إلى عمرو بن مسعدة .

فقال : هيهِ يا عمرو .

قال : نعم يا أمير المؤمنين :

بَكُّوا حذيفة لم تبكّوا مثله حتىٰ تعود قبائل لم تخلق

فإذا عَريب وجَوارٍ معها ، يسمعن ما يدور بيننا .

فقلن : اجعلوا لنا معكم في القول نصيباً .

فقال لها المأمون : قولي فرُبَّ صواب منك كثير .

فقالت :

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمْرُ
وليس لعين لم يفض ماؤها عذرُ

كأنّ بني العباس يوم وفاته
نجوم سماء خَرَّ من بينها البَدْرُ

فبكىٰ وبكينا .

ثم قال لها المأمون : نوحي .

فناحت ، وردّ عليها الجواري ، فبكىٰ المأمون ، حتىٰ قلت : قد خرجت نفسه ، وبكينا معه أحرّ بكاء ، ثم أمْسَكَتْ .

فقال لها المأمون : اصنعي فيه لحناً ، وغنّي به .

فصنعت فيه لحناً علىٰ مذهب النوح ، وغنّته إياه على العود .

فوالذي لا يُحْلَف بأجلّ منه ، لقد بكينا عليه غناءً ، أكثر مما بكينا عليه نوحاً » .

* * *

قلت :

لقد عقّبت لجنة تحقيق كتاب الأغاني ، علىٰ هذا الخبر بقولها :

« يلحظ أن هذا الشعر لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسيّ ، وقد قتل هذا الأمير ، في حرب كانت بينه وبين أصحاب بابك الخرّميّ ، سنة ٢١٤ هجرية ، والمرويّ هنا أن أبا عيسىٰ ابن الرشيد ، مات سنة ٢٠٩ هجرية ، فتأمل هذا ، وأصل الشعر (كأنّ بني نبهان) ، فغُيِّر ، وجُعِلَ (كأنّ بني العباس) .

وأنا أقول : إن أبا الفرج ، هو الذي وضع هذه الحكاية ، واختلق سندها ، ولكن الله تعالىٰ فضحه ، لأن أبا تمام أنشد أبياته في رثاء محمد بن حميد سنة ٢١٤ هـ ، بعد وفاة أبي عيسىٰ بخمس سنين ، ولو كانت هذه الأبيات قيلت في أبي عيسىٰ ، وكان فيها (كأن بني العباس) وغيّرها أبو تمام بعد ذلك إلى قوله (كأن بني نبهان) ، لما سكت خصوم أبي تمام عن ذلك ، ولا يليق به أن يسرق رثاءً في أمير وابن خليفة ، ويرثي به قائداً أقلّ منه .

وليس من المعقول أن يكون ابن أبي دواد ، لا يعرف تلك الأبيات والذي نظمها ، وفيمن نظمت .

ولكن أبا الفرج جريء في الانتحال والكذب ، ولو كان خبره مضطرباً .

تزويرُ التاريخ

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني عمّي ، قال : حدثني الكراني ، عن النضر بن عمرو ، عن العتبي ، قال :

« لما ظهرت المسوّدة بخراسان ، كتب نصر بن سيار إلى الوليد [بن يزيد] ، يستمدّه ، فتشاغل عنه ، فكتب إليه كتاباً ، وكتب في أسفله يقول :

أرىٰ خلل الرماد وميض جمر وأحْرِ بأن يكون له ضرامٌ
فإنّ النار بالعودين تذكىٰ وإنّ الحرب أوّلها الكلام
فقلت من التعجّب ليت شعري أأيقاظ أميَّةُ أم نيام ؟

فكتب إليه الوليد :

قد أقطعتك خراسان ، فاعمل لنفسك ، أو دَعْ ، فإنّي مشغول عنك بابن سريج ، ومعبد ، والغريض » .

* * *

قلت :

لقد علّقت لجنة تحقيق (الأغاني) قائلة : « الذي في مروج الذهب ، وابن الأثير ، وسائر كتب التاريخ أن نصر بن سيّار ، إنما بعث بهذا الشعر إلى مروان بن محمد ، آخر ملوك بني أميّة » .

---

(١) الأغاني ٥٦/٧ .

إن تعليق اللجنة هذا لا يكفي ، في تفنيد الخبر وتكذيبه ، لأنّ القارىء قد يظن أن هناك روايتين ، وربما تكون رواية الأصفهاني أوثق من غيرها .

وأضيف إلى ذلك ، أن أبا الفرج ، لا يكتفي بانفراده بهذه الرواية بل أضاف إليها جواب الوليد بن يزيد ، وأنه مشغول عن حركات الثوار والمناوئين بالاستماع إلى غناء ابن سريج والغريض ومعبد ، فتأمّل ذلك !

وبهذه الإضافة قد فضحه الله فبان كذبه وتزويره ، لأن الوليد ولي الخلافة سنة ١٢٥ هـ ، وابن سريج توفي سنة ٩٨ هـ حين كان عمر الوليد عشر سنوات ، والغريض توفي سنة ٩٥ هـ حين كان عمر الوليد سبع سنوات .

فكيف انشغل الوليد بالاستماع إلى غناهما أيام خلافته ؟

وهذا الكذب في الخبر ، ينسحب إلى الكذب في تلفيق السند ، ونحن نستبعد أن يكون رواة الخبر ، لا يعرفون وفاة ابن سريج والغريض وبُعدها عن زمن خلافة الوليد بن يزيد .

الفُرس يَبْنون الكعبة !

قال أبو الفرج في أخبار ابن مسجح المغنّي :

« مكيٌّ أسود ، مغنٍّ متقدّم ، من فحول المغنين وأكابرهم ، وأوّل من صنع الغناء منهم ، ونقل غناء الفرس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشام ، وأخذ ألحان البيزنطية والأسطوخوسية ، وانقلب إلى فارس ، فأخذ بها غناءً كثيراً ، وتعلّم الضرب ، ثم قدم إلى الحجاز ، وقد أخذ محاسن تلك النغم ، وألقىٰ منها ما استقبحه من النبرات ، والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم ، خارجة عن غناء العرب ، وغنّىٰ علىٰ ذلك المذهب ، فكان أول من أثبت ذلك ، ولحّنه ، وتبعه الناس بعد ... » .

ثم قال بعد ذلك (١) :

« أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، والحسين بن يحيىٰ ، قالا : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن هشام بن المُرِّيَّة : أن أوّل من غنّىٰ هذا الغناء العربي بمكة ، ابن مسجح ، مولىٰ بني مخزوم ، وذلك أنّه مَرَّ بالفرس وهم يبنون المسجد الحرام ، فسمع غناءهم بالفارسية ، فقلبه في شعر عربي ... » .

ثم قال (٢) :

« أخبرني محمد بن عبيد الله بن محمد الرازيّ ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائني .

---

(١) الأغاني ٣/٢٧٦ .

(٢) نفسه ٣/٢٧٧ .

وذكر إسحاق عن المدائني ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : كان سبب بناء ابن الزبير الكعبة لمّا احترقت ... وأصبح ابن الزبير ساجداً يدعو ويقول : اللّهم إني لم أتعمّد ما جرىٰ ، فلا تهلك عبادك بذنبي ، وهذه ناصيتي بين يديك .

فلما تعالىٰ النهار ، أَمِنَ وتراجع الناس .

فقال لهم : اللهَ اللهَ ، أن ينهدم في بيت أحدكم حجر ، فيزول عن موضعه ، فيبنيه ويصلحه ، وأترك الكعبة خراباً !؟

ثم هدمها مبتدئاً بيده ، وتبعه الفعلة ، حتىٰ بلغوا إلى قواعدها ، ودعا ببنّائين من الفرس والروم فبناها .

قال إسحاق :

وأخبرني ابن الكلبي (١) عن أبي مسكين قال :

« كان سعيد بن مسجح أسود مُوَلّداً ... فرأىٰ الفرس ، وهم يعملون الكعبة لابن الزبير ، ويُغَنُّونَ بالفارسية ، فاشتق غناءه على ذلك (٢) .

ثم يأتي الأصفهاني بسند آخر ، يوصله إلى أحمد بن موسىٰ بن حمزة ابن عمارة بن صفوان الجمحي ، عن أبيه قال (٣) :

« أول من نقل الغناء الفارسي إلى العربي ، سعيد بن مسجح ، مولى بني مخزوم .

---

(١) ذكرناه مع الكذابين من الرواة .

(٢) الأغاني ٢٧٧/٣ .

(٣) نفسه ٢٨١/٣ .

وذلك أن معاوية بن أبي سفيان لما بنىٰ دوره التي يقال لها (الرقط) وهي ما بين الدارين إلى الروم ، أوّلها الدار البيضاء ، وآخرها دار الحمّام ، على يسار المصعد من المسجد الحرام إلى ردم عمر .

حمل لها بنّائين فُرْساً من العراق ، فكانوا يبنونها بالجص والآجر ، وكان سعيد بن مسجح يسمع من غنائهم ، علىٰ بنيانهم ، فما استحسن من ألحانهم ، أخذه ونقله إلى الشعر العربي ، ثم صاغ نحو ذلك ... » . وذكر الأصفهاني قبل ذلك [1] .

« قال إسحاق : وحدثني أبي ، قال : أخبرني من رأىٰ عود بن سريج ، وكان علىٰ صنعة عيدان الفرس .

وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فأعجب أهل مكة غناؤهم .

فقال ابن سريج : أنا أضرب به على غنائي .

فضرب به ، فكان أحذق الناس » .

* * *

قلت :

أراد أبو الفرج أن يثبت أن ابن سريج مدين للفرس في الغناء وأنه تجوّل في ديار الروم وفارس ، وأخذ عنهم ، وهذا شيء وارد ومقبول ولا ضير فيه .

ثم جاء الأصفهاني ليدسّ هذا الخبر الفريد الغريب » والإفك العجيب ، وهو أن الفرس والروم هم الذين بنوا الكعبة بأمر من ابن الزبير ... وأن الفرس كانوا يغنون في أثناء العمل ، فتعلم ابن سريج منهم .

---

(١) الأغاني ١/٢٥٠ .

إن كتب التاريخ أشارت إلى إعادة بناء الكعبة في عهد عبد الله بن الزبير .

ولم يشر واحد من المؤرخين إلى أن ابن الزبير استقدم بنّائين من الفرس أو الروم للعمل فيها .

ولم أجد ما يشير إلى ذلك في تاريخ المسعودي ، ولا اليعقوبي ولم يذكره الطبري ، ولا الأرزقي في تاريخ مكة ، ولا أشار إليه ابن الأثير في كتابه الكامل ، ولا ابن كثير في البداية والنهاية .

فمن أين جاء الأصفهاني بهذا الخبر اليتيم ؟

وكيف وضع له هذا السند السليم السقيم ؟

ثم يجيء الأصفهاني بسند جديد ، ليشير إلى أن ابن سريج إنما تعلّم الغناء من الفرس ، عندما استقدم معاوية عمالاً من الفرس لبناء دوره البيضاء في مكة المكرمة .

والأصفهاني في كل ذلك يريد أن يجرّد العرب من كل إجادة في أي فن من فنون الغناء أو البناء ، وأنهم عالة على الشرق أو الغرب . ومما يؤسف عليه أن يسكت محققو كتاب الأغاني على مثل هذه الأخبار ولم يعلّقوا عليها ، ولم يرجعوا إلى كتب التاريخ ليوثقوا مثل هذه الأخبار أو يضعفوها ويكذبوها وينفوها .

كُفْرٌ بَواح

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني القاسم بن زيد المديني قال :

« اجتمع ذات يوم عند بَصْبَص جارية ابن نُفَيس ، عبد الله بن مصعب الزبيري ، ومحمد بن عيسىٰ الجعفريّ ، في أشراف من أهل المدينة ، فتذاكروا مزبّداً المديني صاحب النوادر وبخله .

فقالت بَصْبَص : أنا آخذ لكم منه درهماً .

فقال لها مولاها : أنت حُرَّة لئن فعلتِ ، إنْ لم أشتر لك مخنقة بمائة ألف دينار ، وإن لم أشتر لك ثوب وشيٍ بما شئت وأجعلْ لك مجلساً بالعقيق ، أنحرُ لك فيه بدنة لم تَقْتَب ولم تُركب .

فقالت : جيء به وارفع عني الغيرة !

فقال : أنت حرّة أن لو رفع برجلَيك ، لأعنته على ذلك .

فقال عبد الله بن مصعب : فصلّيت الغداة في مسجد المدينة ، فإذا أنا به .

فقلت : أبا إسحاق ، أما تحبّ أن ترىٰ بَصْبَص جارية ابن نُفَيس ؟

فقال : امرأته طالق ، إن لم يكن الله ساخطاً عليّ فيها ، وإن لم أكن أسأله أن يرينيها منذ سنة فما يفعل .

---

(١) الأغاني ١٥/٣١ - ٣٣ .

فقلت له : اليوم إذا صليت العصرَ ، فوافني ههنا .

قال : امرأته طالق إن برحت من ههنا حتي تجيء صلاةُ العصر .

قال : فتصرّفت في حوائجي حتىٰ كانت العصر ، ودخلت المسجد ، فوجدته فيه ، فأخذت بيده وأتيتهم به ، فأكلوا وشربوا ، وتساكر القوم وتنادموا .

فأقبلت بَصبْبَص علىٰ مَزبِّد .

فقالت : أبا إسحاق ، كأن في نفسك تشتهي أن أغنّيك الساعة :

لقد حَثوا الجِمال ليهـ ـربوا منّا فلم يئِلوا

فقال زوجته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ .

قال فغنّته ساعة ، ثم مكثت ساعة .

فقالت : أبا إسحاق كأنّ في نفسك تشتهي أن تقوم من مجلسك فتجلس إلى جانبي فتقرصني قَرصَات ، وأغنّيك :

قالت وقد أبثثها وجدي فبحت به [1]
قد كنت قدماً تحب الستر فاستترِ
ألست تبصر من حولي فقلت لها
غطّي هواك وما ألقىٰ على بصري

فقال : امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام ، وما تكسب الأنفس غداً ، وبأيّ أرضٍ تموت .

---

(١) الشطر معلول ، مختل الوزن ، ولم تشر لجنة تحقيق الأغاني إلى ذلك ، ولعلها لم تشعر به .

فغنّته ثم قالت : برح الخفاء أعلم أنّك تشتهي أن تقبّلني شقّ التين ، وأغنّيك هزجًا :

أنا أبصرت بالليل علاماً حَسَنَ الدلِّ
كغصن البان قد أصـ ـبح مسقيًّا من الطلِّ

لم يذكر صانعه ، وهو هزج على ما ذكره .

فقال : أنت نبيّة مرسلة .

فغنّته ثم قالت : أبا إسحاق ، أرأيت أسقطَ من هؤلاء ! يدعونك ويخرجونني إليك ، ولا يشترون ريحاناً بدرهم .

أي أبا إسحاق ، هَلُمّ درهماً نشتري به ريحاناً !

فوثب وصاح : واحرباه ، أي زانية ، أخطأت استك الحفرة ، انقطع عنك الوحي الذي كان يوحىٰ إليك !

وعَطْعَط القوم بها ، وعلموا أنّ حيلتها لم تنفذ عليه ، ثم خرجوا ، فلم يَعُد إليها ، وعاود القوم مجلسهم ، فكان أكثر شغلهم فيه حديث مزبِّد معها ، والضحك منه ..

* * *

قلت :

في هذه الحكاية التافهة ، والنادرة الباردة ، أورد الأصفهاني عبارات صريحة في الكفر البواح ، وجعل المغنية تعرف ما في اللوح المحفوظ ، وتعلم الغيب وماذا تكسب كل نفس غداً ، وغير ذلك من صفات الله تعالى ، ثم جعل المغنية نبيّة مرسلة ، ثم ينقطع الوحي وتعود زانية ، لأنها طلبت درهماً من مزبّد .

ونحن لا نعتب على أبي الفرج الأصفهاني ، لإيراده مثل هذه الحكاية الساقطة ، وإنما نعتب على لجنة تحقيق الأغاني سكوتها وعدم تعليقها على هذا الخبر ولو بصورة يسيرة ، تستنكره وتراعي مشاعر الأمة وعقيدتها ، واحترامها للوحي والنبوة .

وكان العلماء لا يسكتون على مثل هذه الأخبار ، إلاّ أن (العلماء) المعاصرين قد تعلّموا من المستشرقين المحافظة على النص وتحقيقه .

ولو كان فيه ما فيه من بلايا ورزايا .

تفسيرٌ مغلوط

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عبّاد ، عن ابن الكلبي (٢) ، عن خالد بن سعيد ، عن أبي محمد المرهبي ، قال : كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير ، فسمعته يحدّث قال :

« قدم عيينة بن حصن الكوفة ، فأقام بها أياماً .

ثم قال : والله ما لي بأبي ثور عهدٌ منذ قدمنا هذا الغائط ، - يعني عمرو بن معديكرب - ، أسرِج لي ياغلام ، فأسرجَ له فرساً أنثىٰ من خيله ، فلما قرَّبها إليه .

قال له : ويحك أرأيتني ركبت أنثي في الجاهلية ، فأركبها في الإسلام ؟ فأسرجَ له حصاناً ، فركبه ، وأقبل إلى محلة بني زبيد ، فسأل عن محلة عمرو : فأرشد إليها ، فوقف ببابه .

ونادىٰ : أى أبا ثور ، أخرج إلينا .

فخرج إليه مؤتزراً ، كأنما كُسِرَ وحبر .

فقال : أنعم صباحاً أبا مالك .

فقال : أو ليس قد أبدلنا الله تعالىٰ بهذا : السلام عليكم ؟

---

(١) الأغاني ٢١٨/١٥ - ٢٢٠ .

(٢) ذكرناه مع الرواة الكذابين الهالكين .

قال : دعنا مما لا نعرف ، إنزل فإن عندي كبشاً ساحّاً (١) ، فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه ، ثم كشط عنه وعضّاه ، وألقاه في قدرٍ جِماعٍ ، وطبخه حتىٰ إذا أدرك ، جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها ، فأكفأ القِدر عليها ، فقعدا فأكلاه .

ثم قال له : أيّ الشراب أحب إليك ، اللبَن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية ؟

قال : أو ليس قد حرّمها الله جلّ وعزّ علينا في الإسلام ؟

قال : أنت أكبر سنًّا أم أنا ؟

قال : أنت .

قال : فأنت أقدم إسلاماً أم أنا ؟

قال : أنت .

قال : فإنّي قد قرأت ما بين دَفَّتي المصحف ، فوالله ما وجدت لها تحريماً ، إلّا أنه قال : ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ ، فقلنا : لا ، فسكت وسكتنا !

فقال له : أنت أكبر سنًّا وأقدم إسلاماً .

فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ، ويذكران أيام الجاهلية ، حتى أمسيا فلما أراد عيينة الانصراف .

قال عمرو : لئن انصرف أبو مالك بغير حباء ، إنّه لوصمةٌ عليَّ ، فأمر بناقة له أرحبية ، كأنها جبيرة لجين ، فارتحلها وحَمّله عليها ، ثم قال : يا غلام هات المزود .

---

(١) أى سميناً للغاية .

فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم ، فوضعها بين يديه .

فقال : أمّا المال . فوالله لاقبلته .

قال : والله إنه لمن حِباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلم يقبله عيينة وانصرف وهو يقول :

جُزيتَ أبا ثور جزاء كرامة ... منعم الفتى المزدار والمتضيَّفُ
قَرَيت فأكرمت القرىٰ وأفدتنا ... خبيئة علمٍ لم يكن قط يعرف
وقلت حلال أن تدير مدامةً ... كلون انعقاق البرق والليلِ مسدف
وقدّمت فيها حُجَّةً عربيةً ... تردُّ إلى الإنصاف من ليس ينصف
وأنت لنا والله ذي العرش قدوة ... إذا صدّنا عن شربها المتكلّفُ
نقول أبو ثور أحلّ حرامها ... وقول أبي ثور أسدّ وأعرفُ

* * *

قلت :

إن الأصفهاني أراد أن يغالط في تفسير آية تحريم الخمر ، فأورد هذه الحكاية وجعلها على لسان عيينة بن حصن الفزاري ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي .

وأراد أن يشير إلى أن الإسلام لم يهذّب الناس ، وإنما بقي الناس على جاهليتهم ، وأن عيينة لا يريد تحية الإسلام ، وأن عمرو بن معديكرب لا يريد الامتناع عن الخمر .

إن الصحابة جميعاً قالوا : انتهينا يارب ، وذلك في التفاسير كافة فمن أين جاء الأصفهاني بأن عمرو بن معديكرب قال : فسكتنا وسكت . وكيف سكت أهل الكوفة وعلماؤهم على عمرو بن معديكرب وشربه الخمر وكيف كان عمر بن الخطاب يرسل العطاء إلى عمرو ولم يعلم بشربه الخمر ؟ وكيف يجرؤ عمرو بن معديكرب على ذلك .

وهذه الأبيات التي نسبها إلى عيينة ، من أين جاء بها ، ولم يرد في المصادر شيء من شعر عيينة ، أو أنه كان شاعراً ، وإذا كان عمرو قد قدّم حجّة عربية في تحليل شرب الخمر ، فهل كان الذين انتهوا عن شربها حجّتهم أعجمية ؟!

وعتابنا على لجنة تحقيق الأغاني ، أكثر من عتابنا على الأصفهاني .

تحسينُ الفِرار

قال أبو الفرج (١) :

« وهذه القصيدة يقولها حسان بن ثابت ، في وقعة بدر ، يفخر بها ويعيّر الحارث بن هشام ، بفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام ، وفيها يقول :

(صــوت)

إنْ كنتِ كاذبة الذي حَدَّثتني   فنجوتِ منجىٰ الحارث بن هشام
ترك الأحبّة أن يقاتل دونهم   ونجا برأس طمرّةٍ ولجام

– غنّاه يحيىٰ المكّي خفيف ثقيل أوّل بالوسطىٰ ، ولعزّة الميلاء خفيف رمل بالبنصر ، وفيه خفيف ثقيل بالبنصر لموسىٰ بن خارجة الكوفي – . فأجاب الحارث بن هشام ، وهو يومئذ مشرك ، فقال :

(صــوت)

الله يعلم ما تركت قتالهم   حتىٰ رموا فَرَسي بأُشقر مزبد
وعلمت أني إن أقاتِلْ دونهم   أقتلَ ، ولا يضرر عدوّي مشهدي
ففررت منهم والأحبّة دونهم   طمعاً لهم بعقاب يومٍ مُوصَد

– غنّى فيه إبراهيم الموصلي ، خفيف ثقيل دل بالبنصر ، وقيل : بل هو لفليح .

قال أبو الفرج :

أخبرنا محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثني سليمان بن أيوب ، قال : حدثنا محمد بن سلّام ، عن يونس ، قال :

---

(١) الأغاني ١٦٩ ، ١٧٠ .

« لما صار ابن الأشعث إلى (رتبيل) ، تمثل رتبيل بقول حسان بن ثابت في الحارث بن هشام :

ترك الأحبّة أنْ يقاتل دونهم ونجا برأس طمرّة ولجام

فقال له ابن الأشعث :

أوَ ما سمعت ردّ الحارث بن هشام ؟

قال : وما هو ؟

فقال :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتىٰ رَمَوا فَرَسي بأشقر مزبِد
وعلمت أني إنْ أقاتلْ واحداً أقْتَلْ،ولا يضرر عدوي مشهدي
فصدرت عنهم والأحبّة دونهم طمعاً لهم بعقاب يومٍ مُرصَد

فقال رتبيل ، يا معشر العرب ، حسَّنْتُم كلّ شيء ، حتّىٰ حسَّنْتُم الفرار » .

* * *

قلت :

هل من الذوق في شيء أن تغنّى مثل هذه الأبيات ؟ وهي كلها قتال ، وفرار ، وكذب ، ووعيد .

ولم يورد الأصفهاني سنداً ، في رواية الألحان ونسبتها ، ولا ندري من أخبره بذلك ! ثم احتال الأصفهاني ، ووضع سنداً لرواية لئيمة ، ودسيسة عقيمة ، في هزيمة ابن الأشعث ولجوئه إلى رتبيل أو (زنبيل) وهو حاكم الترك في سجستان ، ترىٰ من علّم رتبيل بقول حسان بن ثابت ، حتى يتمثل به ؟ ويعيّر ابن الأشعث بذلك ، ثم يرد عليه ابن الأشعث بقول الحارث .

إن أبا الفرج قد وضع هذه الحكاية الرخيصة ، من أجل العبارة الأخيرة ، وهي أن العرب قد حسّنوا كل شيء حتىٰ حسّنوا الفرار .

ولكنه جاء بها على لسان رتبيل ، وفي صيغة الإعجاب ، حتىٰ يستر على كذبه ووجله وشعوذته .

خَلْطٌ وغَلَط

قال الأصفهاني [١] :

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزّاز ، قال : حدثنا المدائني ، عن مَسلمة بن محارب ، عن عثمان بن عبد الرحمن بن جوشن قال :

« أَذِنَ رسول الله ﷺ يوما للناس ، فأبطأ بإذن أبي سفيان ، فلما دخل .

قال : يارسول الله ، ما أَذِنْتَ لي ، حتىٰ كدت تأذن للحجارة .

فقال له : يا أبا سفيان ، (كل الصيد في جوف الفِرا) » .

* * *

ثم جاء الأصفهاني بسند آخر ، قال :

حدثنا محمد بن العباس ، قال : حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني ، قال : حدثنا عطاء بن مصعب ، قال : حدثني سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن يحيىٰ البرمكيّ ، قال :

« أَذِنَ رسول الله ﷺ ، للناس ، فكان آخِرَ من دَخَل عليه ، أبو سفيان بن حرب .

---

(١) الأغاني ٦/٣٤٤ .

فقال : يارسول الله ، لقد أذِنْتَ للناس قبلي ، حتىٰ ظننتُ أنّ حجارة الخندمة ليؤذن لها قبلي .

فقال رسول الله ﷺ : (أما والله إنّك والناس لَكَما قال الأول : « كل الصيد في جوف الفِرا) .

أيْ كلّ شيءٍ لهؤلاء من المنزلة ، فإنّ لك وحدك ، مثل ما لهم كلهم » .

* * *

قلت :

في هذا الخبر خلط وغلط ، بين أبي سفيان بن حرب ، والد معاوية ، وبين أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وأخيه من الرضاعة .

إن أبا سفيان بن حرب ، استقبله رسول الله ﷺ ، قبيل دخول مكة عند فتحها ، جاء به العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ ، وشفع له عند الرسول ﷺ .

فأسلم ، وكرّمه رسول الله ﷺ ، وأمَرَ أن ينادىٰ في مكة ... ومن دخل دار أبي سفيان ، فهو آمن .

فكيف يحجبه رسول الله ﷺ ، بعد تكريمه ، ذلك التكريم الكبير ؟ والصواب في هذا الخبر ، أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، صار يستقبل الناس بعد فتح مكة ، وكلما أراد أبو سفيان بن الحارث أن يدخل علىٰ رسول الله ﷺ ، وهو ابن عمّه وأخوه من الرضاعة ، كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، يحجبه ، ولا يأذن له .

وكان النبيّ عليه الصلاة والسلام ، يقصد من ذلك ، التلطيف للناس واصطبارهم عند مقابلة النبيّ ﷺ ، كي لا يجزعوا عند تقديم بعضهم علىٰ بعض ، ما دام ابن عمّه وأخوه من الرضاعة محجوباً معهم ، حتىٰ أبقاه الرسول عليه الصلاة والسلام آخر القوم .

وذلك من حسن سياسة النبيّ ﷺ ، ومداراته لبعض الجفاة من غلاظ الطباع .

ولو أن رسول الله ﷺ ، استقبل أهله وزويه أوّل الناس ، عند فتح مكة ، لنزغ الشيطان في قلوب بعض الناس .

وفي سند هذا الخبر شبهة ، وهي أننا لم نجد في المصادر ما يشير إلى أن سفيان بن عيينة ، كان يروي ، عن جعفر بن يحيىٰ البرمكيّ !

وما علاقة جعفر ، ومعرفته بالسيرة النبوية الشريفة ؟

ونحن لم نجد له ذكراً في كل ما يتعلق بأسانيد السيرة وأخبارها . ولم تعلّق لجنة تحقيق الأغاني ، علىٰ هذا الغلط .

وكيف تعلّق عليه ، وهي ترىٰ كتاب الأغاني من أجلّ مصادر تاريخنا وأدبنا ؟

ونرىٰ من المناسب هنا أن نشير إلى أن الدكتور بير محمد حسن الباكستاني ، قد وقع بمثل هذا الوهم أيضاً .

وذلك في الجزء الأول من كتاب (العباب الزاخر واللباب الفاخر) للصاغاني ، وقد طبعه المجمع العلمي العراقي .

فقد أورد الصاغاني هذا الخبر ، وذكر اسم أبي سفيان ، فعلّق المحقق الدكتور بير محمد حسن ، فى الحاشية ، وقال : إنه أبو سفيان بن حرب ، ونبّهنا عليه ، وصوّبناه إلى جانب تعليقه .

* * *

غَلَطٌ فاضِح

ذكر الأصفهاني (١) :

« أن الخليفة هارون الرشيد ، حبس عليّ بن الخليل ، وصالح بن عبد القدوس . واتّهمهما بالزندقة .

ثم إن الرشيد أطلق سراح علي بن الخليل ، وقتل صالح بن عبد القدوس ، واحتجّ عليه في أنّه لا يقبل له توبة بقوله :

والشيخ لا يترك أخلاقه   حتىٰ يوارىٰ في ثرىٰ رمسه

وقال له الرشيد : إنما زعمت ألّا تترك الزندقة ، ولا تحولَ عنها أبداً » .

* * *

قلت :

إن المصادر التاريخية كلها تشير إلى أن الخليفة المهدي ، هو الذي قتل صالح بن عبد القدوس ، وذلك في سنة ١٦٠ هـ .

وأبو الفرج ينفرد بهذا الخبر الذي ينسبه إلى الرشيد ، وهو غلط فاضح ، وكان ينبغي للأستاذ أحمد زكي صفوت محقق الجزء الرابع عشر من كتاب الأغاني أن يعلّق على هذا التاريخ .

فلماذا هذا السكوت ؟

ولماذا هذه الثقة بالأصفهاني ، والتبعية له في أخباره ؟

* * *

---

(١) الأغاني ١٤/١٧٢ .

خَبْطٌ وَخَلْط

قال الأصفهاني (١) :

وأخبرني الصولي ، قال : حدثنا أحمد بن يزيد المهلّبي ، عن أبيه قال :

« كان المتوكل قد ولّى ابنَ الكلبي البريدَ ، وأحلَفَه بالطلاق ، أن لا يكتمه شيئاً من أمر الناس جميعاً ، ولا من أمره هو في نفسه .

فكتب له يوماً أنّ امرأته – أى امرأة ابن الكلبي – خرجت مع حُبَّتِها (٢) في نزهة ، وأنّ حُبَّتَها عربدت عليها ، فجرحتها في صدغها ، فقرأه إبراهيم بن العباس ، على المتوكل .

ثم قال له : يا أمير المؤمنين ، قد صحّف ابن الكلبي ، إنما هو « جرحتها في سرمها » ، فضحك المتوكل .

وقال : صدقت ، ما أظنّ القصة إلا هكذا .

قال أبو الفرج : ولم يكن ابن الكلبي هذا من العرب ، إنما كان أبوه يلقّب : (كلب الرحل) ، فقيل له ، الكلبي » .

* * *

---

(١) الأغاني ١٠/٥٥ ، ٥٦ .

(٢) حُبَّتها : يعني حبيبتها .

قلت :

في هذا الخبر استخفاف بشئون الخلافة ، بحيث يرفع إلى الخليفة بمثل هذه الأخبار التافهة الرقيعة ، والألفاظ غير اللائقة . والكذب واضح ظاهر في هذه الحكاية السخيفة .

وقد فضحه الله تعالىٰ في هذه الكذبة البيضاء .

ذلك أن ابن الكلبي توفي سنة ٢٠٤ ، وقيل ٢٠٦ هـ [١] ، والمتوكل بويع بالخلافة سنة ٢٣٢ هـ ، فكيف ولّاه البريد ؟ وكيف استحلفه أن لا يكتم عنه شيئاً .

وهذا الكذب في الخبر يدل علىٰ الكذب في تلفيق السند .

فهل كان الصولي ، وأحمد بن يزيد المهلّبي ، لا يعرفان تاريخ وفاة ابن الكلبي ؟

وإذا كانا كذلك ، فهل الأصفهاني نفسه لا يعلم تاريخ الوفاة ، ولكنها الجرأة في الكذب والتزوير ، فتأمل ذلك .

ولنفرض أن أحد النساخ أضاف ذلك الخبر في كتاب الأغاني ، فما هو عمل لجنة تحقيق الكتاب ؟

إنها لم تعلّق علىٰ هذا الخبر ، ومخالفته للتاريخ ، مما يدل على جهلها ، أو عدم اهتمامها في التحقيق وهذا أول واجباتها .

* * *

---

(١) ابن النديم (الفهرست) ١/٩٥ ، وتاريخ بغداد للخطيب ٤٥/١٤ ووفيات الأعيان ٨٢/٦ – ٨٤ ، ولسان الميزان ١٩٦/٦ والأعلام ٨٨/٨ ط ٥ وفيه مصادر أخرىٰ .

فَضيحَةٌ أخرىٰ

قال الأصفهاني (١) :

حدثني جعفر بن قدامة قال : حدثنا علي بن يحيىٰ المنجم قال :

« كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، قد قال لجدّه الفضل بن الربيع – لمّا لامه على الغناء – : وحياتك ياسيّدي ، وإلا فعليّ عهد الله وميثاقه ، والعتق والطلاق ، وكلّ يمين يحلف بها حالف ، لازمة لي ، لا غَنّيْتُ أبداً إلا لخليفة أو وليّ عهد ...

قال عبد الله : ولم أزل كلما أراد وليّ عهد أنْ يعلم مَن الخليفة بعد الخليفة الوالي ، أهو أم غيره ؟ دعاني ، فأمرني بأن أغنّي ، فأعرّفه يميني فيستأذن الخليفة في ذلك ، فإن أذِن لي في الغناء ، عَرَف أنه ولي عهد . وإلا عَرَفَ أنّه غيره ، حتى كان آخرهم الواثق في أيام المعتصم ، وسأله أن يأذن لي في الغناء ، فأذن لي ثم دعاني من الغد .

فقال : ما كان غناؤك إلا سبباً لظهور سرّي ، وسرّ الخلفاء قبلي ، ولقد هممت أن آمر بضرب رقبتك ، لا يبلغني أنك امتنعت من الغناء عند أحد فوالله لئن بلغني لأقتلنك ! فأعتق من كنت تملكه يوم حلفت ، وطلّق من كان يوجد عندك من الحرائر ، واستبدل لهن ، وعَلَيّ العوض من ذلك ، وأرحنا من يمينك هذه المشئومة .

فقمت وأنا لا أعقل خوفاً منه ، فأعتقت جميع من كان بقي عندي

---

(١) الأغاني ١٩/٢٢١ .

من مماليكي ، الذين حلفت يومئذ ، وهم في ملكي ، وتصدقت بجملة ، واستفتيت في يميني أبا يوسف القاضي ، حتى خرجت منها ، وغنّيت بعد ذلك إخواني جميعاً ، حتى اشتهر أمري » .

* * *

قلت :

في هذا الخبر عدة مطاعن وشبهات ، أوّلها وأهمّها توهين أمر الخلافة وولاية العهد ، بحيث أن القضاة والأمراء والقادة وأعلام المجتمع ، لا يعرفون ولاية العهد لمن هى ، حتى يغني له هذا المغنّي ، فتأمل ذلك ، هل هي مكرمة أم مهزلة ؟

وفي الخبر إشارة إلى تمسّك هذا المغني بيمينه ، وهو فارسي الأصل من أحفاد الفضل بن الربيع ، وفي هذا تمجيد للفرس وإشادة بالتزامهم وتعهّدهم ، وفي الخبر إشارة إلى دلال هذا المغنّي وتلبية رغباته وتنفيذ يمينه ، بحيث يطلب إليه الخليفة أن يطلق نساءه ويعتق عبيده ، والخليفة يدفع عنه العوض ، فهل يقوم الخليفة بمثل ذلك لو حلف أحد القادة أو القضاة أو الأمراء ؟ فهل يكون المغني أكرم من هؤلاء في نفس الخليفة .

والله سبحانه قد فضح أبا الفرج في كذبه هذا حين ذكر أن المغني استفتى القاضي أبا يوسف وخرج من يمينه ، وأبو يوسف كما هو مشهور ومذكور في المصادر جميعاً أنه توفي سنة ١٨٢ هـ في عهد هارون الرشيد ، وهذه الحادثة حصلت في أيام المعتصم وبينهما أربعون عاماً .

ومن هذا يتضح لنا أن أبا الفرج قد وضع هذه الحكاية ، واختلق لها سنداً ، ونحن لا نصدق، أن جعفر بن قدامة وعلي بن يحيى المنجم ، لا يعرفان تاريخ وفاة القاضي أبي يوسف .

ثم يعيد أبو الفرج الحكاية بصيغة أخرىٰ في ص ٢٢٧ .

ونحن نعاتب لجنة تحقيق (الأغاني) أشدّ العتاب ، على سكوتها وعدم تعليقها على هذا الغلط في التاريخ .

فلماذا هذه الثقة بكتاب الأغاني وأخباره ؟

أم أن اللجنة لا تعرف أيضاً أن أبا يوسف توفي في عهد الرشيد ؟

فكيف يستفتىٰ في عهد المعتصم .

الاستخفاف بالعقائد

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني الحسين بن يحيىٰ ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن بعض أهل المدينة ، قال :

« خرج الغريض مع قوم ، فغناهم هذا الصوت .

جرىٰ ناصح بالود بيني وبينها　　فقرّبني يوم الحصاب إلى قتلي

فاشتد سرور القوم ، وكان معهم غلام أعجبه ، فطلب إليهم أن يكلّموا الغلام في الخلوة معه ساعة ، ففعلوا .

فانطلق مع الغلام ، حتىٰ توارىٰ بصخرة ، فلما قضىٰ حاجته ، أقبل الغلام إلى القوم .

وأقبل الغريض ، يتناول حجراً حجراً ، يقرع به الصخرة ، ففعل ذلك مراراً .

فقالوا له : ما هذا يا غريض ؟

قال : كأنّي بها ، قد جاءت يوم القيامة ، رافعة ذيلها ، تشهد علينا بما كان منا إلى جانبها ، فأردت أن أجرّح شهادتها عليّ ذلك اليوم » .

* * *

(١) الأغاني ٢/٣٦٩ .

قلت :

الخبر قبيح وسخيف ، يحتوي بذاءةً وفحشاً ، وإشاعةً للمنكر ، وفيه طعن بمجتمع المدينة المنورة ، وإشارة إلى انتشار اللواطة فيه كما أن في الخبر استخفافاً بعقائدنا في يوم القيامة ، واستخفافاً بالآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، التي أشارت إلى يوم القيامة ، وما يجري فيه .

وفي الخبر استخفاف بما يقوم به علماء الحديث الشريف من تجريح الرواة وتعديلهم ، واستهزاء بالقضاء ، وتعديل الشهود وتزكيتهم أو تجريحهم ، فكيف يكون الإلحاد ؟

وكيف تكون الإباحية ؟

وما تريد المزدكية والشعوبية والمجوسية أكثر من هذا ؟

كل هذا يورده أبو الفرج على لسان الغريض المغنّي ، ويجعله على لسان نكرة ، وهو بعض أهل المدينة .

أهكذا تكون رواية الأخبار ؟

من هذه الأخبار وأمثالها ، ينكشف لنا سرّ إعجاب المستشرقين بكتاب الأغاني ، والإشادة به ، والاعتماد عليه ، والاستنباط منه ، والاستدلال به على بعض المظاهر الحضارية ، كما يحلو لهم أن يطلقوا عليها هذا التعبير ، لينخدع به الفارغون من أنصاف وأرباع المثقفين .

الاستخفاف بالصّلاة

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني أبو الحسن الأسدي ، قال : حدثني العباس بن ميمون طائع ، قال : حدثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء ، وقد ذكرنا مطيع بن إياس ، فحدّثنا عنه قال :

« اجتمع يحيىٰ بن زياد ، ومطيع بن إياس ، وجميع أصحابهم ، فشربوا أياماً تباعاً .

فقال لهم يحيىٰ ليلةً من الليالي وهم سكارىٰ : ويحكم ما صلّينا منذ ثلاثة أيام ، فقوموا بنا حتىٰ نصلّي .

فقالوا : نعم .

فقام مطيع ، فأذّن وأقام .

ثم قالوا : من يتقدم ؟

فتدافعوا ذلك (٢) .

فقال مطيع للمغنّية : تقدّمي فصلّي بنا .

فتقدّمت تصلّي بهم ، عليها غلالة رقيقة ، مطيّبة ، بلا سراويل ، فلما سجدت ، بان فرجها ، فوثب مطيع وهي ساجدة ، فكشف عنه ، وقبّله وقطع صلاته ، ثم قال :

---

(١) الأغاني ١٣/٣٢٦ .

(٢) أي كل واحد طلب من غيره أن يتقدم إماماً في الصلاة .

ولما بدا فرجها جاثماً كرأس حليق ولم يعتمدْ
سجدت إليه وقبّلتـه كما يفعل الساجد المجتهد

فقطعوا صلاتهم ، وضحكوا ، ثم عادوا إلى شربهم .

* * *

قلت :

يبدو أن أبا الفرج كان مجوسياً من عبّاد النار والفروج ، فوضع هذه الحكاية ليجعل من العرب والمسلمين ، من يسجد للفرج أيضاً . فضلاً عمّا في الخبر من الاستخفاف بالصلاة ، والاستهزاء بها ، وهي ركن من أركان الإسلام

يصور لنا أبو الفرج ، أن المجّان والسكارىٰ يقومون إلى صلاتهم ، وهم سكارىٰ ، ويضحكون ، ويستهزئون بالعبادة والصلاة .

وأبو الفرج الأصفهاني يسند روايته هذه إلى بعض الشيوخ من ظرفاء البصرة ، تعميةً وتهرّباً ، وإن كان الأصفهاني غير عاجز عن تلفيق ما يشاء من الأسانيد .

ولم يكتف أبو الفرج بما أساء إلى أعلامنا ورجالنا ، حتى انتقل إلى عقائدنا وعبادات ديننا ، باسم الظرف وأخبار أهل اللهو والبطالة ، أو الزنادقة المنحرفين .

الاستِهزاء بالصَّلاة

قال الأصفهاني [1] :

أخبرني الحسين بن يحيىٰ ، عن حماد ، عن أبيه ، قال :

حدثني حمزة النوفلي ، قال :

« صلّي الدّلال المخنّث إلى جانبي في المسجد ، فضرط ضرطةً هائلة سمعها من في المسجد ، فرفعنا رءوسنا وهو ساجد ، وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صوته : سبّح لك أعلاي وأسفلي .

فلم يبقَ في المسجد أحدٌ ، إلا فُتِنَ وقَطَعَ صلاته بالضحك » .

* * *

قلت :

أليس في هذا الخبر استهزاء بالصلاة ؟ وبذكر الله في مسجد رسول الله ﷺ ؟

لماذا لم يرو لنا الأصفهاني مثل هذه الأخبار في معُابد النار عند المجوس ؟

ألم يكن في المجوس من أمثال الدّلال المخنث ؟ أم كان ذلك خاصاً بالمسلمين في مسجد من أعاظم مساجدهم ؟

ولماذا ينهى الأصفهاني هذا الخبر بالضحك ؟ ولم يذكر لنا أن أحداً احتج أو أنكر على المخنث فعله ؟

وماذا تريد الشعوبية غير هذا ؟

* * *

---

(١) الأغاني ٢٧٧/٤ .

العِبَادة والغِنَاء

قال الأصفهاني [١] :

قال حماد : حدثني أبي ، قال : حدثني أبو الحسن المدائني قال : « قال معبد : أتيت أبا السائب المخزومي [٢] - وكان يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة - فلمّا رآني تجوّز [٣] .

وقال : ما معك من مبكياتِ ابن سريج ؟

قلت : قوله :

وهنّ بالبيت العتيق لبانة والبيت يعرفهنّ لو يتكلّم

(... الأبيات) .

فقال لي : غَنّه .

فغنّيته ، ثم قام يصلّي ، فأطال ، ثم تجوّز إليّ .

فقال : ما معك من مطرباته وشجياته ؟

فقلت : قوله :

لسنا نبالي حين ندرك حاجة ما بات أو ظلّ المطيّ معقّلا

فقال لي : غَنّهِ .

فغنيته : ثم صلّى وتجوّز إليّ .

وقال : ما معك من مرقصاته ؟

---

(١) الأغاني ٢٧٧/١ .

(٢) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٥٢٧/٤ وقال : مجهول .

(٣) أي خفّف صلاته .

فقلت :

فلم أر كالتجمير[١] منظر ناظرٍ   ولا كليالي الحجّ أفتَنَّ ذا هوىٰ

فقال : كما أنت ، حتىٰ أتحرّم لهذا بركعتين[٢] .

* * *

قلتُ :

إن أبا السائب المخزوميّ هذا ، ذكره الذهبي ، وقال عنه : مجهول وأبو الفرج يذكره وأنّه يصلّي في اليوم ألف ركعة .

والذهبي أوثق من الأصفهاني .

والأصفهاني جاءنا بهذا الخبر ، الذي جمع فيه أبو السائب بين الصلاة والغناء ، يصلّي ويطيل صلاته ، ثم يخففها ويستمع إلى المغني ، ثم يصلّي ثم يستمع إلى المغنّي .

فهل سمعتم مثل هذا السخف والهراء ، وتهوين أمر الصلاة ؟ والاستخفاف بالعبادة ؟

ترىٰ لماذا لم ينقل الأصفهاني شيئاً عن أعلام المجوس ؟ وعبّادهم وزهّادهم ؟

فلعل هذه الحكاية كانت عندهم ، ونقلها أبو الفرج إلينا ، وألقىٰ بهذه البلية علينا ، ومن بلايا هذا الخبر اللئيم ، سنده المشبوه .

فأبو الحسن المدائني[٣] كان من الثقات ، ومن شيوخ الإمام أحمد

---

(١) التجمير : رمي الجمرات أيام الحج فى منىٰ .

(٢) أتحرّم : أصلي في الحرم .

(٣) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٠٩/٧ .

ابن حنبل . فهل كان المدائني يروي عن معبد المغني مثل هذا الخبر التافه ؟ ثم يحدث به إسحاق الموصلي المغني ؟

لو كان المدائني كذلك ، لما روىٰ عنه الإمام أحمد ، ولا كان يوثقه ويأخذ عنه .

فتأمل هذا الدس والتشويه .

مثالبَ أم مَناقب !

قال الأصفهاني (١) :

قال إسحاق [الموصلي] وحدثني مصعب الزبيريّ قال :

« أنا أعلم خلق الله بالسبب الذي من أجله خُصِيَ الدَّلّال . وذلك أنه كان القادم يقدم المدينة ، فيسأل عن المرأة يتزوجها ، فيُدَلّ على الدلال ، فإذا جاءه ، قال له : صف لي مَن تعرف من النساء للتزويج ، فلا يزال يصف له واحدة بعد واحدة ، حتىٰ ينتهي إلى ما يوافق هواه .

فيقول : كيف لي بهذه ؟

فيقول : مهرها كذا وكذا .

فإذا رضي بذلك ، أتاها الدّلال .

فقال لها : إنّي قد أصبت لكِ رجلاً من حاله وقصّته وهيأته ويساره ، ولا عهد له بالنساء ، وإنما قدم بلدنا آنفاً . فلا يزال يشوّقها ويحرّكها حتىٰ تطيعه .

فيأتي الرجلَ فيعلمه أنّه قد أحكم له ما أراد ، فإذا سُوِّيَ الأمر ، وتزوَّجَتْه المرأة .

قال لها : قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك ، والليلة موعده ، وأنتِ مغتلمة شبقة جامّة (٢) ، فساعة يدخل عليك ، قد دَفَقْتِ عليه مثل سيل العرم ، فيقذرك ولا يعاودك ، وتكونين من أشأم الناس علىٰ نفسك وغيرك .

---

(١) الأغاني ٢٧١/٤ .

(٢) الفرس الجامة : التي تركت الضراب فتجمّع ماؤها .

فتقول : فكيف أصنع ؟

فيقول : أنتِ أعلم بدواء حِرِكِ ودائه ، وما يسكّن غلمتك .

فتقول : أنت أعرف .

فيقول : ما أجد له شيئاً ، أشفىٰ من النيك .

ويقول لها : إن لم تخافي الفضيحة ، فابعثي إلى بعض الزنوج ، حتىٰ يقضي بعض وطرك ، ويكفّ عادية حِرِك .

فتقول له : ويلك ! ولا كلّ هذا !

فلا تزال المحاورة بينهما . حتى يقول لها : فكما جاء عليّ أقوم ، فأُخَفّفك وأنا والله إلى التخفيف أحوج .

فتفرح المرأة ، وتقول : هذا أمر مستور ، فينيكها ، حتى إذا قضىٰ لذته منها قال لها : أمّا أنتِ فقد استرحتِ وأمنتِ العيب ، وبقيت أنا ثم يجيء إلى الزوج .

فيقول له : قد واعدتها أن تدخل عليك الليلة ، وأنت رجل عزب ونساء المدينة خاصة يردن المطاولة فى الجماع ، وكأني بك كما تدخله عليها تفرغ وتقوم ، فتبغضك وتمقتك ولا تعاودك بعدها ، ولو أعطيتها الدنيا ، ولا تنظر في وجهك بعدها .

فلا يزال في مثل هذا القول ، حتىٰ يعلم أنّه قد هاجت شهوته .

فيقول له : كيف أعمل ؟

قال : تطلب زنجية فتنيكها مرتين أو ثلاثاً ، حتىٰ تسكن غلمتك ، فإذا دخلت الليلة إلى أهلك لم تجد أمرك إلّا جميلاً .

فيقول له ذاك : أعوذ بالله أزِناً وزنجيّة ! ؟ لا والله لا أفعل فإذا أكثر محاورته .

قال له : فكما جاء عليَّ ، قم فنكني أنا ، حتىٰ تسكن غلمتك وشبقك . فيفرح فينيكه مرةً أو مرتين .

فيقول له : قد استوىٰ أمرك الآن ، وطابت نفسك ، وتدخل علىٰ زوجتك فتنيكها نيكاً يملؤها سروراً ولذةً .

فينيك المرأة قبل زوجها ، وينيكه الرجل قبل امرأته ، فكان ذلك دأبه ، إلى أن بلغ خبرُه سليمانَ بن عبد الملك ، وكان غيوراً شديد الغيرة فكتب بأن يُخصىٰ هو وسائر المخنثين بالمدينة ومكة ، وقال : إن هؤلاء يدخلون علىٰ نساء قريش ويفسدونهن .

فورد الكتاب على ابن حَزم [أمير المدينة] فخصاهم » .

قال أبو الفرج : هذه رواية إسحاق عن الزبيري ، والسبب في هذا أيضاً مختلف فيه ، وليس كل الرواة يروون ذلك كما رواه مصعب .

* * *

قلت :

لقد علقت لجنة تحقيق الأغاني على هذا الخبر في الحاشية بقولها :

« اشتمل هذا الخبر علىٰ ألفاظ صريحة في الفحش ، وقد آثرنا إبقاءه كما هو احتفاظاً بكيان الأغاني الذي يعتبر من أجل مصادر التاريخ والأدب العربي » .

ما شاء الله ! إن اللجنة المحترمة قد حملها الحياء ، فاضطرت إلى هذا التعليق ، وكأن الأخبار الأخرىٰ ليس فيها صراحة في الفحش !

واللجنة لم تمحص الخبر ، ولم تقف على مقاصده ومراميه ، ولم تناقشه ، ولم تشر إلى صحته أو احتمال وضعه والكذب فيه ، ولم تنزه مجتمع المدينة عن مثل هذه الأخبار الساقطة التافهة ، التي لم نسمع بمثلها في أخسّ المجتمعات وأشدها انحطاطاً وتحللاً .

ولماذا كل هذا الاعتداد ، والأمانة في تثبيت النص ، والحرص على الاحتفاظ بكيان الأغاني ؟

هل في هذا النصّ ما يشرف العرب ؟ أم فيه ما يعيبهم ويشينهم ؟ ويحطّ من قدرهم ؟

ومن السهام السامة في هذا الخبر ، ما نسبه إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك من قوله : إنّ هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويفسدونهن » ، فيوحي إلى القارىء أن الخليفة حريص على نقاء نساء قريش ، وليس له شأن في نساء سائر المسلمين .

وفي الخبر أيضاً أن الخليفة اكتفى بإخصاء الدّلال وأمثاله ، فهل مثل هذه المخازي التى ذكرها الأصفهاني تكون عقوبتها الإخصاء ؟

ثم يستدرك الأصفهاني في آخر الخبر ، ويشير إلى أن هذه هي رواية إسحاق عن الزبيري في سبب إخصاء الدلال ، وهناك روايات أخرى لا تتفق مع رواية مصعب الزبيري .

وقبل هذا الخبر يقول الأصفهاني :

قال إسحاق : وحدثني أيوب بن عباية ، قال :

« شهدت أهل المدينة ، إذا ذكروا الدلّال وأحاديثه ، طوّلوا رقابهم ، وفخروا به ، فعلمت أنّ ذلك لفضيلة كانت فيه » [1] .

---

(١) الأغاني ٤/٢٧٠ .

وهذه طعنة أخرىٰ يوجهها الأصفهاني إلى أهل المدينة المنورة ، وينسبها إلى أيوب بن عباية ، عن طريق إسحاق ، ثم يذكر لنا أحوال هذا الفاسد الشقي ، فهل هذه مثالب أم مناقب ؟

الطعْن في أعـلامنا

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني عيسىٰ بن الحسين الورّاق ، قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدثنا محمد بن الحكم ، عن عوانة ، قال :

« كان أبو الأسود [الدؤلي] يجلس إلى فِناء امرأة بالبصرة ، فيتحدث إليها ، وكانت برزة جميلة .

فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك في أن أتزوّجك ؟ ، فإنّي صناعُ الكف ، حسنة التدبير ، قانعة بالميسور .

قال : نعم .

فجمعت أهلها فتزوّجته ، فوجد عندها خلاف ما قدّره ، وأسرعت في ماله ، ومدّت يدها إلى خيانته ، وأفشت سرّه .

فغدا علىٰ من كان حضر تزويجه إيّاها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا فقال لهم :

أريتُ امرأً كنت لم أبلُهُ ... أتاني فقال اتخذني خليلا
فخاللتـه ثم أكرمتــه ... فلم أستفد من لدنه فتيلا
وألفيتُه حين جرَّبته ... كذوبَ الحديث ، سروقاً بخيلا
فذكّرتــه ثم عاتبْتــه ... عتاباً رفيقًا ، وقوْلاً جميلا
فألفَيتُه غير مستعتب ... ولا ذاكر الله إلا قليلا
ألست حقيقاً بتوديعه ... وإتباع ذلك صرْماً طويلا

---

(١) الأغاني ١٢/٣١٠ ، ٣١١ .

فقالوا : بلىٰ والله يا أبا الأسود .

قال : تلك صاحبتكم ، وقد طلّقتُها لكم ، وأنا أحبُّ أن أستر ما أنكرت من أمرها .

فانصرفتْ معهم » .

* * *

قلت :

المعروف عن أبي الأسود الدؤلي ، أنّه من شعراء الحكمة ، والأبيات التي أوردها الأصفهاني ، من أبيات الحكمة المشهورة .

فكيف صرفها الأصفهاني من الحكمة ، إلى مسألة شخصية بين أبي الأسود وامرأته .

وأبو الأسود كان أميراً على البصرة ، فكيف تخطبه هذه المرأة وتخدعه ؟ وكيف يختار الإمام علي رضي الله عنه أميراً ، بمثل هذه السذاجة ؟ ولكن الخيال المريض ، والضمير المريض ، والقلم المريض ، يفعل ما يحلو له ما دام الهدم أسهلَ وأيسرَ من البناء .

وكأن للأصفهاني عداوة قديمة مع أبي الأسود ، فهو قد شهّر به كثيراً في الأغاني ، وقد مرّ بك كيف ذكر عن أبي الأسود ، أنه ضرط في مجلس معاوية وستمر بك أخبار أخرىٰ في التشهير بهذا الرجل الكريم .

الطّعن علىٰ الإمام الأعظم

أبي حنيفة النعمان بن ثابت

قال الأصفهاني (١) :

« نسخت من كتاب عبد الله بن المعتز : حدثني العجلي ، قال : حدثني أبو دهمان ، قال : كان أبو حنيفة الفقيه صديقاً لحماد عجرد ، فنسك أبو حنيفة ، وطلب الفقه ، فبلغ فيه ما بلغ ، ورفَضَ حمّاداً وبسط لسانه فيه ، فجعل حماد يلاطفه ، حتىٰ يكفّ عن ذكره ، وأبو حنيفة يذكره ، فكتب إليه حماد بهذه الأبيات :

إنْ كان نسكك لا يتمّ — بغير شتمي وانتقاصي
أوْ لم تكن إلا به — ترجو النجاة من القصاص
فاقعد وقم بي كيف شئت — مع الأداني والأقاصي
فلطالما زكيتني — وأنا المقيم على المعاصي
أيّام تأخذها وتعطي — في أباريق الرصاص

قال : فأمسك أبو حنيفة رحمه الله ، بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه » .

* * *

قلت :

هذا دسّ وافتراء من الأصفهاني المجوسي على الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه .

---

(١) الأغاني ٣٣٣/١٤ .

إذ لم يُعرف عن الإمام أيُّ شيء عن صلته بحماد عجرد ، وأمثاله من المشبوهين والمنحرفين في عقائدهم وسلوكهم ، ولم تشر مصادر التاريخ إلى مثل هذه الصلة والعلاقة لا من قريب ولا من بعيد .

وأكثر من ذلك حتىٰ خصومه من علماء الكلام والفقه ورجال المذاهب الأخرىٰ وبخاصة المتعصبون منهم ، لم يشر أي واحد من أولئك إلى هذه الحكاية أو ما يماثلها .

ولكن الأصفهاني أسود القلب مولع بالدس والطعن علىٰ أعلام هذه الأمة المجيدة ، فلم يدع فيها علماً بارزاً ، إلّا وجّه إليه ما يشينه ، ونسب إليه ما يهوّن ويوهّن أمره بين الناس ...

فكيف يصنع أبو الفرج بمثل هذه الفرية والكذبة البيضاء ؟

هل ينسبها إلى خصوم الإمام ؟ إنه عرف حتى خصوم الإمام لا يرضون بذلك . لذا نراه يصدرها بقوله : نسخت من كتاب عبد الله بن المعتز .. لماذا لم يسمّ لنا الكتاب ؟ وأيّ كتاب من كتب ابن المعتز ، هذا الذي نسخ منه هذه الحكاية .

والحكاية نفسها يعيدها الأصفهاني بسند آخر ، عن محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن النضر بن حديد قال : « كان حمّاد عجرد صديقاً ليحيىٰ بن زياد ، وكانا يتنادمان ، ويجتمعان علىٰ ما يجتمع عليه مثلهما ، ثم إن يحيىٰ بن زياد أظهر تورّعاً وقراءة ونزوعاً عمّا كان عليه ، وهجر حماداً وأشباهه ، فكان إذا ذُكِرَ عنده ثَلَبه ، وذكر تهتكه ومجونه ، فبلغ ذلك حمّاداً ، فكتب إليه :

هل تذكرَنْ دُلَجي إليكَ على المضمَّرةِ القلاصِ
(.. الأبيات) (١) .

فاتّصل هذا الشعر بيحيىٰ بن زياد فنسب حمّاداً إلى الزندقة ، ورماه بالخروج عن الإسلام ... » .

* * *

ونحن هنا نرىٰ الأصفهاني يشير إلى أنَّ يحيىٰ بن زياد ، هو الذي رمىٰ حماداً بالزندقة ، وكأنه يدافع عن حمّاد ، ويبرئه من هذه التهمة وشعره مليء بأفكار الزنادقة والملحدين والمنحرفين .

ويريد الأصفهاني أن يوحي إلى القارىء بأنّ هذه التهم كانت تُلقىٰ جزافاً وكل من يرد أن ينال من خصمه أو يصبه بأذىٰ فالسبيل ميسرة إلى ذلك ، وما عليه إلّا أن يتّهم خصمه بالزندقة والخروج من الإسلام .

ونعود لنقول ثانية : إن هذه الحكاية يكون وقوعها ممكناً بين يحيىٰ بن زياد ، وحماد عجرد ، لأنهما سواء في نشأتيهما وتبذلّهما في الشعر والسلوك والانحراف . فلماذا حوّلها الأصفهاني ؟ وجعلها بين الإمام الأعظم وحماد عجرد ؟

هذا هو شأن الشعوبيين الحاقدين ، أعداء هذه الأمة يتعمدون الدسّ والافتراء ، وتسويد صحائف التاريخ والأدب ، بمثل هذه السخائم . فهل كان كتاب الأغاني كنزاً من كنوز الأدب العربي ؟

وهل هو من أجلّ مصادر التاريخ والأدب العربي ؟ كما تدعي لجنة تحقيق الأغاني .

يجيء (طه حسين) فيعيد الحكاية (٢) ويرويها كما رواها

---

(١) ١٤/٣٣٤ .

(٢) حديث الأربعاء ٢/٣٦ .

الأصفهاني بين الإمام الأعظم وحماد عجرد ، ثم يسكت عن الرواية الثانية ولم يشر إلى وقوعها بين يحيىٰ بن زياد وحماد عجرد .

وبهذا يكون أبو الفرج الأصفهاني أنظف قلباً من طه حسين ، لأنه رواها ذات شقين ، ورمىٰ بها شخصين ، أحدهما صالح والآخر طالح ، ولكن طه حسين اختصها بالصالح .

وطه حسين من عادته ومنهجه أنه يشك كثيراً ويشكك كثيراً ، وبخاصة في أخبار السيرة النبوية الشريفة ، والفتوح والمغازي ، والشعر الجاهلي ، بل إنه تطاول وتجرّأ في محاولة عمياء لمناقشة أخبار القرآن الكريم ، كل ذلك باسم العلم والتحليل العلمي ، كأن العلم لا يصح إلّا بالطعن والشك في تراثنا ، ولكنه هنا يأخذ هذا الخبر عن الأصفهاني بثقة كاملة تامة ، دون أي نقاش أو شك ، لماذا ؟

علم ذلك لدىٰ دوائر الاستشراق !

الاستخفاف بالفقهاء

قال الأصفهاني [1] :

أخبرني الحَرَمي ، قال : حدثنا الزبير عن عمّه ، قال :

« .. كان بالكوفةِ رجل من الفقهاء ، تجتمع إليه الناس ، فيتذاكرون العلم ، فذكِرَ شعر عمر بن أبي ربيعة ، فهجَّنه .

فقالوا له : بمن ترضىٰ ؟

ومرّ بهم حمّاد الراوية .

فقال : قد رضيت بهذا .

فقالوا له : ما تقول فيمن يزعم أن عمر بن أبي ربيعة لم يحسن شيئاً ؟

فقال : أين هذا ؟ اذهبوا بنا إليه .

قالوا : تصنع به ماذا ؟

قال : تنزوا علىٰ أمّه لعلها تأتي بمن هو أمثل من عمر » .

* * *

قلت :

ما هي الفائدة في هذا الخبر للأدب العربي وتاريخه ؟

وهل مثل هذا الخبر يستحق سنداً ؟

أم أن الأصفهاني يريد أن يستخف بالفقهاء ومجالسهم وحلقاتهم ، فيضع مثل هذه الحكايات التافهة الساقطة ، ويجعلها على لسان رواة الأدب والشعر ، لتلقي ظلاً كئيباً في نفوس القراء والسامعين ، ولتخفّ أوزان رجالنا وأقدارهم في نفوسنا ونفوس الأجيال المقبلة .

شيخ الإسلام يَرقص

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني الحسن بن علي ، قال حدثنا فضل اليزيدي ، عن إسحاق :

« أن ابن سريج كان جالساً ، فمرّ به عطاء (٢) وابن جريج (٣) . فحلف عليهما بالطلاق ، أن يغنّيهما ، علىٰ أنّهما إن نهياه عن الغناء بعد أن يسمعا منه تَركَهَ ، فوقفا له ، وغنّاهما :

إخوتي لا تبعدوا أبداً وابلىٰ والله قد بعدوا

فغشي علىٰ ابن جريج ، وقام عطاء يرقص » .

* * *

قلت :

ما هذه الجرأة في الافتراء والكذب ؟

هل يجرؤ أحد من المغنين من عصرنا هذا أن يوقف شخصاً من غمار الناس ، ويحلف عليه بالطلاق أن يسمع غناءه ؟

---

(١) الأغاني ٣١٦/١ .

(٢) عطاء بن أبي رباح من سادات التابعين ، كان من كبار علماء مكة المكرمة وإليه الفتوى عند علمائها ، وقد روىٰ عنه الثقات أمثال الأئمة أبي حنيفة وجعفر الصادق والأوزاعي وغيرهم ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٩٩/٧ – ٢٠٣ .

(٣) عبد العزيز بن جريج من كبار علماء مكة ، وهو من أقران عطاء ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٣/٦ .

فضلاً عن أن يوقف عالمين محدّثين كبيرين ، وفي مكة المكرمة ثم تكون النتيجة ، أن يُغشىٰ على ابن جريج من شدة الطرب ، ثم يقوم عطاء فيرقص !!

لا أظن ذلك يتم إلا في أخيلة الحشاشين وهواجسهم .

ذكر الإمام الذهبي :

« قال الأصمعي : دخل عطاء بن أبي رباح علىٰ عبد الملك [بن مروان] وهو جالس على السرير ، وحوله الأشراف ، وذلك بمكة فى وقت حجّهِ ، في خلافته ، فلما بَصرَ به عبد الملك ، قام فسلّم عليه وأجلسه معه على السرير ، وقعد بين يديه .

وقال : يا أبا محمد ، حاجتك ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله في حرم الله ، وحرم رسوله ، فتعاهَدْهُ بالعمارة ، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار ، فإنك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في أهل الثغور ، فإنّهم حصن المسلمين ، وتفقَّد أمور المسلمين ، فإنّك وحدَك المسئول عنهم ، واتق الله فيمن علىٰ بابك ، فلا تغفل عنهم ، ولا تغلق دونهم بابك .

فقال له : أفْعَل .

ثم نهض وقام ، فقبض عليه عبد الملك .

وقال : يا أبا محمد ، إنما سألتنا حوائج غيرك ، وقد قضيناها ، فما حاجتك ؟

قال : ما لي إلىٰ مخلوق حاجة .

ثم خرج .

فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف ، هذا وأبيك السؤدد [١] .

* * *

وكان عطاء يقول في وعظه :

« إنّ من قبلكم كانوا يَعُدُّون فضولَ الكلام ما عدا كتاب الله ، أو أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو أن تنطق في معيشتك التي لابد لك منها ، أتنكرون أنّ عليكم حافظين ، كراماً كاتبين ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .

أما يستحي أحدكم لو نُشِرت صحيفته ، التي أملىٰ صدر نهاره ، وليس فيها شيء من أمر آخرته ؟

* * *

وقد استفاضت الكتب والمصادر بأخبار عطاء بن أبي رباح ، وعلمه وفضله وزهده ، وهيبته لدىٰ الخلفاء والأمراء والناس عامة ، فكيف يرقص عند استماع الغناء في الطريق .

أما استحىٰ الأصفهاني عندما ذكر هذه الحكاية ؟ ويجعل لها سنداً أيضاً ؟!

وهنـاك من يشير إلى أن الأمـراء والخلفـاء ، كانوا يحْيَـون حيـاتين ، واحدة للناس ، والأخرىٰ لهم ، ولأصحـابهم يفعلـون فيها أمـوراً غريبـة ، فمـا بال عطاء إذَن يرقص في الشارع ؟

هلّا رقَص في بيته ، كما يفعل عِلْيةُ القوم ؟

حسب زعم الشعوبيين !!

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي /٨٤ ، ٨٦ .

الطعنُ عَلىٰ العُلماء

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني ، قال : حدثنا يوسف بن إبراهيم ، قال : حدَّثَ إسحاقُ بن إبراهيم الموصليُّ أبا إسحاق إبراهيمَ بن المهديّ ، وأنا حاضر ، أنّ يحيىٰ المكيّ حدَّثَه :

أنّ عطاء بن أبي رباح ، لقي ابن سريج [المغني] بذي طوىٰ ، وعليه ثياب مصبّغة ، وفي يده جرادة مشدودة الرِّجل بخيط ، يطيّرها ويجذبها به كلما تحلّقت .

فقال له عطاء : يا فتّان ، ألا تكفّ عما أنت عليه ؟ كفىٰ الله مؤونتك .

فقال ابن سريج : وما علىٰ الناس من تلويني ثيابي ، ولعبي بجرادتي ؟

فقال له : تفتنهم أغانيك الخبيثة .

فقال له ابن سريج : سألتك بحقّ من تبعته من أصحاب رسول الله ﷺ ، وبحقّ رسول الله ﷺ ، إلا ما سمعت منّي بيتا من الشعر ، فإن سمعتَ منكراً ، أمرتني بالإمساك عما أنا عليه ، وأنا أقسم بالله ، وبحق هذه البنيّة ، لئن أمرتني بعد استماعك مني بالإمساك عمّا أنا عليه ، لأفعلنّ ذلك .

فأطمع ذلك عطاءً في ابن سريج ، وقال : قل :

---

(١) الأغاني ٢٥٦/١ ، ٢٥٧ .

فاندفع يغني بشعر جرير :

إن الذين غدوا بلبّك غادروا وشلاً بعينك لا يزال مَعينا
غيّضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوىٰ ولقينا

قال : فلما سمعه عطاء ، اضطرب اضطراباً شديداً ، ودَخَلَته أريحية ، فحَلَف ألّا يكلّم أحداً بقيّة يومه إلّا بهذا الشعر ..

وصار إلىٰ مكانه من المسجد الحرام ، فكان كلّ من يأتيه سائلاً عن حلال أو حرام ، أو خبر من الأخبار ، لا يجيبه إلّا أن يضرب بإحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ ، وينشد هذا الشعر ، حتىٰ صلّى المغرب . ولم يعاود ابن سريج بعد هذا ، ولا تعرّض له » .

* * *

قلت :

إن عطاء بن أبي رباح ، كان من سادات التابعين ، فقهاً وعلماً ، وورعاً وفضلاً وزهداً ، وكانت إليه الفتوىٰ عند علماء مكة .

وقد روىٰ عنه أفاضل العلماء وكبار الفقهاء ، ومنهم الأئمة أبو حنيفة وجعفر الصادق والأوزاعي ، وكان العلماء والأمراء والوزراء والولاة يهابونه ، ويصدرون عن رأيه (١) .

فتأمل هذه الحكاية الشنيعة ، وكيف جعل الأصفهاني عطاءً ينقاد إلىٰ ابن سريج ويستمع له ويتأثر به ، وكيف أنه حلف أن لا يكلم أحداً ذلك اليوم إلا بذلك الشعر الذي سمعه من ابن سريج .

وكيف جعل الأصفهاني عطاءً لم يعاود ابن سريج ولا تعرّض له بعد

---

(١) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٧/١٩٩ - ٢٠٣ .

ذلك ، كأن القرآن الكريم والحديث الشريف ، لم يؤثرا في عطاء أمراً بمعروف ونهياً عن منكر ، وكلام ابن سريج أثّر فيه ، فلم يعترض على منكر يراه منه . ولم يبق لأبي الفرج إلّا أن يجعل عطاءً من أتباع ابن سريج المخنّث .

النعمان بن بشير الأنصاري

وعزّة الميلاء

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا عمر بن شبّة ، قال : أخبرنا الأصمعي ، قال : حدثني شيخ قدم من المدينة ، وأخبرني إسماعيل ابن يونس ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو غسان عن أبي السائب المخزوميّ (٢) ، وأخبرني الحسين بن يحيىٰ ، عن حماد عن أبيه ، قال : ذُكِرَ لي عن جعفر بن محرز السدوسيّ قالوا :

« دخل النعمان بن بشير الأنصاري (٣) المدينة ، أيام يزيد ابن معاوية ، وابن الزبير ، فقال : والله لقد أخفقَتْ (٤) أذناي من الغناء ، فأسمعوني ، فقيل له : لو وجهت إلى عزة [الميلاء] ، فإنّها من قد عَرفت !

قال : إي وربّ البيت ، إنها لممن يزيد النفس طيباً ، والعقل شحذاً ، ابعثوا إليها عن رسالتي ، فإنْ أَبَت صرنا إليها .

فقال له بعض القوم : إنّ النقلة تشتد عليها ، لثقل بدنها ، وما بالمدينة دابة تحملها .

---

(١) الأغاني ١٣/٣ - ١٨ .

(٢) وصفه أبو الفرج بالزهد والعبادة ، وقال عنه الذهبي (مجهول) .

(٣) كان أميراً على الكوفة لمعاوية ، ثم علىٰ حمص ، ثم تولىٰ قضاء دمشق انظر ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠/٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٤) أخفقت أذناه ، يعني أوحشت لبعد عهده بالغناء .

فقال النعمان : وأين النجائب عليها الهوادج .

فوَجَّهَ بنجيب . فذكَرَتْ علّة ، فلما عاد الرسول إلى النعمان .

قال لجليسه : أنت كنت أخبرَ بها ، قوموا بنا .

فقام هو مع بعض خواصّ أصحابه ، حتىٰ طرقوها ، فأذنت وأكرمت ، واعتذرت ، فقبل النعمان عذرها .

وقال : غنّيني ، فغنَّته .

أَجَدَّ بعمرة غُنيانُها فتحجر أم شأننا شأنُها

فأشير إليها : أنها أُمُّه ، فسكتت .

فقال : غنّيني ، فوالله ما ذكرت إلا كرماً وطيباً ، لا تغنّيني سائر اليوم غيره .

فلم تزل تغنّيه هذا اللحن فقط ، حتىٰ انصرف » .

* * *

قلت :

إن مَن له أدنى معرفة بالتاريخ ، يدرك أن الكوفة والمدينة كانتا في أيام يزيد بن معاوية وأيام ابن الزبير ، في وضع خاص ، لا يتناسب مع ما ذكره الأصفهاني عن النعمان بن بشير ، وهو أمير الكوفة سابقاً جاء ليبحث عن عزة الميلاء ويستمع إلى غنائها ، والمدينة يموج أهلها بعضهم في بعض .

ولكن أبا الفرج لا يستحي حين يذكر في أول الحكاية ذلك السند الطويل وفيه مجاهيل ، مثل : حدثني شيخ قدم من المدينة ، ومثل : ذُكِرَ لي .. وأبو الفرج في أخباره يحاول أن يشيد بمعرفة المغنين وسعة ثقافتهم وبعد

مداركهم ، وحسن تلطّفهم ، فكيف يذكر هنا أنَّ عزة الميلاء لم تعرف عمرة بنت رواحة ، وهي أم النعمان ، ومن أهل المدينة وعزة من المدينة أيضاً ؟ والنعمان رجل معروف ومن بيت معروف أبوه الصحابي بشير بن سعد الأنصاري ، وأمه عمرة أخت عبد الله بن رواحة الأنصاري ، فتأمل . ولا يكتفي الأصفهاني ، بهذه الحكاية ، حتىٰ يعيدها بسندها هذا الطويل ونصّها السخيف المهيل ، مرة أخرىٰ (١) .

ولو أن الأصفهاني ذكر لنا أن عزة الميلاء تعمَّدت ذلك من باب التعريض ، لهان الأمر .

واللجنة التي تولت تحقيق الأغاني لم تشر إلى إعادة الحكاية .

والذي نراه ، أن أبا الفرج يعمد إلى أشعار العرب ، فإذا وجد فيها اسماً من أسماء النساء ، وقف عنده وبحث عن عمرة أو ليلىٰ أو لبنىٰ أو أسماء فبنىٰ عليها ما يشاء من الحكايات ، وحتىٰ يبرر ذلك يذكر لنا أن النعمان طلب إلى عزة الميلاء ، أن تغنّيه تلك الأبيات التي قيلت في أمّه (عمرة) وأن لا تغنيه سواها سائر اليوم .

---

(١) الأغاني ١٦/٣٢ .

امرأة أبي الأسوَد الدؤلي

قال الأصفهاني (١) :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد .

قال : حدثنا العباس بن هشام ، عن أبيه ، قال : أخبرني مولًى لزياد ، قال :

« حجّ أبو الأسود الدؤليّ ، ومعه امرأته – وكانت جميلة – فبينا هي تطوف بالبيت ، إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة ، فأتت أبا الأسود فأخبرته ، فأتاه أبو الأسود فعاتبه .

فقال له عمر : ما فعلت شيئاً .

فلما عادت إلى المسجد ، عاد فكلّمها ، فأخبرت أبا الأسود ، فأتاه في المسجد ، وهو مع قوم جالس ، فقال له :

وإنّي ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم أقوام خلائق أربعُ
حياء وإسلام وبقيا ، وإنّني كريم ، ومثلي قد يضرّ وينفع
فشتّان ما بيني وبينك إنّني علىٰ كل حالٍ ، أستقيم وتظلع

فقال له عمر : لست أعود ياعمّ لكلامها ، بعد هذا اليوم

---

(١) الأغاني ١/١٤٧ ، ١٤٨ .

ثم عاد فكلّمها : فأتت أبا الأسود فأخبرته .

فجاء إليه ، فقال له :

أنت الفتىٰ وابن الفتىٰ وأخو الفتىٰ
وسيّدنا لولا خلائق أربعُ

نكولٌ عن الجلّىٰ ، وقربٌ من الخنا
وبخل عن الجدوىٰ ، وأنك تُبَّع

ثم خرجت ، وخرج معها أبو الأسود مشتملاً علىٰ سيف ، فلما رآها عمر ، أعرض عنها ، فتمثل أبو الأسود :

تعدو الذئاب علىٰ من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي

* * *

قلت :

الخبر فيه تجاسر علىٰ منزلة أبي الأسود الدؤليّ ، وإذا كان مثل أبي الأسود تتجاسر الشعراء علىٰ امرأته ، وفي موسم الحج وفي المسجد الحرام ، فكيف بأعراض الناس المغمورين ؟

وكل هذا يتم ، وتتعدد التحرشات ، ولا يصنع أبو الأسود شيئاً ، إلا أن يأتي كل مرة ليعاتب عمر بن أبي ربيعة ، بأبيات من وزن واحد ورويّ واحد .

ثم كيف يحمل أبو الأسود السيف في الشهر الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام ، وهو من كبار التابعين العارفين !!

إن شعوبية أبي الفرج الأصفهاني وجهله وجرأته وحقده الأسود على أعلامنا ومقدساتنا تملي عليه مثل هذه الحكايات السخيفة ، إنه يعمد إلى أبيات لأبي الأسود ، ويبني عليها مثل هذه الحكاية .

ومن خبث الأصفهاني وحذره ، أنه يجعل السند ينتهي إلى مجهول كما مرّ فى صدر هذا الخبر ، أخبرني مولًى لزياد ... فتأمل . أيّ مولًى هذا من موالي زياد ؟

افــتراء

قال الأصفهاني (١) :

قال إسحاق : وأخبرني الهيثم بن عديّ (٢) ، قال :

« قدمت امرأة مكة ، وكانت من أجمل النساء ، فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف ، إذ نظر إليها ، فوقعت في قلبه ، فدنا منها ، فكلّمها ، فلم تلتفت إليه .

فلما كان في الليلة الثانية ، جعل يطلبها حتى أصابها .

فقالت له : إليك عني يا هذا ، فإنّك في حرم الله ! وفي أيامٍ عظيمة الحرمة .

فألحّ عليها يكلّمها ، حتىٰ خافت أن يشهّرها ، فلما كان في الليلة الأخرىٰ .

قالت لأخيها : اخرج معي يا أخي ، فأرني المناسك ، فإنّي لست أعرفها .

فأقبلت وهو معها ، فلما رآها عمر ، أراد أن يعرض لها ، فنظر إلى أخيها معها ، فعدل عنها .

فتمثّلت المرأة بقول النابغة :

---

(١) الأغاني ٧٨/١ .

(٢) ذكرناه مع الرواة الكذابين .

تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقي صولة المستأسد الحامي

* * *

قلت :

أرى أبا الفرج الأصفهاني ، بنى هذه الحكاية على بيت النابغة ، وهذا يحصل كثيراً ، وليته أورد ذلك في موسم آخر ، غير موسم الحج ، وموضع آخر ، غير المسجد الحرام ، ولكن أبا الفرج يورد أكبر من هذا الخبر ، وكأنه يريد أن يصور لنا موسم الحج بصورة تنفي عنه الهيبة والقدسية ، ليشفي قلبه ، وهذا دأب الشعوبيين الحاقدين ، وقد جاء بسند من الرواة لعله يخدع به القراء ، ولكن فضحه الله بوجود كاذب بينهم ، وهو من أصحاب القلوب السوداء ، وله كتاب في (المثالب) ، ألصق فيه كل نقيصة بالعرب ، ولعل أبا الفرج نقل مثل هذه الأخبار من كتاب المثالب ، فلم يصرح به ، واختلق له ذلك السند الواهي الواهن ، ومن أين يأتي الطهر إلى تلك القلوب الوسخة .

وقد مرّت بك القصة مروية عن زوجة أبي الأسود الدؤلي ، بسند آخر غير هذا السند .

* * *

وينسبها إلى أيوب بن عباية ، عن طريق إسحاق ، ثم يذكر لنا أحوال هذا الفاسد الشقي ، فهل هذه مثالب أم مناقب ؟

غَلَط في التاريخ

قال الأصفهاني (١) :

أخبرنا أحمد ، قال حدثنا عمر بن شبّة ، وحدثني أبو عبيد الصيرفي .

قال : حدثنا الفضل بن الحسن البصري ، قال : حدثنا عمر بن شبّة .

قال : حدثنا أيوب بن عمر ، قال : حدثنا عمر بن أيوب ، قال : حدثنا جعفر بن برقان ، عن ثابت بن الحجاج عن أبي موسىٰ عبد الله الهَمْداني ، أن الوليد بن عقبة قال :

« لما فتح رسول الله ﷺ مكة ، جعل أهل مكة يأتون بصبيانهم ، فيدعو لهم بالبركة ، ويمسح علىٰ رءوسهم ، فجيء بي إليه ، وأنا مُخَلَّق (٢) ، فلم يمسسني وما منعه إلا أنّ أمّي خلّقتني بخلوق ، فلم يمسسني من أجل الخلوق » .

* * *

قلت :

هذا غلط في التاريخ ، وإذا كان الوليد بن عقبة صبياً عند فتح مكة في السنة الثامنة الهجرية ، فكيف بعثه رسول الله ﷺ ، إلى بني المصطلق ليأخذ الزكاة منهم ؟

---

(١) الأغاني ١٤٢/٥ .

(٢) يعني : مطيب ، والخلوق : الطّيب .

وهذا الخبر ذكره ابن عبد البر [١] ، وذكر شكّ الإمام البخاري في أن يكون الوليد صبياً عند فتح مكة .

ثم قال ابن عبد البر : « ... وأبو موسىٰ هذا مجهول ، والحديث منكر مضطرب ، لا يصحّ ، ولا يمكن أن يكون مَن بعث مُصَدِّقاً [٢] في زمن النبيّ ﷺ ، صبيًّا يوم الفتح » .

ثم هل من المعقول ، أن يكون كل هؤلاء الرواة الواردين في السند لا يعرفون الوليد بن عقبة ، وحادثة بني المصطلق ، وفيه نزلت الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا علىٰ ما فعلتم نادمين » ، وإليه أشار المفسرون جميعاً .

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الوليد بن عقبة ، هو أخو عثمان بن عفان لأمّه ، وعثمان يوم فتح مكة كان عمره خمساً وخمسين سنة ، فهل يعقل أن يكون أخوه لأمه صبياً ، وحتىٰ لو كان عمر الوليد خمسة عشر عاماً ، وهو سن الشباب بعد الصبا ، فيكون بينهما أربعون سنة ، فهل سمعتم بامرأة تلد وابنها عمره أربعون عاماً ، وهي قد بلغت الستين ! أما لجنة تحقيق الأغاني ، فلم تعلق بشيء حول هذا الخبر ، وقبوله أو رفضه ، وكأن واجبها كان منصباً حول ضبط النص وتثبيت الفروق بين النسخ .

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٥٥٣/٤ .

(٢) المصدّق : الذي يجمع الصدقات (الزكاة) .

الخاتمـة

بعد هذه الجولة الواسعة في كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني ، والوقوف عند أخباره ، ومناقشتها ، والتعليق عليها ، أرجو أن يكوّن القارئ الكريم ، قد تبيَّنَ مقاصد هذا الشعوبي الحاقد اللئيم ، وقد غضضت النظر ، وصرفت القلم ، عن أخبار فظيعة ، وحكايات شنيعة ، لا يكتبها أشدّ الناس عداوة وبغضاً للعرب والمسلمين ، فقد اتَّهمَ كثيراً من أعلامهم باللواطة ، ورمىٰ بعضهم بالأبنة ، وكريمات نسائهم بالسحاق ، وألصق بهم السخائم من ذميم الخصال ، وقبيح الفعال ، متستراً بظلال الأدب والسمر ، والمذاكرة والمؤانسة ، كأن ذلك لا يحصل إلا بشتم سلف هذه الأمة المجيدة ، في تاريخها وخُلقها . وقد تم هذا الكتاب علىٰ يد جامعه ، والمؤلف بين أخباره ، الخطاط وليد بن عبد الكريم بن ملا إبراهيم كاكا بن مهدي بن صالح بن صافي بن عَزُّو العطّار العُبَيدي الأعظمي ، ووقع الفراغ منه ضحىٰ يوم الجمعة غرّة صفر الخير سنة ١٤٠٥ هـ الموافق للثامن والعشرين من تشرين الأول سنة ١٩٨٤ م .

والحمد لله رب العالمين

المَصادر وَالمراجـع

ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد الشيباني المتوفى ٦٣٠ هـ .
١ - الكامل في التاريخ
بيروت ١٣٨٥ هـ

الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين المتوفى ٣٥٦ هـ
٢ - الأغاني
دار الكتب المصرية / القاهرة ١٩٢٧ م

البستاني : المعلم بطرس البستاني .
٣ - دائرة المعارف الإسلامية
بيروت ١٨٧٧ م

التوحيدي : أبو حيان علي بن محمد المتوفى ٤٠٠ هـ
٤ - أخلاق الوزيرين .
تحقيق محمد تاويت الطنجي ، دمشق ١٩٦٠ م

الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد المتوفى ٤٢٩ هـ
٥ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / القاهرة ١٣٧٥ هـ

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المتوفي ٥٩٧ هـ
٦ - المنتظم في أخبار الملوك والأمم
حيدرآباد ١٣٥٩ هـ

ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي المتوفى ٨٥٢ هـ
٧ - لسان الميزان
حيدرآباد ١٣٣٠ هـ
حسن الأمين :
٨ - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية .
بيروت ١٩٧٣ م
الحلبي : برهان الدين إبراهيم بن محمد المتوفى ٨٤١ هـ
٩ - الكشف الحثيث عمّن رُميَ بوضع الحديث .
تحقيق الأستاذ الحاج صبحي السامرائي / بغداد ١٩٨٢ م
الحموي : ياقوت بن عبد الله المتوفى ٦٢٦ هـ
١٠ - معجم الأدباء
دار المشرق / بيروت / بدون تاريخ
الخطيب : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المتوفى ٤٦٣ هـ
١١ - تاريخ بغداد أو (مدينة السلام) .
القاهرة - بدون تاريخ
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المتوفى ٨٠٨ هـ
١٢ - المقدمة
بيروت - مطبعة الكشاف - بدون تاريخ
١٣ - تاريخ ابن خلدون
دار البيان - (أوفسيت)
خلف الله : الدكتور محمد أحمد خلف الله .
١٤ - صاحب الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني (الراوية)
القاهرة ١٩٦٨ م الطبعة الثالثة .

ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد المتوفى ٦٨١ هـ
١٥ - وفيات الأعيان ، وإنباء أبناء الزمان .
تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت (بدون تاريخ)

الخوانساري : محمد بن باقر المتوفى ١٣١٣ هـ
١٦ - روضات الجنّات ، في أحوال العلماء والسادات .
طهران ١٣٠٧ هـ

الديلمي : مهيار بن مرزويه المتوفى ٤٢٨ هـ
١٧ - ديوان مهيار الديلمي
القاهرة ١٩٢٥ م

الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى ٧٤٨ هـ
١٨ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال
تحقيق علي محمد البجاوي
القاهرة (مطبعة عيسى البابي) بدون تاريخ
١٩ - سير أعلام النبلاء
بيروت ١٤٠٢ هـ

لزركلي : خير الدين الزركلي
٢٠ - الأعلام (قاموس تراجم)
الطبعة الخامسة بيروت ١٩٨٠ م

الشريف الرضي : محمد بن الحسين المتوفى ٤٠٦ هـ
٢١ - ديوان الشريف الرضي
بيروت ١٣٨٠ هـ
٢٢ - ديوان الشريف الرضي
تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، بغداد ١٩٧٧ م

شفيق جبري :
٢٣ – دراسة الأغانى
دمشق ١٩٥١

الصاحب بن عباد : إسماعيل بن عباد بن العباس المتوفى ٣٨٥ هـ
٢٤ – ديوان الصاحب بن عباد
تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين / بغداد ١٣٨٤ هـ

طه حسين (الدكتور) :
٢٥ – حديث الأربعاء
القاهرة ١٩٣٧ م

ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩ هـ
٢٦ – شذرات الذهب ، وأخبار من ذهب
القاهرة ١٣٥٠ هـ (مكتبة القدسي)

ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى ٧٧٤ هـ
٢٧ – البداية والنهاية في التاريخ .
مطبعة السعادة – القاهرة (بدون تاريخ)

ابن النديم : محمد بن إسحاق بن محمد المتوفى ٤٣٨ هـ
٢٨ – الفهرست
القاهرة (بدون تاريخ) .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
الفصل الأول	
أبو الفرج الأصفهانى	١٧
أقوال العلماء فى الأصفهانى	٢٠
التساهل فى الرواية	٢٥
الرواة الكذابون الذين اعتمد عليهم الأصفهانى	٢٧
كتاب الأغانى	٤٤
شعوبية طه حسين	٥٠
شعوبية الأصفهانى	٥٩
العهد البويهي	٦١
لمن ألف الأصفهانى كتاب الأغانى	٦٨
الفصل الثانى	
الأصفهانى وآل البيت	[illegible]
الحسن والحسين يرجعان لبنىٰ إلى قيس	٧٤
الإمام الحسين يقر يزيد على شرابه	٧٩
الإمام الحسين وأشعب	٨٢
زوجة الإمام الحسن ومعبد المغنى	٨٤
المغنون يجتمعون عند الحسن بن الحسن بن على	٨٧
الحسن بن الحسن وابن عائشة	٩٢
هذه السفيهة	٩٤

الموضوع	الصفحة
سكينة ومواعيد ابن أبى ربيعة	٩٨
سكينة تحكم بين المغنين	١٠٠
حين الحيرى يموت فى بيت سكينة	١٠٢
سكينة ترجع ابن سريج إلى الغناء بعد توبته	١٠٥
سكينة والفرزدق	١١٣
سكينة ملكة الجمال	١١٦
الاستخفاف بآل الرسول	١١٨
معاوية وعبد الله بن جعفر	١٢١

الفصل الثالث

الأصفهانى والأمويين	**١٢٦**
وقاحة وبذاءة	١٢٧
الخليفة وحجاج بيت الله أولاد زنا	١٣١
يخطب الجمعة بأرجوزة	١٣٤
الوليد بن يزيد مجوسي	١٣٦
تشبيه الخلفاء بالقوّادين	١٣٨
الزنا بالجارات والكنّات	١٤٠
حديث غريب	١٤٢
ابن أبى ربيعة ، وبنت الخليفة	١٤٥
بنت الخليفة تعطى ثوبها الداخلى لابن أبى ربيعة	١٤٧
الخليفة ... يرقص	١٥٢
بذاءة ... وسوء أدب	١٥٤
مسابقات المغنين فى الحج	١٥٦
يزيد بن عبد الملك ، وابن سريج	١٥٨
أبان بن عثمان ونذر طويس	١٦٥
الدلّال المخنث وبنت الحكم	١٦٨

الصفحة

أولاد الزنا ١٧٠
لعن الأمويين ١٧٢
الضراط فى مجلس الخليفة ١٧٤
ما هذا السخف ١٧٦
الأحوص يراود وصفاء الخليفة ١٧٧
والى المدينة يتزوج شابا ١٨١
وضّاح اليمن وأمّ البنين ١٨٣

الفصل الرابع

الأصفهانى الحاقد ١٨٧
يلعن دين الإسلام ١٨٨
الجاهلية خير من الإسلام ١٩١
دفاع عن البرامكة ١٩٣
تلفيق وتزوير ١٩٥
انتحال واضطراب ١٩٨
تزوير التاريخ ٢٠١
الفرس يبنون الكعبة ٢٠٣
كفر بَوّاح ٢٠٧
تفسير مغلوط ٢١١
تحسين الفرار ٢١٥
خلط وغلط ٢١٨
غلط فاضح ٢٢١
خلط وخلط ٢٢٢
فضيحة أخرى ٢٢٤
الاستخفاف بالعقائد ٢٢٧
الاستخفاف بالصلاة ٢٢٩

الموضوع الصفحة

الاستهزاء بالصلاة ٢٣١
العبادة والغناء ٢٣٢
مثالب أم مناقب ٢٣٥
الطعن فى أعلامنا ٢٤٠
الطعن على الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت ٢٤٢
الاستخفاف بالفقهاء ٢٤٦
شيخ الإسلام يرقص ٢٤٨
الطعن على العلماء ٢٥١
النعمان بن بشير الأنصارى وعزّة الميلاء ٢٥٤
امرأة أبى الأسود الدؤلي ٢٥٧
افتراء ٢٦٠
غلط فى التاريخ ٢٦٢
الخاتمة **٢٦٤**
المصادر والمراجع **٢٦٥**
الفهرس **٢٦٩**

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٧٩١ / ٨٨

الترقيم الدولى ٧ - ٧٢ - ١٤٢١ - ٩٧٧

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN